

في أركان الإيمان

كتاب منهجي تعليمي ميسر

بقلم

مجد مكي

قدم له

الدكتور يوسف القرضاوي

دار نور المكتبات

دار البشائر الإسلامية


بسم الله الرحمن الرحيم

البيان

في أركان الإيمان

كتابٌ منهجيٌّ تعليميٌّ مُيسَّر

الطبعة الأولى

١٤١٩هـ - ١٩٩٩م

دار نور المكتبات

السعودية - جدة - حي السلامة - بجوار جامع الشعيبي

هاتف وفاكس: ٦٨٣٨٠٥١ - ص ب: ٤٠٣٧٤ - الرمز البريد: ٢١٤٩٩

دار البشائر الإسلامية

للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان - ص.ب: ١٤-٥٩٥٥

تقديم
الدكتور يوسف القرضاوي

الحمد لله، والصلاة والسلام عَلَى رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اتبع هُداه.

أما بعد: فقد سعدتُ منذ سنواتٍ بمعرفة الابن النجيب، والأخِ الحبيب، الأستاذ مجد مكّي الَّذِي أُعجبت بِهِ وأحببته من أول لقاء، فقد رأيت فيه ــ عَلَى حداثةِ سنِّه يوم رأيته ــ قارئاً نَهِماً، مشغوفاً بالكتب، مطَّلعاً عَلَى المصادر، مميِّزاً بينها، عالِماً بخصائصها، عارفاً بالأصيلِ والثانوي منها، مُحِبّاً للعلماء، وخصوصاً المتميِّزين منهم، ساعياً إلى التعرف عليهم، والاقترابِ منهم، والتأسّي بِهِم، والانتفاع بِمَا عندهم من علمٍ وعمل، ولا سيما علماء الشام الأعلام، أمثال العلامة الفقيه مصطفى الزرقا، والعلامة الأديب علي الطنطاوي حفظهما الله، والعلامة المحدث عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله.

لَقَدْ وجدتُ عند هَذَا الشَّاب النابِه ما لم أجده في كثيرين من الشباب الَّذِينَ تخرَّجوا في الكلِّياتِ الشرعية، والجامعاتِ الدينية، من عقلٍ متفتِّح، وبصيرةٍ نيِّرةٍ، ودأبٍ في البحث، وصبرٍ عَلَى التحصيل، وحسن اختيار لِما يقرأ ويحصِّل، وَقَدْ قيل: أخبرني ماذا تقرأ؟ أخبرك من أنت.

هَذَا مع أدبٍ جَمٍّ، وخلقٍ كريم، وتواضعٍ محمود، لا يَدَّعِي، وَلاَ يتباهى، وَلاَ يثني عِطْفَهُ تيهاً وفخراً، بل كاد يود أَنْ يَظَلَّ مغموراً، لا يعرفه إِلاَّ أهل العلم.

ولَطالما ألححتُ عليه أَنْ يكتب وينشر بعض علمه عَلَى الناس، إذ لا يجوز لَهُ أَنْ تكون لديه هَذِهِ الكنوز الثمينة من المعرفة ثم يُخبئها في صدره أو في خزانته، وَلاَ تنتفع الأمة بِهَا، في حين نرى أناساً لا يملكون بعض ما يملك من أدواتِ العلم، يطْلعون علينا كل يوم، بِمَا لا يُسمن من شبعٍ، وَلاَ يُغنِي من جوع.

ولكنَّ الشيخَ مَجْداً ـ حفظه الله ـ شأنه شأن أهل العلم الأُصَلاء، كَانَ يتهَيَّبُ هَذَا الموقف: أَنْ يخرج على الناس بكتابٍ أو مقالة لم تنضج عَلَى نارٍ هادئة، ولم تأخذ حقَّها من العِناية فكرةً وعرضاً وأسلوباً.

ولهذا رحبتُ بِهذا الكتاب الَّذِي كتبه الشيخ مجد في (أركان الإيمان) وَقَدْ عرفتُ من مقدمته أَنَّهُ سبقه ثلاثةُ كتبٍ في نفس الموضوع بعنوان: (غِراس الإيمان) و(دعائم الإيمان)، للمرحلتين الابتدائية والإعدادية، وهذا الكتاب أُلِّفَ للمرحلة الثانوية.

والحقيقة أنِّي وجدتُ الكتاب جامعاً شاملاً لكل أركانِ العقيدةِ الستة من الإيمان بِاللَّهِ وملائكته وكتبه ورسله واليومِ الآخر، والقدَرِ، بل زاد عَلَى ذَلِكَ بعض الفروع في العقيدة الَّتِي شعر المؤلف بحاجة الطالب إِلى معرفتها، مثل سؤال القبر ونعيمه وعذابه، ومثل أشراط الساعة، والتفصيل في ذِكر الجَنَّة وألوانِ نعيمها، والنار وعذابِها.

وَقَـدْ راعى المؤلف مـا ينبغي أَنْ يُراعى في هَذَا التـأليف المدرسي، من حيث وضوح الفكرة، وحسن العـرض، وسـلاسة الأسلوب، وجودة التقسيم والتبويب، وتوثيقـه بالأدِلَّـة العقلية والشرعيـة، ووضع العناوين الجانبية المعينة عَلَى حسن الفهم، وخَتَمَ كل درس بأسئلةٍ مناسبةٍ لَـهُ، بل أضـاف إلى ذَلِك ذِكـر توجيهاتٍ نافعـةٍ للمدرسين، هي ثمـرة معرفةٍ وخبرةٍ وتجربةٍ وَلاَ شك.

كما اهتم المؤلف الكريم ببيان آثارِ العقائد الإسلامية في النفس وَالحَيَاةِ، أو في الفرد والمجتمع، مثل آثار التوحيد، والإيمان بالآخرة، والإيمان بالقدَرِ وغيرها، كما بدأ كتابه ببيان أوجه الحاجة إلى العقيدة.

وعُنِيَ كذلك ببيان خصائص العقيدة الإسلامية ومزاياها عَلَى غيرها من العقائد الدينية والأيديولوجية الوضعية المختلفة، الَّتِي عرفَها الناس.

وَقَدْ أحسن المؤلف ـ سَدَّدَهُ الله ـ حين جعل عمدته ومرتكزَه الأول: القرآن الكريم، لأن أسس العقائد ثابتة في القرآن، فلا تكاد تخلو صفحةٌ من الكتاب إلاَّ وفيها آيةٌ، أو أكثر، ثُمَّ ما لا بد منه من صِحاح الأحاديث وحِسانِها، بِمَا يزيد الأمر وضوحًا.

وَهُوَ كذلك قَدْ أحسن الاستفادة من المراجع العلمية قديمها وحديثها، واقتبس منها في مواضع جَمَّة، وأجاد الاقتباس، وهذا يدل عَلَى مدى هضمه وتمثُّلِهِ لِما قرأ، وإنصافه في نسبةِ الأقوال إلى أربابِها، وإن كَانَ هناك كثيرون للأسف، يسرقون الأفكار، بل العبارات بنصِّها، وَلاَ يعزونَها إلى أهلها، وَقَدْ قَالَ سلفُنا رضي الله عَنْهُمْ: من بركةِ القول أَنْ يُنسب إلى قائله.

لَقَدْ أخرجَت أرض حلب الشهباء نبتاً طيِّباً، وعالِماً جديداً، يُرجى أنْ يكون لَهُ مكانه وتأثيره وإثماره، وإيتاء أُكله في ساحة العلم والدعوة، وإنَّه لِذَلِكَ لأهل.

﴿ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ﴾ [الأعراف: ٥٨].

شكَرَ الله لأخينا الشيخ مجد، وسدد قلَمَهُ في خدمةِ العلم والدعوةِ إلى الإسلام، بلسانٍ عصري مبين: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت: ٣٣].

الدكتور يوسف القرضاوي

الدوحة في غرة المحرم ١٤١٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

التقـــدمة

الحمدُ لله الذي هدانا للإيمان ، وزيَّنه في قلوبنا ، وكـرَّه إلينـا الكفـرَ والفسوقَ والعِصيان ، والصلاةُ والسلامُ الأَتمَّانِ الأَكْمَلانِ علـى مَـن أَنْـزَلَ الله عليه القرآن ، وحفظه من الزيادة والنقصان ، وَخَتَمَ بِرِسَالَتِهِ الأَدْيَـانَ ، وَرَضِيَ الله عن صحابته وَمَنْ تَبِعَهُمْ بإحسان .

وبعد؛ فَإِنَّ من أعظم الحقائق التي يجب على كـلِّ مؤمـن أن يتعلَّمهـا ويُعَلِّمها ، ويسـعى في بيانهـا ونشـرها : حقـائقَ الإيمـان المتمثِّلَـةَ بالأركـان الإيمانية السِّتَّة ، التي غابتْ عن إدراكِ كثيرٍ من أبناء المسلمين وعامَّتهم .

فأحببتُ أن أساهم بكتابة ميَسَّـرَةٍ واضحـة لأركـان الإيمـان في هـذا الكتاب الَّذِي أَلَّفْتُه ليكون منهجاً دراسياً يقرَّرُ في بعـض المعـاهد الشـرعية للمرحلة الثانوية ، وما بعدَها من مراحلَ دراسيةٍ ، فيصلحُ أن يكونَ مقرَّراً لمادة "العقيدة الإسلامية" ، ومادة "الثقافة الإسـلامية" للمرحلـة الجامعيـة ، ومرجعاً مقرِّبـاً ، ومـورداً عذبـاً لأسـاتذة التربيـة الإسـلامية في تحضـير دروسهم ، وأداءِ مهمتهم في غـرس الإيمـان في قلـوب طلابهـم ، وتقريـب حقائقه إلى عقولهم بأسلوبٍ منهجيٍّ ميسَّر .

ويمكن دراسته أيضاً في حلقاتِ العلم في المساجد ، وفي بيوت المسلمين يقرؤه الأبُ المسلم ، أو الأمُّ المسلمة على أبنائهما؛ فيعود عليهم بصحة العقيدة ، والسلامة من الانحراف وراء شبهات الضلال ، وتيارات الإفساد التي تحيط بهم في هذه الأزمان .

وهذا الكتاب هو الرابعُ من سلسلة كُتُبٍ تعليميَّةٍ منهجِيَّةٍ كتبتُها في هذا الموضوع ، وقد سبقه ثلاثةُ كتب في سلسلةٍ بعنوان **"غِراسُ الإيمان"** ستصدر قريباً بعونِ ا لله تعالى.

وهي كتبٌ تربويَّةٌ تعليميَّةٌ للأطفالِ والناشِئين في مراحل الدراسة الابتدائية والمتوسطة.

وقد أتبعتُها بهذا الكتاب الذي بين يَدَيْكَ ، لغرس العقيدة الإيمانية في القلوب ، وترسيخها في النفوس ، وفي كلِّ واحدٍ من هذه الكُتُب ما ليسَ في الآخر ، فهي بناءٌ متماسك يشدُّ بعضُه بعضا .

وسأُتبعُ هذه الكُتُبَ الدراسِيَّةَ التعليميةَ -إن شاءَ ا للهُ تعالى- في مراحلها الثلاث بكتُبٍ أكثر تفصيلاً ، وأوسع شرحاً ، وأتمَّ استقصاءً ، أُفردُ فيها كلَّ ركنٍ من أركان الإيمان بكتابٍ واسعٍ مفصَّل ، وقد انتهيت من كتابة ثلاثة أركان ، وأسألُ ا لله عزَّ وجلَّ أن يوفقني لإتمام الكتابةِ فيها على الوجه الذي يرضيه سبحانه .

وقد راعيتُ في هذا الكتاب أعمارَ الطلاب ومقدرتَهم على الفهم والاستيعاب ، فقسمته إلى ثلاثةِ أقسامٍ بحسَبِ مراحلِ الدراسَةِ الثانويَّة وهي:

١- الإيمان با لله سبحانه ، والإيمان بالملائكة ، للصف الأول الثانوي.

٢- الإيمان بالكتب الإلهية ، والإيمان بالرُّسُل ، للصف الثاني الثانوي.

٣- الإيمان باليوم الآخر ، والإيمان بالقَدَر ، للصف الثالث الثانوي.

وقد حرصتُ في هذا الكتاب على سهولة العبارة ، وجمالِ الأسلوبِ ، وحُسنِ العرض ، ووضوح المعنى ، وتقريب الحقائق للأذهان .

ورتَّبتُ هذا الكتابَ على سبعةِ فصولٍ رئيسية ، وجعلتُ تلك الفصولَ ضمن وحداتٍ دراسيَّةٍ بلغ مجموعها سبعةً وسبعينَ درساً ، وُزِّعَتْ على أساسِ الحصص المتعادلة ، بحيث تتلاءم كمية المادة العلمية في كلِّ درسٍ من الدروس مع الزمن المخصَّصِ لها ، وراعيتُ التنظيمَ والتسلسل في عرضِ المعلومات ، والربط بين وحداتِ المنهج .

وأكثرتُ من وضع العناوين الجانبية ، والاستشهادِ بالآيات القرآنية ، وتنويع المواضيع ، وتقسيم المباحث إلى فقرات ، وعقد المقارنات ، كما بيَّنتُ معاني الكلمات ، وأتبعتُ كل حصَّةٍ دراسِيَّةٍ بأسئلةٍ تُعِينُ الطالبَ على الحفظ والاستذكار .

وابتعدتُ عن المصطلحات والمباحث التي تعلـو عـن فهـم الطـلاب ، وتجَنَّبـتُ الخـوضَ في القضايـا الجدَليَّـةِ والأمـورِ الخِلافِيَّـةِ ، وركَّـزتُ علـى الجوانب العلمية التي تغرسُ الإيمـانَ في القلـوبِ ، وبيَّنـتُ الآثـار السـلوكِيَّةَ والتربويةَ لكلِّ ركنٍ من أركان الإيمان .

وأسـألُ الله سبحانه أن يَتقَبَّـلَ منِّـي هـذا الجهـدَ الضئيـل ، والعمـلَ القليل ، وأن يَجْعَلَهُ خالصاً لوجهه الكريم ، وأن ينفعَ بـه أبنـاء المسـلمين ، وأن ينفعني به يومَ الدين **﴿يَوْمَ لاَ يَنفَـعُ مَـال وَّلاَ بَنُـونَ إِلاَّ مَـنْ أَتَـى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾** .

والحمدُ للهِ رَبِّ العالمين ، وصلَّى الله على سَيِّدِنا محمـدٍ وعلـى آلِـهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِين .

جُدَّة في ١٥ من المحرم سنة ١٤١٨.

وكتبه

مجـدمكّي

توجيهات عامة للمدرسين

إنَّ المناهج والكتبَ الدراسية مهما كانت صالحةً ، جَيِّدَةَ الإعداد ؛ فلن تكون لها النتائج الطيِّبة المرجُوَّة إلاَّ إذا قيَّضَ الله تعالى لها (المعلم الصالح) فطبَّقها بروحٍ تربوية واعية . فالمعلم الكفء هو العنصر الأهم في عملية التربية والتعليم ، وهو الَّذي يعطي مادة الدرس روحاً وحياةً ، ويجعل منها نوراً تضيء به العقول والنفوس ، لا مجردَ ألفاظٍ تُحشى بها الرؤوس .

فإذا وُفِّقَ المعلم في أداء واجبه أهدى إلى الأمة أجيالاً مؤمنة صالحة مستنيرة ، وعلماء حكماء ، وأمناء أقوياء ، عاملين مخلصين .

وإنَّ أول ما يعين المعلم على واجبه ، ويمكِّنه من حُسْنِ أدائه ، أن يدرك عِظَمَ أمانته وخطورة مسؤوليته ، وأن يجعل نُصبَ عينيه أنه يربي قلوباً ، ويكوِّنُ نفوساً ، فيتجه إلى ما يكوِّنُ العقيدة السليمة ، ويحقق الخُلُقَ الإسلاميَّ القويم ، ويُنَمِّي التفكير المنهجي الصحيح ، ومما يعينه على أداء رسالته[1] :

١- أن يكونَ اهتمامه بالتربية الإيمانية والسلوكية والفكرية فوق

---

(١) مقدمة مناهج المواد الشرعية التي وضعها الأستاذ علي الطنطاوي للمدارس الشرعية الإعدادية والثانوية في سوريا ، للعام الدراسي ١٣٨٠ ص١-٨ بتصرُّف .

اهتمامه بالتلقين والحفظ ، وتكونَ عنايته منصرفةً إلى جواهر الأمور دون ظواهرها الخالية من اللباب .

٢- أن يجيدَ إعداد درسه ليكون أبلغَ أثراً في نفوس المتعلمين ، وأَدْعَى إلى حُسن تقبُّلِهم .

٣- أن يُعنى بعرضِ الموضوعِ أوَّلاً بطريقةٍ إجمالية كُلِّيَّةٍ ، ينتقل منها إلى التفصيل والتحليل ، وتجزئةِ الأفكار . ذلك أَنَّ البدء بالجزئيات عدا ما فيه من جفافٍ وعُسرٍ يسبِّبُ الغموضَ ويمنع من الإدراكِ الصحيح ، والبصر الدقيق بحقيقةِ الموضوع .

٤- أن يصل دَرْسَهُ بالحياة المحيطة بالطلاب ليكون أقربَ إلى نفوسهم ، وأوضحَ في عقولهم ، وأقوى إيقاظاً لنشاطهم .

٥- أن يبذلَ جُهْدَهُ في ربط الطلاب بالدرس ، ومشاركتهم الفَعَّالَة أثناء إلقائه.. فعَلى المعلم أن يَفْسَحَ المجال أمام طلابه لاستنباط الحقائق بأنفسهم مما يمهِّده لهم في درسه ، وعليه أن يطلب منهم تطبيق ما تَعَلَّمُوهُ بأمثلةٍ من عندهم ، وليفسحَ أمامهم مجالَ السؤال والمناقشة والمشاركة للوصول إلى الحقائق ، مع ربط العلم بالعمل .

٦- أن يُذْكي روحَ التنافس البنّاءِ بينهم ، ويكافئ كلَّ جهدٍ بالثناءِ والمديح ، وإظهارِ الرِّضا والتشجيع ، وإثارة الاقتداء للمتقاعسين ، والتعريض بكل عملٍ سيءٍ دونما ذِكرٍ لصاحبه ، بحيثُ يُلَمِّحُ ولا يُصَرِّح .

٧- أن يعوِّدَ الطلاب على حبِّ المطالعة ، والرجوعِ إلى المصادر الأصلية ، وأن يكلفهم إعداد البحوث وارتياد المكتبات بأنفسهم ، ويُنَمِّي فيهم روح التتبُّع لِما يَجِدُّ من الدراسات وما يصدر من الكتب ، ولا بأسَ أن يجعل المدرس بعض دروسه في المكتبة تحقيقاً لهذا الغرض .

٨- أن يمنح طلاَّبه نصيباً من عطف الأُبُوَّة ، فيستوعب نفوسهم ، ويعيش مشكلاتهم ، ويسعى لعلاجها .

٩- أن يأخذَ نفسه بالتزامِ كلِّ ما يدعو إليه ليكون القدوةَ الطيِّبةَ الماثلة ، فَإِنَّ المَثل المربِّي أنفذُ وأبلغُ من الحديث المسموع .

١٠- أن يغذِّيَ في قلوب طلاَّبه حقائقَ الإيمان ، ويدعوهم للتخلُّقِ بأخلاق المؤمنين ، فليست أمور العقيدة مجرَّدَ مباحثَ نظريةٍ ، بل هي علم وعمل وسلوك يعيشه المؤمن في عباداته ومعاملاته ، وفي سِرِّهِ وعلانيَتِه ، وفي أيام رخائه وأيّامِ شدَّته .

١١- أن يربطَ المدرسُ بينَ الإيمانِ والعلمِ ، وأن يدعوهم إلى التأمُّلِ في آياتِ ا لله الكونِيَّةِ والنفسية ، ويُعَوِّدَهم الانتقالَ من هذا التأمُّل إلى معرفة عَظَمَةِ ا لله سبحانه وقدرته والعبودية له .

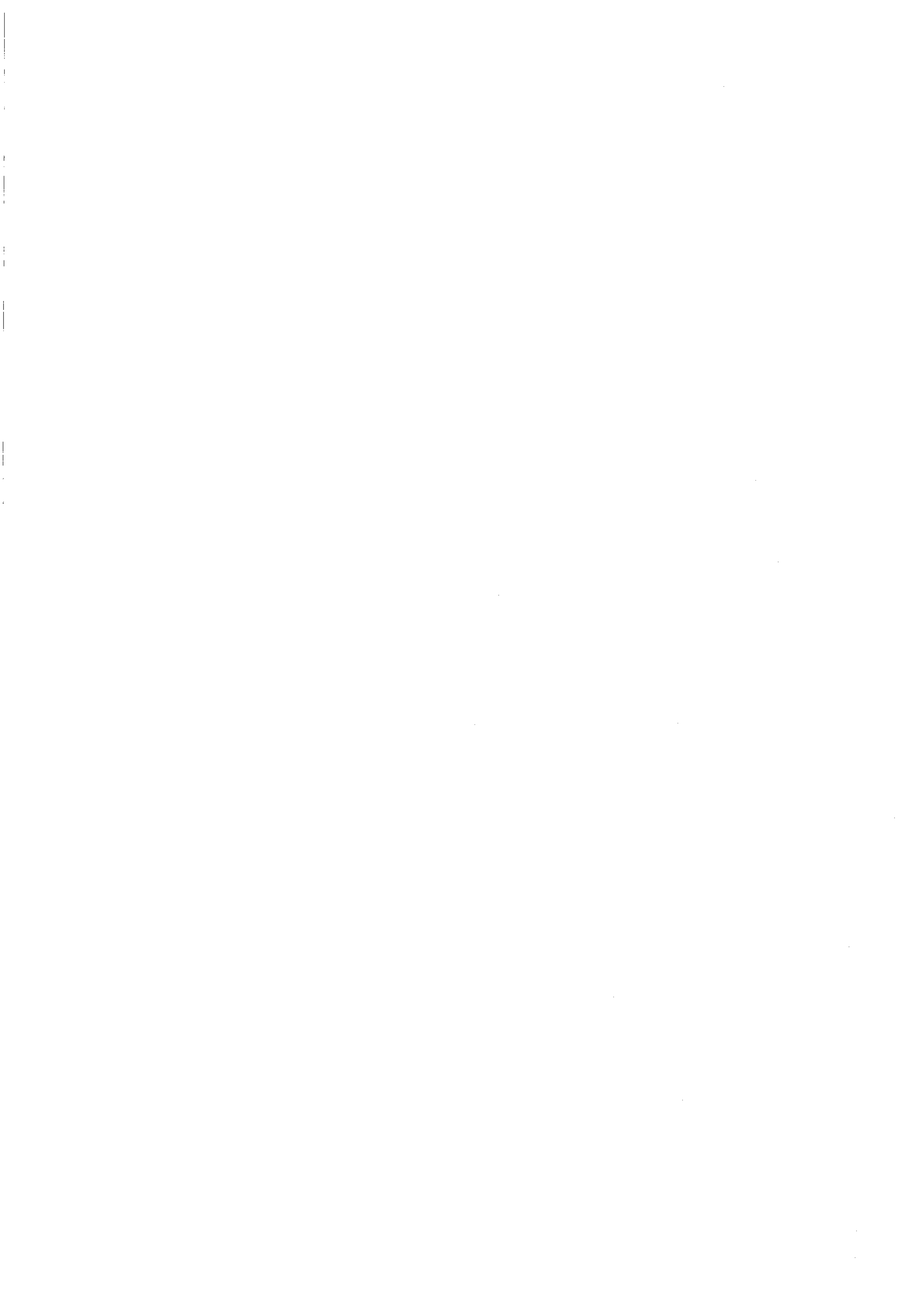
وبعد؛ فَإِنَّ الكُتُب والمناهج ليست كل شيء في عَمَلِيَّةِ التربية والتعليم، والناحية النظرية (المعرفية) ليست إِلاَّ جانباً من جوانب شخصية

الإنسان ، وهناك الجانب العملي الذي تساعد على تنميتِـه أنـواع النشـاط الذي يتمُّ في جوٍّ المدرسة خارج الفصل ؛ وبخاصة النشـاطات الثقافيـة مـن خطابةٍ ومحـاضراتٍ ونـدواتٍ ومجـلاتِ حـائطٍ ومجـلاتٍ عامـة ومسـابقاتٍ مدرسية ، ليَتِمَّ بناء الشخصية المسلمة القوية المتكاملة.

المدخل

١- الحاجة إلى العقيدة .

٢- المعنى الإجمالي لأركان الإيمان



الدرس الأول

الحاجةُ إلى العقيدة

١- حاجة العقل إلى معرفة الحقائق الكبرى في الوجود[1]:

حاجةُ الإنسان إلى عقيـدةٍ دينيـة صحيحـة[2] تنبثـق مـن حاجتـه إلى معرفة نفسه ، ومعرفة الوجود الكبير مِـن حولـه ، أي إلى معرفـة الجـواب عن الأسئلة التي شغلت بها فلسفات البشر و لم تُجبْ عنها بجـوابٍ يشـفي الغليل ، ويطمئِنُّ به القلب .

فالإنسان تُلِحُّ عليه أسئلةٌ كُبرى يحتاج إلى الجواب عنها:

من أين؟ وإلى أين؟ ولِمَ؟

أ - **من أين** جئتُ وجاء هذا الكون الكبير؟ ، هل وُجِدْتُ وَحـدي؟ أم هناك خالقٌ أوْجَدَني؟ ومَنْ هو؟ وما هي صِلَتي به؟

ب- **إلى أين** المسير بعد هذه الرحلة القصيرة على ظهر الأرض؟ ماذا بعد الموت.. أَتُخْتَتَمُ الحياةُ بالموت؟ أم هنـاك وراء المـوت حيـاةٌ يُجْـزَى

---

(١) من كتاب "مدخل لمعرفة الإسلام" ، للدكتور القرضاوي ص:١٢-٢١.

(٢) **العقيدة:** مـن مـادة (ع. ق. د) الـتي منهـا عُقْـدةُ الحبـل ، وعقـد البيـع واليمـين والعهد ، فهي فعيلة بمعنى مفعولة ، أي أنهـا معقـودة وموثَّقـة وراسـخة في قلـب صاحبها.فالعقيدةُ: الإيمان الصادق الجازم في قلبِ كل مؤمن.

فيها الذين أساؤوا بما عملوا ، ويُجزى الذين أحسنوا بالحسنى؟

جـ- لماذا وُجِـدَ الإنسـان؟ وأُعْطِيَ العقـل والإرادة ، وسُـخِّرَ لـه مـا في السموات وما في الأرض؟ ما هي غاية وجوده ، وكيف يعرفها؟

أسئلة تتطلَّبُ الجواب ، ولا سبيلَ إلى الجواب الشافي إلاَّ باللجوء إلى العقيدة الإيمانية الصافية .

العقيدة التي تُعَرِّفُ الإنسانَ أنه مخلوق لخـالقٍ عظيـم ، خَلَقَـهُ فسـوَّاه فَعَدَلَهُ ، ونفخ فيه من روحه ، وأمدَّه بنِعَمِه .

والعقيدة هي التي تعرِّفُ الإنسان: إلى أين يسير بعد الحياة والمـوت؟ إنها تعرِّفه أَنَّ الموت ليـس فنـاءً محضـاً ، إنمـا هـو انتقـالٌ إلى حيـاةٍ أخـرى برزَخِيَّة ، بعدها نشأةٌ أخرى ، توفَّى فيها كلُّ نفسٍ ما كسبت . .

والعقيدة هي التي تُعَرِّفُ الإنسان: لماذا خُلِقَ؟ ولماذا كُرِّمَ وفُضِّـلَ؟.. إنه في هـذه الـدار للابتـلاء ، ليقـوم بعبـادة الله وحـده ، وعمـارة الأرض وتسخيرها لِما يحب الله .

إنَّ الذي يعيش بغير عقيـدة إيمانيـة صحيحـة إنسـانٌ شـقِيٌّ محـرومٌ ، يعيش في ظلمات الشك والحَيْرَة والجهل .

٢- حاجة الفِطرةِ البشريَّة:

ما ذَكَرْناه من حاجةِ الإنسان إلى العقيدة الإيمانيـة الصحيحـة يتَّصِـلُ

بحاجاته العقلية ، ولكن هناك حاجة الفطرة ، فالإنسان يظل قَلِقَ النفس ، جائعَ الروح ، شاعراً بالفراغ والنقص حَتَّى يجد الإيمان با لله ، فيطمئنَّ بعد قلق ، ويأمنَ بعد خوف ، ويُحِس بأَنَّهُ وجَدَ نفسه .

ولهذا جعل القرآنُ الإيمانَ هو الفطرة البشرية نفسها: ﴿**فأَقِمْ وجهكَ للدينِ حنيفاً فِطْرَةَ ا للهِ التي فَطَرَ النَّاسَ عليها لا تبديلَ لخلقِ ا لله ذلكَ الدينُ القيم**﴾ [الروم:٣٠].

٣- حاجة الإنسان إلى الصحة النفسيَّة والقوَّة الروحيَّة:

إنَّ الإيمان با لله سبحانه وعدلِهِ ورحمته ، والجزاء في دار الخلود ، تهب الإنسان الصحة النفسية ، والقوَّةَ الروحِيَّة ، وتبعث في نفسه الأمل والتفاؤل والصبر .

وأما الذين يعيشون في دنياهم بغير إيمان -وبخاصّةٍ إذا نزلت بهم الكوارث والمصائب- فإنَّهُم يُصابون بالقلق النفسي ، والتوتر العصَبي ، وينهارون بسرعة أمام نكبات الحياة ، وينتحرون سريعاً ، أو يعيشون مرضى النفوس .

٤- حاجة المجتمع إلى بواعِثَ وضوابطَ أخلاقية:

وهناك حاجة أخرى إلى الإيمان وهي: حاجة المجتمع إلى بواعث وضوابط ؛ بواعث تدفع الناس إلى عمل الخير وأداء الواجب ، وإن لم يوجد من البشر مَن يراقبهم أو يكافئهم.. وضوابط تحكم علاقاتهم ،

وتُلزم كل واحدٍ منهم أن يقف عند حدِّه ، ولا يتعدَّى على حقِّ غيره .

والقوانين الأرضية لا توجِد تلك البواعث والضوابط ، لأنَّ الإفلات منها ممكنٌ ، والاحتيالَ عليها ميسور ، ولهذا لابد من الوازع الذاتي من داخل النفس الإنسانية ، من القلب الذي إذا صَلَحَ بالإيمان صَلَحَ عَمَلُ الإنسانِ كُلُّه ، وإذا فَسَدَ فسدَ عمله كلُّه .

٥- حاجة المجتمع إلى التعاون والتماسك:

للعقيدة الإيمانية الصحيحةِ دَوْرٌ كبير في توثيق الصِّلَةِ بين الناس ، باعتبارهم جميعاً عبيداً لرَبٍّ واحد خلقهم ، وأبناءً لأب واحد نَسَلَهُم .

قال تعالى: ﴿**يا أيُّها الناسُ اتَّقوا ربَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم من نَّفْس وَّاحدةٍ**﴾ [النساء: ١] .

وقال تعالى: ﴿**يا أيُّها الناسُ إنَّا خَلَقْنَاكم مِن ذَكَر وَّأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبا وَّقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا**﴾ [الحجرات: ١٣] .

والعقيدة الإيمانية تُنشئ الأُخُوَّةَ بين المؤمنين ﴿**إِنَّمَا المؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**﴾ [الحجرات:١٠] ، وما تحدِثُهُ هذه الأُخُوَّة من ثَمَراتٍ في النفس والحياة ، حَتَّى تجد أحدهم يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، بل يُؤْثِرُ أخاه على نفسه ، ولو كان به فقرٌ وحاجة .

۞۞۞

المناقشة

س١- عَدِّدْ أوجه حاجة الفرد إلى العقيدةِ الإيمانية الصحيحة؟

س٢- اذكر أوجُه حاجة المجتمع إلى العقيدةِ الإيمانية الصحيحة؟

س٣- ما الأسئلةُ الكُبرى التي تلح على الإنسان؟ وأين يجد الجوابَ عن تلك الأسئلة؟

س٤- هل حاجةُ الإنسانِ إلى الإيمانِ حاجةٌ عقليةٌ فقط؟ وضِّح ذلك؟

س٥- هل تستطيع القوانين أن توجد البواعث التي تدفعُ إلى عمل الواجب ، والضوابط التي تحكم علاقات البشَر؟

س٦- للعقيدةِ أثرٌ كبيرٌ في توثيقِ الصِّلَةِ بين الناس . وضِّح ذلك؟

الدرس الثاني

المعنى الإجمالي لأركان الإيمان

الأركان: جمع رُكْنٍ ، وركنُ الشيءِ جانبُهُ الأقوى ، وكما أَنَّ كل بناء لا يقوم إِلاَّ على أُسسٍ قويةٍ ثابتة ، كذلك فَإِنَّ بناء هذا الدين لا يقوم إِلاَّ على تلك الأركان ، ولا يدخل المسلم في الإسلام إِلاَّ إذا صدَّقَ بها تصديقاً حازماً .

والإيمان في اللغة: التصديق الجازم .

وشرعاً: هو التصديقُ بالقلب ، والإقرارُ باللسان ، والعملُ بالأركان .

وأركان الإيمان ستة هي:

١- الإيمان با لله تعالى . ٢- الإيمان بالملائكة .

٣- الإيمان بكتب ا لله تعالى . ٤- الإيمان بالرُّسُل .

٥- الإيمان باليوم الآخر . ٦- الإيمان بالقَدَرِ خيره وشَرِّه .

وقد ذكَرَ ا للهُ سبحانه أركان الإيمانِ في أول سورة البقرة ، وَوَسَطِهَا ، وآخِرِها.

قال سبحانه في أول سورة البقرة: ﴿**الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالغَيْبِ**﴾

والغيب ما كان مُغَيَّباً عن العيون ، وهو كل ما أُمرنا بالإيمان به مما غاب عن أبصارِنا ، وهو الله تعالى ، والملائكة ، والبعث والجنة والنار ، وكذلك القدر .

ثُمَّ قال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ أي يُصَدِّقُون بالقرآن المنَزَّل عليك ﴿... وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ أي الكُتُب المنزَّلة على الأنبياء من قبل ﴿وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [الآية: ٣ و ٤] .

وقال سبحانه في أواسط سورة البقرة : ﴿ولكنَّ البرَّ مَن آمنَ با للهِ واليومِ الآخِرِ والملائِكَةِ والكِتَابِ والنَّبيين﴾ [الآية: ١٧٧] .

وقال سبحانه في آخر سورة البقرة: ﴿آمنَ الرسولُ بما أُنزلَ إليهِ من ربهِ والمؤمنون كلٌّ آمنَ با لله ومَلائكته وكُتُبه ورُسُله لا نفرقُ بين أحد من رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعنا وأطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ المصير﴾ [الآية: ٢٨٥].

الإيمانُ بالقَدَرِ إيمانٌ بمقتضى الكمال الإلهي:

"لَم يذكر القرآن الكريم الإيمان بالقدر باعتباره ركناً مستقِلاًّ من أركان الإيمان ، بل اكتفى بالأركانِ الخمسة: الإيمان با لله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنَّبيِّين ، كما جاء في آية البِر: ﴿ليس البر...﴾ وفي غيرها من الآيات .

والسرُّ في ذلك أَنَّ الإيمان بالقدر داخلٌ ضِمناً في الإيمان با لله ، بل هو جزءٌ حقيقيٌّ منه لأنَّ تقديرَ ا لله سبحانه لِما يجري في هذا الوجود هو إيمانٌ بعلم ا لله سبحانه ، وعموم مشيئته ، وشمول قدرته ، وعلوِّ سلطانه وقهره" [1] .

"وكذلك فإنَّ الإيمانَ بكتبِ ا لله تعالى المذكورة في الآياتِ يشمل الإيمان بكتب ا لله القضائِيَّةِ القدَرِيَّةِ التي كُتِبَتْ فيها جميع الحوادث الكونية"[2] ، قال تعالى: ﴿**مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ من قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى ا للهِ يَسِيرٌ**﴾ [الحديد:٢٢].

وبيَّنَ لنا رسول ا لله ﷺ أركانَ الإيمانِ السِّتَّةَ حين سأله جبريل عليه السلام عن الإيمان:

فقال: ((أن تؤمنَ با للهِ ، وَمَلائِكَتِهِ ، وكُتُبِهِ ، ورُسُلِهِ ، واليوم الآخر ، وتؤمنَ بالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّه)) [3] .

١- **وَمُجْمَلُ الإيمان با لله تعالى هو:** الاعتقاد الجازم بأَنَّ ا لله تعالى حقٌّ ، وأنه واحدٌ لا شريك له ، وأنه سبحانه متَّصِفٌ بكل

---

(١) التوحيد ، للصف الثالث الثانوي في المعهد الديني بقَطَر ص١٢.

(٢) الإيمان بالملائكة ، للشيخ عبدا لله سراج الدين ص١٤ .

(٣) رواه مسلم في كتاب الإيمان من حديث عمر بن الخطاب ﷺ .

كمال ، ومنزَّهٌ عن كلِّ نقص ، وأنه سبحانه هو المستحق لأن نعبده ونطيعه .

٢- **وَمُجْمَلُ الإيمانِ بالملائكة هو:** الاعتقاد الجازم بوجودهم ، وأنهم مخلوقون من نور ، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يُؤمَرون .

٣- **وَمُجْمَلُ الإيمانِ بكتب الله تعالى هو:** الاعتقاد الجازم بِأَنَّ الله تعالى أنزل على رُسُلِه كُتُباً مشتملة على هدي العباد ، وبيان ما فيه صلاح دنياهم وآخرتِهِمْ ، وأنها وحيُ الله إلى رسله ، وأنها حقٌّ وصِدْقٌ من عند الله .

٤- **وَمُجْمَلُ الإيمان بالرُّسُلِ عليهم السلام هو:** الاعتقادُ الجازمُ بِأَنَّ الله تعالى بعث في كل أمةٍ رسولاً يدعوهم إلى توحيدِ الله تعالى ، ويَدُلُّهُمْ على كل خير في دنياهم وآخرتهم ، ويُحَذِّرُهُمْ من كل شرٍّ في دنياهم وآخرتهم .

٥- **وَمُجْمَلُ الإيمانِ باليومِ الآخر هو:** الاعتقاد الجازم بصدق كل ما أخبر الله به ، وأخبر به رسوله ﷺ مِمَّا يكون بعد الموت ، ويشمل فتنة القبر ، وما بعد ذلك من البعث والحشر والحساب وأخذ الصحف والميزان والصِّرَاط والجنة والنار .

٦- **وَمُجْمَلُ الإيمانِ بالقدر هو:** التصديق الجازم بِأَنَّ كل ما يقع من الخير والشر فهو بقضاء الله وقدَرِه .

وسَنَدْرُسُ هذه الأصولَ الإيمانِيَّةَ -في هذا الكتاب- بشيءٍ من

الشرح والتفصيل إن شاء الله تعالى ، وبه المستعان .

الإيمانُ كُلٌّ لا يتجزَّأ:

والإيمانُ بهذهِ الأركانِ الستَّةِ كلِّها كُلٌّ لا يتجزَّأ ، فليس بمؤمِنٍ مَن آمنَ باللهِ ولم يؤمن بملائكته ، ولا مَن آمنَ بملائكته ولم يؤمن برُسُلِهِ وكُتُبِهِ ، ولا مَن آمنَ بكُلِّ هذا ولم يؤمن باليوم الآخر .

قال الله تعالى مُنَدِّداً على اليهود ، ومُهَدِّداً لهم: **﴿أفتؤمنون ببعضِ الكتابِ وتكْفُرونَ ببعض فما جزاءُ من يَّفعَلُ ذلكَ منكم إلاَّ خِزْيٌ في الحياةِ الدُّنْيا ويومَ القِيامةِ يُرَدُّونَ إلى أشَد العذابِ وما اللهُ بغافلٍ عمَّا تعملون﴾** [البقرة: ٨٥] .

وقالَ تعالى: **﴿إنَّ الَّذينَ يكفُرونَ باللهِ ورُسُلِهِ ويُريدونَ أن يُفَرقوا بينَ اللهِ ورُسُلِهِ ويقولون نؤمنُ ببعْضٍ ونكفُرُ ببعض ويريدونَ أن يتَّخِذوا بين ذلك سَبيلاً أُولَئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ حَقّاً وَّأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرينَ عَذَاباً مُّهيناً﴾** [النساء: ١٥٠-١٥١].

۞۞۞

المناقشة

س١- ما معنى الركن ، وما أركان الإيمان؟

س٢- ما معنى الإيمان في اللغة والشرع؟

س٣- اذكر آية من القرآن فيها ذِكر أركانِ الإيمان؟

س٤- اذكر دليلاً من السنَّة على أركان الإيمان السِّتَّة؟

س٥- وضِّح معنى الإيمان الإجمالي بكُلٍّ مما يأتي:

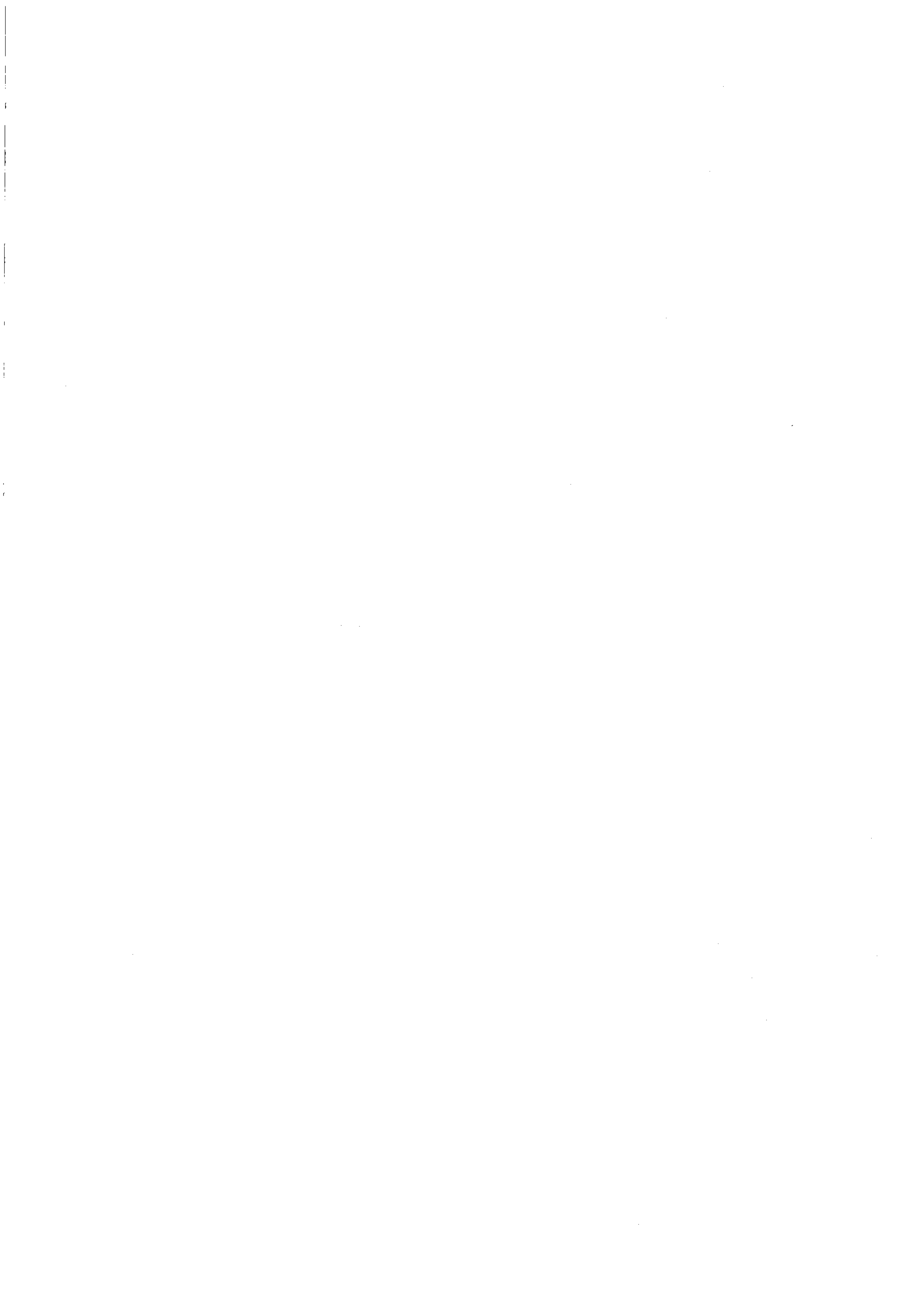
الإيمان با للهِ - بالملائكة - بكُتُبِ ا لله سبحانه - بالرُّسُل - باليومِ الآخر - بالقَدَر .

س٦- لِمَ لَم يَذكُر القرآنُ الكريم (الإيمانَ بالقدرِ) ركناً مستقِلاً من أركانِ الإيمان؟

س٧- ماذا يشمل الإيمانُ بكتبِ ا لله سبحانه؟

س٨- ما معنى الغيبِ في اللغة ، وما المرادُ منه في الشرع؟

س٩- ما حُكمُ مَن آمنَ ببعض العقائِدِ الإيمانِيَّةِ وكَفَرَ ببعضِها الآخر؟



الفصل الأول

الإيمان بالله

١- الإيمان بوجودِ الله تعالى .

٢- توحيد الله تعالى .

٣- كمالُ الله سبحانه .

٤- عبادةُ الله عزَّ وجلّ .



الدرس الثالث

الإيمانُ با لله عزَّ وجَلّ

معناه:

الإيمانُ با لله تعالى هو الاعتقاد الجازمُ بأَنَّ ا لله حقٌّ ، وأنه واحدٌ لا شريكَ له ، وأنه متَّصِفٌ بكل كمالٍ ، ومُنَزَّهٌ عن كل نَقْصٍ ، وأنه وحدهُ سبحانه المستحِقُّ لأن نعبدَهُ ونطيعَه .

١- الإيمانُ بوجودِ ا لله تعالى

"الإيمانُ بِأَنَّ ا للهَ سبحانه وتعالى هو حقٌّ -واجب الوجود- ، أول واجب إيماني ، فقد قال سبحانه: ﴿**ذلكَ بِأَنَّ ا للهَ هُوَ الحقّ**﴾ [سورة الحج: ٦٢] ﴿**أنَّ ا للهَ هُوَ الحَقُّ المبين**﴾ [سورة النور: ٢٥] ، ﴿**فَذَلِكُمُ ا للهُ رَبُّكُمُ الحَقُّ**﴾ [سورة يونس: ٣٢] .

ومعنى الحق في اللغة هو: ما وَجَبَ إثباتُه والاعترافُ به ، ولا يمكن إنكارُهُ والشكُّ فيه لقوة ثبوتِه وقطعِيَّةِ حجته .

فوجودُ ا لله سبحانه حقٌّ ثابت ، مركوزٌ في الفِطَرِ السليمة ، واضحٌ في العقول السَّوِيَّة . وقد تظاهرت الأدلةُ والبراهين على إثبات وجوده سبحانه ، فهو سبحانه ﴿**الحقُّ المبين**﴾ أي: الذي لا يخفى إثباتُ وجودِهِ

على أيِّ عاقل ، بل هو سبحانه ﴿الظاهر﴾ ولا أظهرَ وجوداً منه ، فلا يُشَكُّ فيه ، كما أنه لا شك في وجود الكائنات المشهودة .

قال تعالى: ﴿أَفِي اللهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ..﴾ [إبراهيم: ١٠] ، فكما أنه لا شك في وجودِ السمواتِ والأرضِ المشهودة بالأبصار ، فإنه من باب أَوْلَى لا شك في وجودِ مَنْ أَوْجَدَ السمواتِ والأرض ، وهو الله تعالى" [١] .

والأدِلَّةُ على وجودِ الله كثيرة ، من أهَمِّها:

١- دلالة الفطرة:

والفِطْرَةُ هي الخِلْقة التي خَلَقَ اللهُ الناسَ عليها ، فقد خَلَقَ اللهُ الإنسانَ وفي أعماقه شعورٌ كامِنٌ بوجود الخالق سبحانه .

قال تعالى: ﴿فِطْرَةَ اللهِ التي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠] .

وقد يعاند بعض الناس ، وتنحرف فطرتهم عند الرخاء ، فيجحدونَ وجودَ اللهِ تعالى ، أو يغفلون عنه سبحانه ، فإذا أحاطَتْ بهم الشدائد لجؤوا إلى اللهِ عزَّ وجَلّ الذي يجيب المضْطر إذا دعاه .

وقد ذَكَرَ اللهُ تعالى ذلك عن المشركين فقال سبحانه:

---

(١) "هدي القرآن إلى الحجة والبرهان" ، للشيخ عبد الله سراج الدين ص ٧٤-٧٥ بتصرف .

﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا ا للهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدينَ[1]﴾ [لقمان: ٣٢] ، وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاه[2]﴾ [الإسراء: ٦٧] .

٢- دلالة الكون:

إنَّ هذا الكونَ بكل ما فيه من مخلوقاتٍ شاهدٌ على وجودِ خالقه العَلِيِّ القدير ، وذلك من وجهين: الخَلقُ ، والإتقان .

(أ) أمَّا الخلق:

فهو تكوينُ الأشياء وإيجادُها بعد العدم ، والبداهة تقضي بِأَنَّ كُلَّ مخلوقٍ لابدَّ له من خالق .

فانظر إلى نفسك وما يحيط بك ، فهل خَلَقْتَ نفسَكَ؟ أو خَلَقْتَ السماءَ والأرض؟

إنَّكَ لا تستطيع أن تدَّعي ذلك ولا غيرك ، ومن البديهي أنها لا يمكن أن توجِدَ نفسَها ، وأنه لابدَّ من موجِدٍ لها ؛ فلم يبقَ إلاَّ اللهُ الذي

---

(١) **كالظُّلَل:** أي كالجبال ، **دَعَوا ا لله مخلصينَ لَهُ الدين:** أي أَنَّ الإنسان إذا وقع في شدةٍ ابتهل إلى ا لله تعالى بالدعاء ، وتركَ كل ما عداه ، ونسي جميع مَن سواه .

(٢) أي: إذا أصابتكم الشدَّة وخوف الغرَق في البحر ، ذهب عن أذهانكم وخواطركم كل مَا تدعون من الأصنام وغيرها .

أوجدها .

قال تعالى: ﴿**أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الخَالِقُون؟! أَمْ خَلَقُوا السَّموات وَالأَرْضَ؟؟ بَل لاَّ يُوقِنون**﴾ [الطور: ٣٥-٣٦] .

وهذه الحقيقةُ التي عبَّرَ عنها الأعرابي الساذج حينَ سُئِلَ عن وجودِ الله سبحانه ؛ فقال: "البَعرةُ تَدُلُّ على البَعير ، وأثرُ القَدَمِ يدلُّ على المسير ، فسماءٌ ذاتُ أبراجٍ ، وأرضٌ ذاتُ فِجاج ، وبِحارٌ ذاتُ أمواجٍ ؛ أفلا تدُلُّ على اللطيف الخبير!!" .

(ب) وأما الإتقان:

فكلُّ ما في هذا الكون آياتٌ تدلُّ على عظمة صانعها ، وحكمة مقَدِّرِها ، وتنظيم مُبدِعِها ، هذا الإبداع العجيب المتقَن نجده في الكون من حولنا ، وفي خلق الإنسان وتكوينه ، وفي عالم الحيوان ، وعالم النبات ، وكلما تقدَّم العلم وازدادت المعارف الكَوْنِيَّةُ ازداد المؤمن إيماناً بالصَّانع الحكيم .

قال تعالى: ﴿**صُنْعَ اللهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيء**﴾ [النمل: ٨٨] .

وقال سبحانه: ﴿**الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى**﴾ [طه: ٥٠] .

وقد دعانا الله سبحانه إلى النظرِ والتفكُّرِ في صُنْعِ اللهِ الذي أتقَنَ

كُلَّ شيء .

قال تعالى: ﴿وَفِي الأَرْضِ آياتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ، وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢٠-٢١].

وقال سبحانه: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَادًا ، وَالجِبَالَ أَوْتَادًا ، وَّخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ، وَّجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ، وَّجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ، وَّجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ، وَّبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعاً شِدَادًا ، وَّجَعَلْنَا سِرَاجًا وَّهَّاجًا ، وَّأَنْزَلْنَا مِنَ المُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ، لِنُخْرِجَ بِهِ حَبّاً وَّنَبَاتًا ، وَّجَنَّاتٍ أَلْفَافًا﴾ [(١)] [النبأ: ٦-١٦] .

وقال عزَّ وجَلّ: ﴿فَلْيَنظُرِ الإنسَانُ إِلَى طَعَامِه أَنَّا صَبَبْنَا المَاءَ صَبًّا ، ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقًّا ، فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا وَّعِنَباً وَّقضْبا وَّزَيْتُوناً وَّنَخلا وَّحَدَائِقَ غُلْبًا وَّفَاكِهَةً وَّأَبًّا مَّتَاعاً لَّكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ[(٢)]﴾ [عبس: ٢٤-٣٢] .

وقال سبحانه: ﴿أَفَلاَ يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ، وَإِلَى

---

(١) **مِهاداً:** فِراشاً للاستقرار عليها . **أَوْتَاداً:** أي كالأوتاد للأرض ، لِئَلاَّ تَميدَ بنا .**سُباتاً:** قَطْعاً لأعمالكم وراحة لأبدانكم **سِراجاً وَهَّاجاً:** مصباحاً غاية في الحرارة وهي الشمس . **المعصِرات:** السحائب . **ماءً ثَجَّاجاً:** مُنْصَبّاً بكثرة . **أَلْفافاً:** ملتفة الأشجار لكثرتها .

(٢) **قَضْباً:** علَفا رطباً للدواب . **حَدَائِقَ غُلباً:** بساتين عظاماً متكاثفة الأشجار . **أَبّاً:** كلأً وعشباً ، أو هو التبن خاصة .

السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَت ، وَإِلى الجبالِ كَيْـفَ نُصِبَـتْ ، وَإِلى الأَرْضِ كَيْـفَ سُطِحَت﴾ [الغاشية: ١٧-٢٠].

وإليكَ هذه الأمثلة من العناية الحكيمة والإتقانِ العجيب في الأنفس والآفاق:

١- أمَّا الأنفس:

فمثالها خلق الإنسان ، واقْرَأْ قَوْلَهُ تعالى: **﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ من طِينٍ ، ثُـمَّ جَعَلْنَـاهُ نُطْفَـةً في قَـرَارٍ مَّكِـينٍ ، ثُـمَّ خَلَقْنَـا النُّطْفَـةَ عَلَقَةً ، فَخَلَقْنَا العَلَقَةَ مُضْغَةً ، فَخَلَقْنَا المضْغَـةَ عِظَامـاً ، فَكَسَـوْنَا العِظَـامَ لَحْمـاً ، ثُـمَّ أَنشَـأْنَاهُ خَلْقـاً آخـرَ ؛ فَتَبَـارَكَ الله أَحْسَـنُ الخَـالِقِين﴾**[1] [المؤمنون: ١٢-١٥] .

فهــذه الآيــات تلفــت نظــر الإنســان إلى أنــه كــان نُطْفَــةً في الرحـم ، فصـارت النطفــة بقُــدْرَةِ اللهِ وإبداعِــهِ عَلَقَــةً ، ثــم مُضْغَــةً ، ثُمَّ عِظاماً ، ثُمَّ لحمــاً وأعضــاءً وحــواسَّ .. ثُــمَّ يخـرج بعـد تلـك الأطـوار بَشَراً سويّاً على أحسن خِلْقَة .

---

(١) **قرارٍ مكين:** الرَّحِم ، **عَلَقَةً:** قطعة دم جامد ، **مُضْغَةً:** قطعة لحـم صغـيرة ، وهـذه الآية من أظهر صُوَرِ الإعجاز العلمي في القرآن ، وانظر كتـاب: "خَلـق الإنسـان بين الطب والقرآن" للدكتور محمد علي البار.

٢- وأمَّا الآفاق:

فمثالها هذه الكواكبُ التي نراها في السماء، تسيرُ بسرعة مُذْهِلَةٍ مقدَّرة، لا تنحرف مداراتها، ولا تتخلف عن مواعيدها ؛ ولا تسقط على ضخامتها، ولا تتصادَمُ ببعضِها.

قارِن بينها وبين الكرةِ الخفيفةِ الضَّئيلةِ التي تنطلق في الفضاء لحظةً، ثُمَّ لا تلبث أن تسقط على الأرض -على خِفَّتها وضآلتها- .

وقارِن بينها وبينَ هؤلاء المشاةِ الذينَ يصطدم بعضهم ببعض وهم أصحاب عقلٍ وبصَر .

فمَن الذي أمسك هذه الكواكب فلا تقع، وسَيَّرَها فلا تصطدم؟

إِنَّهُ الله وحده، وصَدَقَ الله العظيم: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ أَن تَزُولا﴾ [فاطر: ٤١]

وقال سبحانه: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّها ذَلِكَ تَقْدِيرُ العَزِيزِ العَلِيمِ، وَالقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالعُرْجُونِ القَدِيمِ ، لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ القَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ في فَلَكٍ يَسْبَحُونَ[1]﴾ [يس: ٣٨-٤٠] .

---

(١) **لمستقرٍّ لها:** لحدٍّ لها مقدَّرٍ تنتهي إليه من فلكها آخر السنة، أو لحدٍّ لها من مسيرها كل يوم .**والقمرَ قدَّرناه:** أي قدّرنا نوره ومسيره، **منازل:** وهي ثمانيةٌ=

وقد ذَكَرَ الله تعالى دَلالَتَي الآفاق والأنفس في قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِم آياتِنا في الآفَاقِ وَفي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَقّ أَوَلَمْ يكْفِ بربكَ أنَّهُ عَلَى كُل شيءٍ شهيد[1]﴾ [فصِّلَت: ٥٣] .

۞۞۞

=وعشرون منزلاً ينزلُ القمرُ كل ليلةٍ في منزلٍ منها لا يتعدَّاهُ . فإذا كان في آخرِ منازِلِهِ رقَّ وتقوَّس . **حَتَّى عاد كالعرجون**: من الانعراجِ ، وهو العودُ الأصفر العريض الخالي من الرُّطَب إذا يَبِسَ واعوَجَّ . **وكلٌّ**: أي الشموسُ والأقمار . **في فَلَكٍ يسبحون**: يسيرون ، والفلكُ مجرى الكواكب ومدارُ النجوم .

(١) **الآفاق**: أقطار السموات والأرض من الشمس والقمر والنجوم والأشجار والأنهار والنبات . **وفي أنفسِهِم**: يعني من لطيف الحكمةِ وبديعِ الصنعة . **حَتَّى يتبيَّنَ لهم أنه الحق**: يعني لا يقدر على هذه الأشياء إلاَّ الله تعالى ، وقيل: يتبيَّنُ القرآنُ أنه من عند الله . (الخازن ٤:٨٩) .

المناقشة

س١- ما معنى الإيمان با لله عزَّ وجَلّ؟

س٢- وجود ا لله سبحانه حقٌّ ، فما معنى الحق ، واذكر الدليل على ذلك؟

س٣- مِن الأدِلَّةِ على وجود ا لله تعالى: الفطرة ، فما معنى الفطرة ، وكيف تستدل بها على وجود ا لله سبحانه؟ .

س٤- مِن الأدلةِ على وجود ا لله تعالى: الخَلْق ، فما معنى الخَلْق ، وكيف تستدل به على وجود ا لله عزَّ وجَلّ؟

س٥- كلُّ ما في الكون خلقَهُ ا لله سبحانه بإتقانٍ عظيم ، وتنظيمٍ دقيق ، بَيِّنْ ذلك؟

س٦- مِن أدِلَّةِ الإتقان: خلقُ الإنسان ، اذكر الآيات التي تُذَكِّر الإنسان بمراحل خَلقِه؟

س٧- مِن أدِلَّةِ الإتقان: الكواكب التي نراها في السماء ، فكيف تستدل بها على وجود ا لله سبحانه مع الدليل؟

الدرس الرابع

٢- توحيد الله تعالى

توحيد الله تعالى: هو الإيمانُ بأَنَّ الله واحدٌ لا شريك له في ذاته[١] ، ولا في صفاته[٢] ، ولا في أفعاله[٣] ، فهو سبحانه ربُّ العالمين خالقُ الكونِ ومدَبِّرُه ، وهو المستحقُّ للعبادة وحده .

الدليل على وحدانِيَّةِ الله:

١- دليل الخَلْق:

كما دلَّ هذا الكونُ بخلقه وإبداعِهِ على وجودِ الله سبحانه ، وأنه الخالق المدَبِّرُ ، دلَّ كذلك على وحدانيَّة الله ، وأنه المتفرِّدُ بالخَلْقِ وَحدَه .

فكُلُّ ما في هذا الكون يشهدُ أَنَّ خالق هذا الكون واحدٌ لا

---

(١) ومعنى أنه واحدٌ في ذاته **"وحدة الذات"**: أَنَّ ذاته ليست مرَكَّبة من أجزاء ، وليست هناك ذاتٌ تشبه ذاته تعالى .

(٢) ومعنى أنه واحدٌ في صفاته **"وحدة الصفات"**: أنه تعالى ليست له صفتان من جنسٍ واحد ، كقدرتين مثلاً ، وأنه ليس لغيره صفة تشبه صفته ، وأنه منفردٌ بهذه الصفات .

(٣) ومعنى أنه واحدٌ في أفعاله **"وحدة الأفعال"**: أنه تعالى المنفرد بالخلق والتكوين لجميع الكائنات.

شريك له.

قال تعالى: ﴿وإِلـهُكُمْ إِلهٌ وَّاحِدٌ لاَّ إِلهَ إِلاَّ هُـوَ الرَّحْمـنُ الرَّحِيـم ، إِنَّ فِي خَلْقِ السَّموَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْـلِ وَالنَّهَـارِ وَالفُلْـكِ الَّـتِي تَجْرِي فِي البَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ ا للهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِ دَابَّـةٍ وَّتَصْرِيـفِ الرِيَـاحِ وَالسَّـحَابِ المسَخَّرِ بَيْـنَ السَّـمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَـوْمٍ يَّعْقِلُـون﴾[1]

[البقرة: ١٦٣-١٦٤] .

٢- دليل النظام الموحَّد:

إِنَّ الناظرَ إلى الكون ، والمتأمِّلَ في عجيب نظامه ، وإحكامِ صُنْعِـهِ ، لَيرى أنه يسير على نظـامٍ واحـد ينسِّق بـين أجزائـه جميعـاً ، هـذا النظـام

---

(١) ذَكَرَ ا لله سبحانه ثمانية أنواع من عجائب مخلوقاته الدالة على وحدانيته :

١- خلقُ السموات والأرض . ٢- اختلاف الليل والنهار .

٣- السّفن التي تجري في البحر . ٤- ركوبها والحمل عليها .

٥- نـزول المطـر مـن السـماء الـذي جعلـه ا لله سـبباً لحيــاة النبــات والحيــوان والإنسان .

٦- ما فَرَّقَهُ على الأرض من جميع الخلق من الناس وغيرهم .

٧- تصريف الرياح في مهابّها . ٨- السـحاب المسـخّر المعلـق بـين السماء والأرض . .

ففي هذه الأنواع الثمانية دلالة عظيمة على وحدانية الخالق سبحانه .

المحكَم في صنع ا لله يَدُلُّ على أنه صدَرَ عن إلهٍ واحد حكيمٍ عليم .

قال تعالى: ﴿**مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمنِ مِن تَفَاوُت**[1]﴾ [الملك: ٣].

وقال تعالى: ﴿**أَم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَّعَ ا للهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ أَم مَّن جَعَلَ الأَرْضَ قَرَاراً وَّجَعَلَ خِلاَلَهَا أَنْهَاراً وَّجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ البَحْرَيْنِ حَاجِزاً أَإِلَهٌ مَّعَ ا للهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُون**﴾ [2] [النمل: ٦٠-٦١].

٣- عدم فساد الكون:

المقرَّر عند الناس جميعاً أَنَّ السفينةَ لا يُسَيِّرُها إلاَّ رُبَّانٌ[3] واحد ، ولو تَعَدَّدَ رؤساؤها لاضْطَرَبَتْ وَغَرِقَتْ ، وكذلك الجيش لا يصلح إلاَّ بقائدٍ واحد ، والمصنع والمدرسة والأسرة..

قال تعالى: ﴿**لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ ا للهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ ا للهِ رَب**

---

(١) **تفاوُت:** أي اختلاف واضطراب ، وحقيقةُ التفاوت: عدمُ التناسبِ كأنَّ بعض الشيءِ يفوتُ بعضاً ولا يُلائِمُه .

(٢) **حدائق ذاتَ بهجة:** أي بساتين ذات منظر حسن ، **يعدلون:** يشركون ، **رواسي:** أي جبالاً ثوابت ، **بين البحرين:** أي العذب والملح ، **حاجزاً:** مانعاً لا يختلط أحدهما بالآخر .

(٣) الرُّبَّان: رئيس الملاَّحين ، وجمعها: رَبَابين .

الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [1] [الأنبياء: ٢١-٢٢] ، فلو كان لهذا الكون خالِقان لفسد الكون ، لأنهما لو اتفقا إرادةً وخلقاً فيعني أَنَّ كل واحدٍ منهما يحتاج للآخر ، والإله لا يحتاج ، وإن اختلفا فسَدَ الكون لا محالة .

ولو كان في الكون إلهان يُعبَدان ويُطاعان من دونِ الله لفسد الكونُ أيضاً ، فَلاَ يستحق العبادة مَعَ الله أحدٌ غير الله تعالى .

ومِنَ الآياتِ التي ذَكَرَها الله سبحانه للدلالة على وحدانيته قوله جلَّ شأنُه: **﴿ما اتَّخذَ الله مِن وَّلَد وَّما كانَ معهُ من إلهٍ إذاً لذَهَبَ كُلُّ إلهٍ بِما خَلَقَ ولَعَلا بعضُهُمْ عَلَى بعضٍ سُبْحَانَ اللهِ عمَّا يَصِفُون﴾** [المؤمنون: ٩١] .

ففي هذه الآية دليلانِ على بطلانِ تعدُّدِ الآلِهَة:

(أ) قولهُ تعالى: **﴿إذاً لذَهَبَ كُلُّ إلهٍ بما خَلَقَ﴾** أي لانفرد كلٌّ منهم بما خلق ، فيحصل التَّبايُن والاختلاف بين المخلوقات المُتَّحِدَةِ الأنواع ، فلا ينتظِمُ الكون ، والمشاهدُ أَنَّ هذا الكون وجِدَ على أَتَمِّ نظامٍ ، وأبدعِ صُنْع .

(ب) وقوله تعالى: **﴿ولَعَلا بعضُهُمْ على بعض﴾** أي لَقَهَرَ كلٌّ إلهٍ الآخر وغلبَه ، والعقل يقتنع بوجود التحارب والتغالب عند تعدُّدِ الحاكم . ومَن ظنَّ أَنَّ الإله يمكن أن يتَّفِقَ مع غيره جرَّدَهُ من

---

(١) **فيهما:** أي في السماء والأرض ، **لفسدَتا:** لخربتا وهلك مَن فيهما .

معناه ، وأخرجه عن حقيقته ، وجعله مقهـوراً بمقتضـى الاتفـاق ، لأن معنى الإله: أنـه صـاحب السـلطان المطلـق ، والنفـوذ التـام ، والقهر والغلبة .



المناقشة

س١ – ما معنى توحيد الله عزَّ وجَلّ؟

س٢ – مِن أدِلَّةِ الوحدانية: دليل الخلْق ، وضح ذلك مع الدليل؟

س٣ – مِن أدِلَّةِ الوحدانية: دليل النظام الموحَّد ، بين ذلك مع الدليل؟

س٤ – مِن أدِلَّةِ الوحدانية: عدم فساد الكون ، اشرح ذلك مع الدليل؟

س٥ – في قوله تعالى: ﴿ما اتَّخَذَ اللهُ مِن وَّلَدٍ وما كانَ معهُ من إلهٍ إذاً لذَهَبَ كلُّ إلهٍ بما خلقَ ولَعَلا بعضهم على بعض﴾ دليلانِ على الوحدانية ، وضحهُما في ضوء ما تعرفه من تفسير هذه الآية ؟

س٦ – بِمَ تَرُدُّ على مَن يقول: إنَّه يمكن تعدد الآلِهَة إذا وُجدَ اتفاقٌ بينهم؟ .

الدرس الخامس

حقيقة التوحيد

فَصَّلَ القرآن حقيقة التوحيد ومعانيه ، و لم يترك القرآن أيَّ حقيقةٍ من حقائق التوحيد إلاَّ وبيَّنَها ، وأقام الدليل عليها ، وأهم هذه الحقائق[1]:

١- إفرادُ الله في الخَلْق:

فالله وحده هو الذي خَلَقَ كُلَّ هذا العالم ، والخلقُ يقتضي الرَّزْقَ[2] والإحياءَ والإماتةَ والتدبير.. فهو خالق الإنسان ، وخالق السمواتِ والأرض ، والأنعام ، والنبات.. وقد فصَّل القرآن أنواعَ الخلق في آياتٍ كثيرة ، وأجمله سبحانه بقوله: ﴿**الله خالقُ كلِّ شيء**﴾ [الزمر: ٦٢] . ولا يستطيعُ أحدٌ من خلقه أن يدَّعي أنه الخالق أو الرازق أو المدبر لِذَرَّةٍ في السماء أو في الأرض: ﴿**وَمَا يَنبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُون**﴾ [الشعراء: ٢١١] .

٢- إفرادُ الله سبحانه في المُلْك:

إذا كان الله سبحانه هو الخالقُ ، فهو المالكُ الحقيقيُّ لخَلْقِه .

قال تعالى: ﴿**وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْك**﴾ [الفرقان: ٢] .

---

(١) العقيدة الإسلامية في القرآن ومناهج المتكلّمين ، ص ٩٥-٩٩ بتصرف .

(٢) الرَّزقُ: بفتح الراء ، إيصال الرِّزق ، والرِّزقُ: بالكسر ، ما يُنتَفَعُ به.

﴿ للهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: ١٢٠] ، وما يملكه الإنسان هو تسخيرٌ وعطاءٌ من الله سبحانه .

قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْه﴾ [الجاثية: ١٣] .

وإذا تَقَرَّرَ أَنَّ الله سبحانه له الخلق والأمرُ كُلُّهُ: فلا خالق إلاَّ الله ، ولا رازقَ إلاَّ الله ، ولا مُدَبرَ إلاَّ الله وحده ، ولا مالِكَ إلاَّ الله ؛ فَإِنَّ هذا يوجبُ تعلُّقَ قلوبنا با لله عزَّ وجَلّ وحده ، والتَّوَكُّلَ عليه ، وسؤالَه والافتقارَ إليه ، لأنه سبحانه خَالِقُنَا ورازقُنا ومالكُنا .

٣- إفرادُ الله سبحانه في الحُكْمِ والتشريع والأمر والنهي:

الله سبحانه هو الخالق لخلقه والمالك لهم فيجب أَلاَّ نبتغي غيره سبحانه حَكَماً.

قال تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ اللهِ أَبْتَغِي حَكَماً وَّهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إليكُمُ الكِتَابَ مُفَصَّلا﴾ [الأنعام: ١١٤] .

ومعنى ذلك: رفض الخضوع لكل حُكْمٍ غيرِ حُكْمِ الله ، وكل أمر غيرِ أمر الله ، وكل قانونٍ غيرِ شرع الله ، وكل وضعٍ أو فهمٍ أو فكرةٍ لم يأذَن بها الله ، ومَنْ قَبِلَ شيئاً من ذلك فقد أَبْطَلَ حقيقة أساسيةً من حقائق التوحيد ؛ لأنه ابتغى غير اللهِ حَكَماً ، والحُكْمُ

والتشريعُ من حَقِّ ا لله وحده .

قال سبحانه: ﴿إِنِ الحكمُ إلاَّ للهِ أَمَرَ ألاَّ تعبدوا إلاَّ إيَّاه﴾ [يوسف: ٤٠] .

وقال سبحانه: ﴿ومَن لَّمْ يحكم بما أنزَلَ ا لله فأُولَئِكَ هُمُ الكَافِرُون﴾ [المائدة: ٤٤] .

٤- إفرادُ ا للهِ سبحانه وتعالى في العبادة:

فإذا كان ا لله سبحانه هو الخالقَ المالكَ الحاكمَ المشَرِّعَ فيجب أن تكون الطاعةُ والعبادة لله وحده .

فالعبادة حقُّ ا للهِ على العباد ، وهي دعوةُ جميع الأنبياء والمرسلين: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥] .

وقال سبحانه: ﴿وَاعْبُدُوا ا للهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦].

والعبادة هي مطلوبُ ا للهِ سبحانه من الخلق . قال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] .

فا لله تعالى وحده هو المستحقُّ لجميع أنواع العبادة الظاهرة مثل: الصلاة ، والزكاة ، والصيام ، والدعاء ،... والباطنة ، مثل: الخوف ، والرجاء ، والتوكل .

٥- إفرادُ الله سبحانه بأسمائِه وصفاتِه وأفعالِه:

فالله سبحانه لا شريكَ له في ذاتِه ، ولا في أسمائه ، ولا في صفاتِهِ ، ولا في أفعاله ، فنُثْبِتُ لله سبحانه ما أثبتَ لنفسِهِ من صفات ، وننفي عنه سبحانه ما نفى عن نَفْسِهِ من صفات ، ونُنَزِّهُهُ عن مشابهةِ خَلْقِه .

والله سبحانه قد وصَف نفسه بصفاتٍ خَاصَّةٍ له وحده ، وصفاته سبحانه لا تماثل صفات المخلوقين .

قال تعالى: ﴿**ليسَ كمِثْلِهِ شيءٌ وَّهُوَ السَّمِيعُ البَصِير**﴾ [الشورى: ١١] ، فالله تعالى منزَّهٌ عن مماثلة أحدٍ من مخلوقاته في جميع أسمائه وصفاته وأفعاله ، ولا يمكن لأحد من الخلق مهما عَلَتْ منزلته عند الله أن يحيط به علماً سبحانه ، كما قال تعالى: ﴿**يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً**﴾ [طه: ١١٠] .

وقال سبحانه: ﴿**لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِير**﴾ [الأنعام: ١٠٣] .

والمؤمن يسألُ الله سبحانه ويدعوه بأسمائه وصفاته .

قال تعالى: ﴿و للهِ الأسماءُ الحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [1] [الأعراف: ١٨٠].

وقال تعالى: ﴿هُوَ اللهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمنُ الرَّحِيمُ ، هُوَ اللهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الملِكُ القُدُّوسُ السَّلامُ المؤْمِنُ المهَيْمِنُ العَزِيزُ الجبَّارُ المتكَبِّرُ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ، هُوَ اللهُ الخَالِقُ البَارِئُ المصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الحَسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾ [2] [الحشر: ٢٢-٢٤].

---

(١) يعني ادعوا اللهَ بأسمائه التي سمَّى بها نفسهُ أو سمَّاه بها رسوله ، وفيه دليلٌ على أَنَّ أسماء اللهِ تعالى توقيفية لا اصطلاحية ، ومما يدلُّ على ذلكَ أنه يجوزُ أن يُقال: يا جواد ، ولا يجوز أن يُقالَ: يا سَخِيّ ، ويجوز أن يُقالَ: يا عالم ، ولا يجوز أن يُقالَ: يا عاقل .

(٢) **القدُّوس:** أي الطاهر عن كل عيبٍ ، المنزَّه عمَّا لا يليق به . **المهيمن:** الشهيد على عبادِه بأعمالِهم الَّذِي لا يغيب عنه شيء . **الخالق:** المبتدئ للخلق المخترع له على غير مِثالٍ سبق . **البارئ:** المنشئ لِما يريد بخلقه فيظهره من العدَم إلى الوجود . **المصور:** لِما خَلَقَهُ وأنشأه على صورٍ مختلفة وأشكالٍ متباينة .

وقال عزَّ وجَلّ : ﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ والبَاطِنُ وَهُوَ بِكُـلِّ شَيءٍ عَلِيم﴾[1] [الحديد: ٣] .

۞۞۞

(١) **الأول:** قبل كل شيءٍ بلا ابتداء ، كان هو و لم يكـن شـيء موجـوداً ، **والآخـر:** بعد فناء كل أحد بـلا انتهـاء ، **والظـاهر:** الغـالب العـالي علـى كـل شـيء ، أو الظاهر بالدلائل الدَّالَّة على وحدانيته ، **والبـاطن:** العـالِم بكـلِّ شـيء ، أو الَّـذِي احتجب عن العقولِ أن تُكَيِّفَهُ .

المناقشة

س١ – فصَّلَ القرآن حقيقة التوحيد ، عَددْ أهمَّ تلك الحقائق؟

س٢– ما معنى: إفراد ا لله في الخَلْق ، وماذا يقتضي الخَلْق؟

س٣– ا لله سبحانه هو المالك الحقيقيُّ لخلقه ، ما الدليل على ذلك؟

وماذا تسمي ما يملكه الإنسان؟

س٤– ما معنى إفرادِ ا لله عزَّ وجَلّ في الحكم والتشريع؟

س٥– اذكر بعض أنواع العبادة الظاهرة والباطنة التي يجب صرفها لله عـزَّ وجَلّ؟

س٦– ما معنى إفراد ا لله سبحانه بأسمائه وصفاته؟

س٧– اذكر دليلاً لكلٍّ مما يلي:

١– عبادة ا لله سبحانه هي دعوة جميع الأنبياء والمرسَلين .

٢– صفات ا لله سبحانه لا تماثِل صفات المخلوقين .

٣– لا يمكن لأحدٍ من الخلق أن يحيط علماً بذاتِ ا لله سبحانه .

٤– وجوب إفرادِ ا لله سبحانه في الحكم والتشريع .

الدرس السادس

الشرك: صُوَرُهُ وأنواعُه

"منذُ أقدمِ العصورِ ضَلَّ الناسُ عن التوحيد الَّذِي بعثَ ا للهُ به الرُّسُلَ ؛ فعبَدوا مِن دونِ ا لله آلهةً شتَّى ، عبَدَ قوم نوح: وَدّاً ، وسواعاً ، ويَغوثَ ، ويعوقَ ، ونَسْرا[1] ، وعَبَدَ قومُ إبراهيم: الأصنام ، وعبَدَ قدماءُ المصريين: العِجل ، وعبدَ الهندوس: البقر ، وعبدَ أهل سبأ: الشمس ، وعبَدَ الصابئون: الكواكب ، وعبَدَ المجوسُ: النار ، وعبَدَ العرب: الأوثانَ والحجارة ، وعبدَ النصارى: المسيح وأمَّه ، وعبدوا الأحبارَ والرهبانَ من دون ا لله ، فهؤلاء كلُّهُم مشركون ، لأنهم لم يفردوا ا للهَ تعالى بالعبادةِ التي لا تُستَحَقُّ لأحدٍ غير ا لله" [2] .

---

(١) روى البخاري في صحيحة (٤٩٢٠) في كتاب التفسير ، تفسير سورة نوح ، عن ابن عباسٍ قال: "هذه أسماءُ رجالٍ صالحين من قومِ نوحٍ ، فلَمَّا هلكوا أوحى الشيطانُ إلى قومهم: أن انصِبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً ، وسَمُّوها بأسمائهم ، ففعلوا ، ولَم تُعبَد ، حَتَّى إذا هلك أولئك ونُسِيَ العلم ، عُبِدت" .

(٢) حقيقة التوحيد ، للدكتور يوسف القرَضاوي ، ص ٢٤ .

تعريفه:

الشِّركُ ضِدُّ التوحيد ، وهو اتِّخاذُ شريكٍ للهِ تعـالى في الـذَّاتِ ، أو في الصِّفاتِ ، أو في الأفعال ، أو في العبادة.

فالشركُ في الذات: أن يعتقدَ أَنَّ ذاتَ ا للهِ كذاتِ المخلوق ، كما قالت المجسِّمة .

والشركُ في الصفات: أن يعتقدَ أَنَّ للمخلـوقِ صفـةً كصفـاتِ ا لله سبحانه وتعالى .

والشـركُ في الأفعـال: أن يعتقـدَ أَنَّ مخلوقـاً يـرزقُ ، ويتصـرَّف في الكائناتِ كما يتصرَّفُ ا للهُ تعالى .

والشركُ في العبادة: أن يعبد غيرَ ا لله ، وأن يعظِّمَه كتعظيـمِ ا لله ، وأن يحبَّه كحُبِّ ا للهِ[1] .

وقـد حـذَّرَ الإسـلامُ مـن الشـرك ، ونهـى عنـه بكـل صُـوَرِهِ وأشكالِه[2].

---

(١) العقيدة الإسلامية ، للدكتور مصطفى الخن: ص٥٦٧-٥٦٨ .

(٢) العقيـدةُ الإسـلامية في القـرآن ومنـاهج المتكلِّمـين ، ص ١٠٤-١٠٦ بتصـرُّفٍ وزيادة .

من صُوَرِ الشِّرك:

١- عبادةُ الأصنام:

وهي التماثيل التي عُبِدَت من دونِ الله ، وكان المشركون يعبدونَ الأصنام والأوثان ، وقد حذَّرَ القرآن من عبادتها .

قال الله تعالى: ﴿**فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ**﴾ [الحج: ٣٠] .

ووصفها القرآن بما ينفِّر الناس عنها ويبعدهم عن عبادتها ، وذكر قصةَ محطِّم الأصنام إبراهيم عليه السلام وقولَه لأبيه: ﴿**يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لاَ يَسْمَعُ وَلاَ يُبْصِرُ وَلاَ يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا**﴾ [مريم: ٤٢] .

٢- عبادةُ الشمسِ والقمرِ والكواكب:

وقد ردَّ الله تعالى على مَن عَبَدَ الشمسَ والقمرَ والكواكبَ بقوله: ﴿**وَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ**﴾ [الأعراف: ٥٤] .

وحذَّرَ من عبادَتِها ، والسجودِ لها ، قال تعالى: ﴿**لاَ تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلاَ لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا للهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ**﴾ [فصلت: ٣٧] .

٣- عِبادة الملائكةِ والجن:

عَبَدَ المشركون الملائكةَ والجنَّ واتَّخذوهم شركاء لله .

قال ا لله تعالى: ﴿وجعلوا لله شركاءَ الجنَّ﴾ [الأنعام: ١٠٠] .

وقال سبحانه: ﴿**وَيَوْمَ يَحْشُرُهُم جَمِيعاً ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلائِكَةِ أَهَؤُلاَءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِم مُّؤْمِنُون**﴾ [1] [سبأ: ٤١-٤٢] .

أي أَنَّ الشياطين زيَّنوا لهم عبادةَ الملائكة ، وصوَّروا لهم صُوَراً وقالوا لهم: هذه صورُ الملائكة فاعبدوها . فأطاعوهم في ذلك فكانت طاعتهم للشياطين عبادةً لهم .

٤- عبادة الأنبياء:

كعيسى عليه السلام الذي عَبَدَهُ النصارى ، وجعلوه ابناً لله تعالى ، وعُزَيْرٍ الذي جعله اليهودُ ابناً لله عزَّ وجَلّ .

قال تعالى: ﴿**وَقَالَتِ اليَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ ا للهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى المسِيحُ ابْنُ ا للهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن**

---

(١) **سبحانك:** تنزيهاً لكَ أن نَعبدَ معكَ غيرك . **أنت وليُّنا من دونهم:** أي نحن نتولاَّكَ ولا نتولاَّهم ، والموالاةُ خلافُ المعاداةِ من الوَلْيِ وهو القربُ . **الجنَّ:** المرادُ بهم الشياطين . **أكثرُهم:** الإنسُ أو الكفَّارُ ، **بهم مؤمنون:** مصدقون للشياطين .

قَبْلُ قَاتَلَهُمُ ا للهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾[1] [التوبة: ٣٠] .

وقالَ سبحانه: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ ا للهَ هُوَ المسِيحُ ابْنُ مَرْيَم﴾ [المائدة: ٧٢].

٥- عبادةُ الأحبارِ والرُّهْبان:

وعبادَةُ الأحبار والرُّهبان تكون بجعلهم حُكَّاماً مشرِّعين ، قال تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهم أَرْبَاباً من دُون ا للهِ وَالمسيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِروا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهاً وَّاحِداً لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُون﴾ [2] [التوبة: ٣١] .

وقد بيَّن الرسولُ ﷺ معنى اتخاذهم أرباباً عندما قال له عَدِيُّ بن حاتم ﷺ: "إنهم لَم يعبدوهم؟ فقال: بلى ، إنهم حرَّموا عليهم الحلالَ ،

(١) **يُضَاهئون**: يشابهون ، **يُؤْفَكون**: يُصرفون عن الحق بعد وضوح الدليل وإقامة الحُجَّة بِأَنَّ ا لله واحد .

(٢) **الأحبارُ**: هم العلماءُ ، واحدُهُمْ حَبرٌ وحِبْرٌ بكسرِ الحاءِ وفتحها . **والرهبان**: أصحابُ الصوامع وأهل الاجتهادِ في دينِ النصرانية . **أرباباً**: يعني سادةً لَهُمْ في دين ا لله .

وأحلُّوا لهم الحرامَ ، فاتَّبعوهم فذلكَ عبادتُهم إيَّاهم"[1] .

٦- عبادة الطاغوت:

الطاغوتُ: كلمةٌ مشتقَّةٌ من "الطغيان" ، وهو مجاوزة الحد ، وهو كل ما عُبد من دون الله[2] ، ولقد كانت دعوةُ جميعِ الرسُلِ إلى قومهم ﴿**أنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ**﴾ [النحل: ٣٦] .

وأثنى الله على المؤمنين بقوله سبحانه: ﴿**والذينَ اجتَنَبُوا الطاغوتَ أن يَّعْبُدُوهَا وأنابُوا إلى اللهِ لَهُمُ البُشْرَى**﴾ [الزمر: ١٧] .

والتوحيد الحق لا يتم إلاَّ إذا انضم إليه الكفر بالطواغيت ، والبراءة منها ، قال تعالى: ﴿**فمن يَّكْفُرْ بالطاغوتِ ويُؤْمِن بالله فَقَدِ استَمْسَكَ بالعُرْوَةِ الوُثقى**﴾ [البقرة: ٢٥٦] .

---

(١) رواه الترمذي (٣٠٩٥) في كتابِ تفسيرِ القرآن ، وقال الترمذيُّ: هَذَا حديثٌ غريب . ورواه ابن جريرٍ الطبَري في تفسيره١٤: ٢٠٩-٢١٠ من ثلاث طرُقٍ.

(٢) اختلفت عبارات السلف في تحديد معنى الطاغوت ، فقال عمر ﷺ : الطاغوت: الشيطان ، وقال جابر ﷺ : الطواغيت كُهّانٌ كانت تنزل عليهم الشياطين ، وقال مالك: الطاغوت كل ما عُبِدَ من دون الله ، فكلُّ مَن أطاعَ أحداً في معصية الله فقد عبَدَه .

٧ – عبادةُ الهوى:

والهوى هو الميلُ والمحبة ، فيؤثِرُ ما تميل إليه نفسه وتُحِبُّهُ على طاعة الله عزَّ وجَلّ ومحبته ، فيكونُ بذلك مُتَّبِعاً لَهواهُ ، عابِداً لشهَواتِه ورغباتِه من دون الله .

قال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً﴾ [الفرقان: ٤٣].

وقال سبحانه: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ﴾ [الجاثية: ٢٣] ، ومعنى اتخاذ الهوى إلهاً أي: حَكَماً مُطَاعاً .

۞۞۞

المناقشة

س١- ما معنى الشِّرك؟

س٢- اذكر خمساً من صُوَرِ الشِّرك؟

س٣- كيف تكون عبادة الأحبار والرهبان ، واذكر دليلاً على ما تقول؟

س٤- ما معنى الطاغوت؟ ، وما موقف المؤمن منه مع الدليل؟

س٥- ما معنى الهوى ، وكيف يقع الشرك فيه؟

س٦- أكمل ما يلي:

أ - ردَّ الله سبحانه على عبَدَةِ الأصنام بقوله: ﴿.......... ....﴾ .

ب- وردَّ على مَن عَبَدَ الشمس والقمر والكواكب بقوله: ﴿...﴾ .

جـ- وحكمَ الله على الَّذِينَ جعلوا المسيح ابناً لله سبحانه بالكفر بقوله: ﴿...﴾ .

د - عَبَدَ قومُ إبراهيم ...... ، وعبَدَ قدماءُ المصريين .... ، وعبد الهِندوسُ ...... ، وعبَدَ أهل سبأ ..... ، وعبَدَ الصابئون .... ، وعبد المجوسُ .... ، وعبدَ العربُ .... ، وعبدَ النصارى .... و .... و .... ، فهؤلاء كلهم .... لأنهم لَم يُفردوا الله تعالى بـ........ .

الدرس السابع

أنواعُ الشرك

الشركُ نوعان: شركٌ أكبر، وشركٌ أصغر:

فالشركُ الأكبرُ: أن يجعلَ المرءُ لله تعالى شريكاً فيما هو من خالص حقه سبحانه، كأن يتَّخذَ مع الله إلهاً أو آلهةً، يعبُدُها، ويطيعُها، ويحِبُّها، ونحوَ ذلك مما لا يستحقُّهُ إلاَّ اللهُ جلَّ شأنه.

وهذا هو الشركُ الأكبرُ الَّذِي لا يغفرهُ الله، ولا يُدخلُ صاحبَهُ الجنَّة إن لَمْ يتُبْ منه.

والشركُ الأكبرُ نوعان: ظاهرٌ جَلِيٌّ، وباطنٌ خفِيٌّ[1].

فمنَ الشركِ الأكبرِ الظاهرِ: عبادةُ إلهٍ أو آلِهَةٍ مع الله، سواءٌ أكانَ هذا الإلهُ **كوكباً** كالشمسِ والقمر، أو **جماداً** كالأصنامِ والحجارة، أو كان **حيواناً** كالعِجلِ والبقَر، أو **إنساناً** كالذين عبدوا فرعون وأمثاله من الملوكِ الَّذِينَ ادَّعَوا الأُلوهية، أو ادُّعِيَتْ لَهم، وكذلك الَّذِينَ عبدوا "بوذا"، أو "المسيحَ عيسى ابن مريم"، أو كان من **المخلوقاتِ المغيَّبَةِ** عنّا، مثل: الملائكةِ، والجنِ، والشياطين.

---

(١) حقيقةُ التوحيد ص ٤٣-٤٩ باختصار.

والشركِ الأكبر الخَفِي: هـو الّـذِي يخفـى علـى كثـيرٍ مـن النـاس ، فيقَعونَ فيه دونَ أن يخطُرَ بأذهانهم أنه يُنافي عقيدةَ التوحيـد ، وقـد تسـلَّلَ إلى بعضِ المسلمين ، وانتشرَ في بعضِ المجتمعاتِ حَتّى أصبحَ عادةً دونَ أن يشعُروا به .

ومن أمثِلةِ ذلك: دعاءُ غيرِ ا للهِ تعالى من الموتى ، والاستعانةُ بهـم في قضاء الحاجاتِ وتفريجِ الكُرُباتِ مما لا يقدر عليه إلاَّ ا لله ، واعتقادُ أَنَّ هؤلاءِ يتصرَّفونَ في الأمورِ دونَ ا للهِ "وأنهم يضُـرُّونَ وينفعـون ، وأنَّ لهـم سُلطَةً وتأثيراً في الوجودِ وراء الأسباب والسُّنَنِ الكونية ، فيُدعَونَ من دونِ ا للهِ أو معَ ا للهِ" [1] .

قال تعالى: ﴿**ولا تَـدْعُ مـن دونِ ا للهِ مـا لا ينفعُـكَ ولا يَضُـرُّك**﴾ [يونس: ١٠٦].

ومـن الشـركِ الأكـبر الخفـي: اتخـاذُ غـيرِ ا لله مُشَـرعا: لأنَّ حـقَّ التشريعِ للهِ وحده ، فمـن اتَّخَـذَ غـيرَ ا للهِ تعـالى مُشَـرِّعاً فقـد اتخـذَهُ ربّـاً معبوداً ، وجعله لله شـريكاً ، وإن لم يُسَـمِّهِ بذلـك ، قـال سـبحانه: ﴿**أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم من الدينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ ا لله**﴾ [الشورى: ٢١] .

وقال تعالى: ﴿**وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُون**﴾ [الأنعام: ١٢١] .

---

(١) المصدر السابق ، ص ٧٠ .

"وإذا كان هذا حكمَ ا للهِ فيمن اتخذ غير ا لله مشرِّعاً ، واتَّبَعه فيما لم يأذَن به ا لله ، فكيفَ بمن جعلَ نفسه للهِ نِدّاً ، فأعطاها حقَّ الحكمِ والتشريعِ ، والتحليل والتحريم الَّذِي هو من خصائصِ الأُلوهية" [1] .

النوعُ الثاني: الشِّركُ الأصغر:

ودونَ الشِّركِ الأكبر: شركٌ أصغر ، لا يُخرجُ عن المِلَّةِ لكنه يُنقِصَ التوحيد ، ويثلمُ الإيمان ، وهو وسيلةٌ إلى الشركِ الأكبر ، ومن كبائر الذنوبِ عندَ ا لله .

والشِّركُ الأصغر قسمان أيضاً: ظاهرٌ جَلِيٌّ ، وباطنٌ خفيٌّ:

فمِن الشرك الأصغر الظاهر: ألفاظٌ وأفعال:

فالألفاظ: كالحلفِ بغيرِ ا لله تعالى ، والألفاظِ الموهِمَةِ للشِّركِ .

١- **الحَلِفُ بغيرِ ا لله تعالى:** كأن يحلف بالنَّبيِّ ، أو بالكعبةِ المشَرَّفَةِ ، أو بالوطَنِ ، أو الشَّرَفِ ، أو الآباءِ والأجداد ، وغير ذلك من المخلوقات .

وفي الحديثِ: "... ومَن حلفَ بغير ا للهِ فقد كفرَ أو أشرك" [2] .

وذلكَ لأن في القَسَمِ تعظيماً للمُقسَمِ به ، والذي ينبغي أن يُخَصَّ

(١) المصدر السابق ، ص ٤٩ .

(٢) رواه الترمذي في كتابِ النُّذورِ والأيمان (١٥٣٥) .

بالتعظيمِ هو ا للهُ وحده .

٢- الألفاظُ الموهِمةُ للشرك: ومن الشركِ الأصغر ألفاظٌ فيها إيهامٌ للشركِ ، وإساءةٌ للأدبِ مع ا لله تعالى .

وأمثلتها كثيرة:

أ - من ذلك قولُ القائل: "ما شاءَ ا للهُ وشِئتَ ، ولولا ا لله وفلان" ، وما شابهَ ذلك من الألفاظ .

والصوابُ أن يُقال: ما شاء ا للهُ ثُمَّ فلان ، ولولا ا لله ثُمَّ فلان ، لأن ثُمَّ تقتضي الترتيب مع التراخي ، فتُجعلُ مشيئةُ العبدِ تابعةً لمشيئةِ ا لله تعالى .

ب - ومن ذلك التَّسَمي بأسماء ا لله تعالى ، أو بما لا ينبغي إلاَّ لله . مثل: التَّسَمي بملك الأملاك ، والتَّكَنِّي بأبي الحكم .

جـ- ومِن ذلك: أن يسمَّى الإنسانُ باسمٍ معبَّدٍ لغير ا لله تعالى ، كعبدِ الكعبة ، أو عبدِ النبي ، أو عبد الحسين ، ونحوِ ذلك .

وأمَّا الأفعال: فمثل لبس حلقةٍ من المعدن ، أووضعِ خيطٍ يُربطُ بالعَضُدِ ، وتعليق التمائم[1] خوفاً من العين ، واعتقاد أنها أسبابٌ ووسائل

---

(١) التَّمائم: جمعُ تميمة ، وهي خرزةٌ تُعَلَّقُ للوقاية من العين ونحوها ، ومن ذلك أيضاً: ما يُعَلَّقُ على أبوابِ المنازل ، أو في مقدمة السيارات ونحوها من وضعِ =

ترفعُ البلاء ، أمَّا إنْ اعتقدَ أنَّ لبسَ الحلقةِ والخيط ، وتعليق التمائم تدفع أو ترفعُ البلاء بنفسها فهذا شركٌ أكبر [1] .

القسمُ الثاني من الشركِ الأصغر: شركٌ خفي: وهو الشرك في الإراداتِ والنِّيات ، **كالرياءِ والسمعة** ، بأن يعمل عملاً مما يُتَقَرَّبُ به إلى الله يريد به ثناء الناس عليه ، كأن يحسن صلاته أو يتصدَّق لأجل أن يُمدح ويُثنَى عليه أو يحسِّنَ صوته بالتلاوة لأجل أن يسمعه الناس ، فيُثنوا عليه ويمدحوه .

والرياءُ من معاصي القلوبِ والكبائر الموبقةِ الشديدةِ الخطر على النفس والعمل ، لأن الإسلام يهتمُّ بالباعثِ على العمل أكثر من العملِ نفسه ، وإذا كان الإنسانُ يعتبرُ التزويرَ من مخلوقٍ على مخلوقٍ مثله من شرِّ الرَّذائل وأبشعِ الجرائم ، فكيف إذا كان التزويرُ من المخلوقِ على خالقه ، فالجريمةُ أبشعُ وأشنع ، وهذا هو عملُ المرائي يعمل لوجهِ الناس ، وهو يريهِم أنه يريدُ الله كَذِباً وزورا .

ولا عجبَ بعد ذلك أن يفضحهُ الله يومَ تُبلى السرائر ، ففي

- حدوةِ فرس ، أو حذاءٍ صغير ، أو كفٌّ مرسوم ، أو غيرِ ذلك ، مما يزعمونَ أنه وقايةٌ من العين ، وهذا جهلٌ وضلالة إذ لا مانِعَ ولا دافعَ غير الله تعالى.

(١) مقرر التوحيد ، للصف الثالث الثانوي في المملكة العربية السعودية ، ص٩ .

الحديث "مَن سَمَّعَ سَمَّعَ اللهُ به، ومن يرائي يُرائي اللهُ بِهِ" [1] .

وقد حذَّرَ رسول الله ﷺ من الشِّركِ الأصغرِ فقال: "إنَّ أخوفَ ما أخافُ عليكم: الشركُ الأصغر"، قالوا: وما الشركُ الأصغرُ يا رسولَ الله؟ قال: "الرِّياء"[2] .

الفرقُ بين الشركِ الأكبر والشركِ الأصغر:

هناكَ فروقٌ كثيرةٌ بينَ الشرك الأكبر والشرك الأصغر، أذكرُ لك أهمَّها:

١- الشرك الأكبر يُخرجُ من المِلَّة، والشرك الأصغر لا يُخرج من المِلَّة .

٢- الشركُ الأكبر يُحبطُ جميعَ الأعمال، والشركُ الأصغر لا يُحبط جميعَ الأعمال، وإنما يُحبط العمل الَّذِي خالطه الرياء .

٣- الشركُ الأكبرُ يُخَلِّدُ صاحبه في النار إن ماتَ عليه، والشرك الأصغر

---

(١) رواهُ البخاري (٦٤٩٩) في الرقاق، ومسلم (٢٩٨٧) في الزهد . سمَّعَ: معناهُ: مَن أظهرَ عمله للناسِ رياءً أظهر الله نيَّتَهُ الفاسدة في عمله يوم القيامة، وفضحه على رؤوسِ الأشهاد .

(٢) رواهُ أحمد ٥:٤٢٨، والطبراني في الكبير (٤٣٠١)، وقال المنذِريُّ: إسناده حسن، وقال الهيثميُّ بعدما عزاه لأحمد: ١:١٠٢: رِجاله رجالُ الصحيح .

لا يُخَلِّدُ صاحبهُ فيها إن دخَلَها[1] .

والمؤمن يحذرُ من كِلا النوعين ولا يستهينُ بالشركِ الأصغرِ لأنه قد يخفى عليه ، ويؤدي إلى الشركِ الأكبر .

وقد حذَّرَ رسولُ الله ﷺ من الشركِ الَّذِي يخفى على الناسِ فقال: "اتَّقوا هذا الشرك ، فإنه أخفى من دبيب النمل" ، فقالوا: وكيفَ نتَّقيه وهو أخفى من دبيبِ النمل يا رسولَ الله؟ قال: "قولوا: اللهم إنا نعوذُ بك من أن نشركَ بك شيئاً نعلمه ، ونستغفركَ لما لا نعلمه" [2] .

۞۞۞

(١) مقرَّر التوحيد ، للصف الثالث الثانوي في المملكة العربية السعودية ، ص ١٠-١١ .

(٢) قال المنذري في "الترغيب والترهيب" : ١:٧٦ : رواهُ أحمد والطبراني ، ورواته محتجٌّ بهم في الصحيح.. ، ورواه أبو يعلى بنحوهِ من حديث حذيفةَ إلاَّ أنه قال فيه: "يقولُ كلَّ يومٍ ثلاث مرَّات" .

المناقشة

س١- ما أنواعُ الشركِ؟

س٢- ما حكمُ من اعتقدَ أنَّ في الكونِ مَـن يتصـرفُ في الأمـور دونَ ا لله سبحانه؟

س٣- ما حكمُ من اتَّخَذَ غيرَ ا للهِ مشَرِّعاً؟ مع الدَّليل.

س٤- ما حكمُ مَن حلف بغيرِ ا لله سبحانه؟ مع الدليل .

س٥- مـا حكـم التَّسَمِّي بأسمـاءِ ا لله تعـالى ، أو باســم معبَّـد لغـير ا لله سبحانه؟

س٦- ما حكمُ لبس الحلقة والخيط ، وتعليق التمائم ؟

س٧- اذكر أهم الفروق بين الشرك الأكبر والشرك الأصغر؟

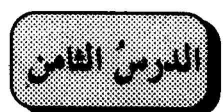
س٨- علِّل ما يلي:

أ - من الشرك الأكبر: اتخاذ غير ا لله مشرِّعاً .

ب- من الشرك الأصغر: الحلف بغير ا لله تعالى .

جـ- من الألفاظِ الجائز استعمالها: لولا ا لله ثُمَّ فلان .

د - الرياءُ من الكبائر الشديدة الخطر على النفس والعمل .



مفاسدُ الشركِ وأضراره

للشركِ مفاسدُ وأضرارٌ كثيرةٌ في حياةِ الفردِ والمجتمع ، أذكرُ لكَ أهمَّها [1] :

١- الشِّركُ ظلمٌ عظيم:

الشركُ ظلمُ عظيمٌ لأنه: ظلمٌ للحقيقةِ ، وللنفسِ ، وللغير .

ظلمٌ للحقيقة: لأن الظلمَ وضعُ الشيءِ في غير موضعه ، فمن عبدَ غير اللهِ سبحانه فقد وضعَ العبادةَ في غير موضعها ، وصرفها لغير مستحِقِّها .

وظلمٌ للنفس: لأن المشركَ جعلَ نفسهُ عبداً لمخلوقٍ مثله ، أو دونه ، وقد خلقهُ اللهُ حُرّاً كريماً .

وظلمٌ للغير: لأن من أشرك بالله غيره ، فقد ظلمه ، لأنه أعطاهُ من الحقِّ ما ليس له .

ولذلك قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣] .

---

(١) حقيقةُ التوحيد ، ص ٨٨-٩٢ بتصرُّفٍ واختصار .

٢- الشِّرْكُ مصدر الخرافاتِ والأباطيل:

لأن الَّذِي يعتقدُ بوجودِ مؤثِّرٍ غير ا لله في الكونِ ، من الكواكب أو الجنِّ أو الأرواحِ أو غير ذلك ، يصبحُ عقله مستعِدّاً لقبولِ كلِّ خرافة ، وتصديق كلِّ دجال . وبهذا تروجُ في المجتمعِ المشرك بضاعةُ الكهنةِ والعرَّافين ، والسَّحَرَةِ والمنجِّمين ، وأمثال هؤلاء ممن يدَّعون معرفةَ الغيب .

كما يشيعُ في ذلك المجتمع إهمالُ الأسباب والسُّنَنِ الكونية ، والاتِّكال على التَّمائمِ والرُّقى الشِّركِية والسحر ، ونحو ذلك .

٣- الشِّرْكُ مصدرٌ للمخاوفِ والأوهام:

إنَّ الَّذِي يتقبَّلُ عقله الخرافات ويصدِّقُ الأباطيلَ والتُّرَّهات ، يصبحُ خائفاً من جهاتٍ شتّى: من الآلهةِ ، وسدَنَةِ الآلِهَةِ ، ومن الأوهامِ التي ينشُرها هؤلاء السَّدَنَةُ وأتباعهم ، ويروِّجونها بين الناس .

ولهذا ينتشرُ في جوِّ الشِّركِ التَّطَيُّرُ والتشاؤم والرُّعبُ من غيرِ سببٍ ظاهر ، كما قال تعالى: ﴿**سنُلقي في قلوبِ الَّذِينَ كفروا الرُّعبَ بما أشركوا با لله ما لم ينزل به سلطانا**﴾[1] [آل عمران: ١٥١] .

---

(١) **بما أشركوا با لله**: أي كان السبب في إلقاء الرعبِ في قلوبهم إشراكهم با لله ، **سلطانا**: حجَّةً وبُرهانا ، وسُميَتِ الحجة سلطاناً لقوَّتِها على دفعِ الباطل .

٤- الشرْك مهانةٌ للإنسانية:

الشركُ بكلِّ صـوره ومظـاهره وأنواعـه ليـس إلاَّ امتهانـاً للإنسـان ، وإذلالاً له ، حيث يلزمهُ الخضوعُ للمخلوقات ، والعبودية لأشياءَ أو أُنـاسٍ لا يخلقونَ شيئاً وهُم يُخلَقون ، ولا يملكونَ لأنفسهم نفعـاً ولا ضـرّاً ، ولا موتاً ولا حياةً ولا نشورا .

فالإنسانُ الَّذِي كرَّمَهُ ا لله تعالى وسخَّرَ له مـا في السـمواتِ ومـا في الأرض ، يهين كرامته ، ويحـطُّ قـدرهُ ، فيخضـعُ ويـذِلُّ ، ويسـجدُ لبعـض عناصر هذا الكونِ الَّذِي سخَّرَهُ ا للهُ له .

وقد صوَّرَ القرآن كيف ينحطُّ الشِّركُ بأهله فقال سـبحانه: ﴿**وَمَن يُشْرِكْ بِا للهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطيرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الريـحُ في مَكَانٍ سَحِيقٍ**﴾ [(١)] [الحج: ٣١] .

٥- الشرْكُ مُعَطِّلٌ لإيجابيَّةِ الإنسان:

والشركُ معوِّقٌ للعمل النـافع ، معطِّـلٌ لإيجابيَّـةِ الإنسـان ذلـك لأنـه

---

(١) **خرَّ**: أي سقط ، **فتخطفه الطير**: أي تسلبُهُ بسرعةٍ وتذهبُ به . وقد شبَّهَ الإيمانَ بالسَّماء ، والذي أشركَ با لله كالساقطِ من السماء ، والأهواءُ التي توزعُ أفكـاره بالطيرِ المختطِفَة ، والشياطينُ التي تطرحهُ في أوديةِ الضلال بالريح التي تهـوي بـه في المهاوي المتلِفة .

يعلِّمُ أصحابه الاتكالَ على الشُّفعاء والوسطاء ، فهُم يرتكِبون الموبقـات ، ويقترفونَ الآثام ، معتمدين على أَنَّ آلهتهم ستشفعُ لهم عند ا لله تعالى .

وهذا ما كان يعتقده مشركو العرب في آلهتهم وأصنامهم ، في نفوذِ مشيئتِها مع ا لله تعالى[1] ، كما قال تعالى: **﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ا للهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعاؤُنَا عِندَ ا للهِ﴾** [يونس: ١٨] .

ومثل هؤلاءِ: النَّصارى الَّذِين يعملون ما شاءَ لهم الهوى من المنكراتِ ، معتقدينَ أَنَّ ربَّهم المسيح قد كفَّرَ عنهم الخطايا ، حين صُلِبَ -بزعمهم- وفدى البَشَر .

٦- آثارُ الشِّركِ في الآخرة:

تلكَ بعضُ آثارِ الشرك في الدنيا ، أما في الآخرةِ فلهُ آثارٌ خطيرةٌ في عاقبةِ الإنسانِ ومصيره ، أذكرُ لك أهمَّها:

أ - الشركُ ذنبٌ لا يغفره ا لله بحالٍ لِمَنْ لم يتُب منه . قال تعالى: **﴿إنَّ ا للهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَّشَاءُ وَمَن**

---

(١) وهذا النوعُ من الشفاعةِ هو الشفاعةُ الشركِية التي أبطلها القرآنُ ، أمَّا الشفاعةُ التي يعتقدها المؤمنون ، فهي دعاءُ الشافعِ للمشفوعِ فيه ، فيستجيبُ ا لله بفضله لِمَن شاء . وهي ما كانَ بإذنِ ا للهِ ورِضاه ، كما قال تعالى: **﴿مَن ذا الَّذِي يشفعُ عنده إلاَّ بإذنه﴾** ، وقال سبحانه: **﴿ولا يشفعونَ إلاَّ لمن ارتضى﴾** .

يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً﴾ [النساء: ٤٨] .

ب- والشركُ يُحبطُ جميعَ الأعمال . قال تعالى: **﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾** [1] [الأنعام: ٨٨] .

جـ- والجنَّةُ حرامٌ على المشرك أن يدخلها ، والنارُ مأواه ومثواه خالداً فيها . قال تعالى: **﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾** [المائدة: ٧٢] .

❁❁❁

---

(١) **الحبوط:** مأخوذٌ من "حبطتِ الناقة" إذا انتفخَ بطنها وماتت نتيجة تناولِها طعاماً ساماً ، والمرادُ بحبوطِ العمل: ضياعُ نتيجته وانقلابه بالوبال على صاحبه .

المناقشة

س١- لماذا كانَ الشركُ ظُلماً عظيماً؟

س٢- الشركُ مصدرُ الخرافاتِ والأباطيل ، بيِّن ذلك؟

س٣- الشِّرك مصدرٌ للمخاوفِ والأوهام ، وضِّح ذلك؟

س٤- الشركُ مهانةٌ للإنسان ، اشرح ذلك؟

س٥- لِمَ كانَ الشِّركُ معطِّلاً لإيجابيَّةِ الإنسان؟

س٦- تكلَّم عن آثارِ الشركِ في الآخرة ، مع الأدِلَّة؟

س٧- أكمل الأدِلَّة الآتية ، ثُمَّ اذكر ما ترشدُ إليه:

أ - ﴿سنُلقي في قلوبِ الَّذينَ كفروا ....﴾

ب- ﴿ومن يشرك با لله فكأنَّما ....﴾

جـ- ﴿ويعبدونَ من دونِ ا لله ....﴾

د - ﴿إنه من يشرك با لله فقد ....﴾

الدرس التاسع

٣- كمالُ ا للهِ تعالى
(أسماؤُهُ وصِفاتُه)

لابُدَّ مع الإيمان بوجودِ ا لله تعالى ووحدانيَّته من الإيمانِ بأنه تعالى متَّصِفٌ بكل كمالٍ يليق بِذَاتِهِ الكريمة ، منزَّهٌ عن كل نقص .

فما مِن صفةٍ من صفاتِ الكمالِ المطلَقِ إلاَّ وا للهُ تعالى مُتَّصِفٌ بها ، فوق ما تتصوره عقولُنا المحدودة ، وأعلى مما تحتمله قوالبُ اللغةِ المحصورة ، فهو كمالٌ مطلقٌ لا يمكن إخضاعُه لمقياسٍ مما يعرفه الناس .

دلَّ على ذلك: هذا الكون البديع وما فيه من إحكامٍ عجيب ، وَهَدَتْ إلى ذلك الفطرة البشرية النيِّرة ، وفصَّلت ذلك رسالات ا لله تعالى إلى أنبيائه .

وسأذكر فيما يلي بعضاً من صفاتِ الكمالِ التي تفرَّدَ بها الخالق سبحانه ، فلا يشاركه فيها أحدٌ مِن خلقه:

١و٢-فهو سبحانه (**الأوَّل والآخِر**): الأول الذي لا ابتداء لوجوده ، ولم يُسبَق بعدم ، والآخرُ الَّذِي لا آخر لوجوده ، ولا يلحقه العدم .

قال سبحانه: **﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالبَاطِنُ وَهُوَ بِكُل**

شَيءٍ عَلِيم﴾ [الحديد: ٣] .

قال تعالى: ﴿كُلُّ شَيءٍ هَالِكٌ إلاَّ وَجْهَه﴾ [القصص: ٨٨] .

٣- وهو سبحانه (الحيُّ) الذي أوجد الحياة وأمدَّ بها كُلَّ حيٍّ ، فهو مصدر الحياة ومُعطيها لكلِّ حيّ ، له صفة الحياةِ على أكمل ما تكون الحياة .

قال تعالى: ﴿ا لله لا إله إلاَّ هُوَ الحيُّ القيُّوم﴾ [البقرة: ٢٥٥] .

وقال سبحانه: ﴿وعَنَتِ الوُجُوهُ لِلْحَي القَيُّوم﴾ [1] [طه: ١١١] .

وقال عزَّ وجلّ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الحَي الَّذِي لا يَمُوت﴾ [الفرقان: ٥٨] .

خصائص تميز حياةَ الخالق عن غيره:

أ - الحياة التي يتَّصف بها ا لله سبحانه هي الحياة الذاتيَّة التي لم تأتِ من مصدر آخر ، أمَّا حياة جميع المخلوقات فمُكْتَسَبَةٌ موهوبةٌ من الخالق سبحانه .

ب - وحياته سبحانه أزَلِيَّةٌ أبَدِيَّةٌ ، لا تبدأ من مبدأ ولا تنتهي إلى نهاية ، أمَّا حياة الخلائق فهي مرتبطة بالزمان ، محدودة البدء والانتهاء .

جـ - وحياتُهُ سبحانه حياةٌ كاملةٌ ، لا يعتريها ما يلحق بحياة المخلوقات

---

(١) وعَنَت: أي ذلَّت وخضعت ، ومنه قيل للأسير: عانٍ .

من نومٍ ، أو غفلةٍ ، أو تعبٍ ، أو مللٍ ، أو فتور[1] .

٤- وهو سبحانه (**العليم**) الذي لا يخفى عليه شيء ، يعلم الأشياءَ كُلَّها عِلمَ إحاطةٍ وانكِشاف ، السِّرُّ عنده علانِيةٌ ، والغيب عنده شهادة ، لا تقف أمامه حواجز الزمان والمكان ، ولا تخفى عليه خافية .

قال سبحانه: ﴿**يعلمُ خائنةَ الأعيُنِ وما تُخفي الصُّدُور**﴾ [غافر: ١٩] .

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿**وهوَ بكل شيءٍ عليم**﴾ [البقرة: ٢٩] .

فهذه المخلوقات وما فيها من إحكامٍ وإتقان تستلزم علم موجدِها ، لأنَّ الفعلَ المحكم المتقَن يمتنع صدورُه عن غيرِ عالمٍ .

قال تعالى: ﴿**ألا يَعلمُ مَن خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِير**﴾ [الملك: ١٤].

وعِلمُ الله سبحانه يختلف عن علمِ الإنسان ؛ إذ علمُ الإنسانِ قليلٌ، مُقيَّدٌ بزمانٍ ومكان ، قد اكتسبَه من بعد جهل ، أمَّا علمُ اللهِ سبحانه فهو علمٌ محيطٌ بكلِّ شيءٍ منذُ الأزَل ، يعلمُ الجزئيات والكُلّيّات ، ولا يتقيَّدُ بزمانٍ ولا مكان ، ولا يعتريه النسيان .

---

(١) التوحيد ، للصف الثاني الثانوي في المعهد الديني بقَطَر ، ص٩٦ .

٥- وهو سبحانه **القدير** الذي لا يعجزه شيء ، وآثار قدرته مبثوثـةٌ في الأنفس والآفاق ، وفي السموات والأرض .

فهو سبحانه يجيبُ المضطـرَّ إذا دعـاه ، ويكشـفُ السـوءَ ، ويحيـي العظامَ وهي رميم ، ويعيدُ الخلق كما بدأهم أول مرة .

قال تعالى: ﴿**تَبَارَكَ الَّذي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُل شَيء قَديـر**﴾ [الملك:١]. ﴿**قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَـاءُ وَتَـنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّـكَ عَلَى كُل شَيءٍ قَدِير**﴾ [آل عمران: ٢٦] .

٦- وهو سبحانه **الحكيم** الذي خَلَقَ الكونَ بإحكامٍ وإتقان ، فـلا يقـع في مُلكِـه تفـاوتٌ ولا فطـور[1] ، ولا يقـع في تدبـيره خَلَـلٌ ولا اضطراب .

والله سبحانه لَم يخلق هذا الكون لعباً ولهواً: ﴿**وَمَا خَلَقْنَا السَّـمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِين**﴾ [الأنبياء: ١٦] .

ولَم يخلق الإنسانَ عَبَثاً ، قـال تعـالى: ﴿**أَفَحَسِـبتم أَنَّمـا خَلَقْنـاكُمْ عَبَثاً وأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعون ، فَتَعَالى الله الْمَلِكُ الْحَـقُّ**﴾ [المؤمنون: ١١٥-١١٦] .

(١) **تفاوت:** اختلافٌ وتناقُض ، **وفطور:** شقوقٌ وصدوع .

فكلُّ ما خلقه الله سبحانه فيه حكمة ، فهو سبحانه الحكيم الذي لا يخلق شيئاً عبثاً ، ولا يترك شيئاً سُدىً ، ولا يفعل فِعلاً أو يشرِّعُ شرعاً إلاَّ لحِكَمٍ عرفَها مَن عَرَفَها ، وَجَهِلَهَا مَنْ جَهِلَهَا .

وهذا ما شهد به الملائكة في الملأ الأعلى: ﴿**قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلمَ لَنَا إلاَّ مَا عَلَّمتنا إنَّكَ أنتَ العَلِيمُ الحَكِيم**﴾ [البقرة: ٣٢] .

وما شهد به أنبياءُ اللهِ وأولياؤُه ، وأولو الألباب مِن عباده: ﴿**الَّذِينَ يَذْكُرونَ اللهَ قِياما وَّقُعُودا وَّعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ في خَلْقِ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـذَا بَاطِلاً سُبْحَانَك**﴾ [آل عمران: ٩١] .

٧- وهو سبحانه **الرحمن الرحيم** الذي سبقت رحمتُه غَضَبَه ، وَوَسِعَتْ رَحْمَتُهُ كلَّ شيء ، كما وسِع عِلْمُهُ كلَّ شيء .

وقد حكى القرآن دعاء الملائكة: ﴿**رَبَّنا وَسِعْتَ كُلَّ شَيء رَّحْمَة وَّعِلْمَا**﴾ [غافر: ٧].

وقال سبحانه: ﴿**وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيء**﴾ [الأعراف: ١٥٦] .

ورحمته سبحانه وسِعَتْ في الدنيا: المؤمنَ والكافرَ ، والبَرَّ والفاجرَ ، ولكنها تكون يوم القيامة خاصَّةً بالمتَّقين كما قال تعالى: ﴿**وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيءٍ فَسَأَكْتُبُها لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآياتنا يُؤْمِنُون**﴾

[الأعراف: ١٥٦] .

وقد بدأ سورَ القرآن ﴿بِسْمِ ا للهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ﴾ للدلالةِ على سَعَةِ رحمتِهِ وتَقْوِيَةِ الرَّجاء في قلوب عباده ، وإن وقعوا في الذنوبِ والآثام: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ ا للهِ إِنَّ ا للهَ يَغْفِرُ الذُّنوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزّمر: ٥٣] .

٨و٩و١٠- السمع والبصَر والكلام: وهي صفاتُ كمالٍ لله سبحانه ، أرشدَ إليها النقل والعقل .

ففي السمع: قال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبونَ أن لا نسمعُ سِرَّهُمْ ونَجْواهُم﴾ [الزخرف: ٨٠] .

وقالَ سبحانه: ﴿قَدْ سَمِعَ ا للهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ [سورةُ المجادلة: ١] .

وفي البصر: قال سبحانه: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِير﴾ [فصلَت: ٤٠] .

وقال سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيء وَّهُوَ السَّمِيعُ البَصِير﴾ [الشورى: ١١] .

ولقَدْ وردَ الدليلُ العقْلي مؤيِّداً للدليل النَّقْلي في إثباتِ

هـــاتين الصِّفتـــين ، وملخَّصُـــه: أَنَّ عـــدم الســـمع والبصــــر نقص ، والنقص مُحالٌ على ا لله تعالى .

قال تعالىمُنَدِّداً بمَن يعبدُ إلهاً لا يسمع ولا يُبصر على لسانِ إبراهيم -عليه السلام- لأبيه: ﴿**يا أبَتِ لِمَ تَعْبُـدُ مـا لا يَسْـمَعُ ولا يُبْصِـرُ ولا يُغْني عنكَ شيئا**﴾ [مريم: ٤٢] .

وفي الكــلام قـــال تعـــالى: ﴿**وَكَلَّـــمَ ا للهُ مُوسَـــى تَكْلِيمـــا**﴾ [النساء: ١٦٤] .

والكلامُ كمالٌ ، ولو لم يكن ا للهُ سبحانه متَّصِفاً بِهِ لكانَ ناقِصـاً ، تعالى ا للهُ عن ذلك .

وقــد احتــجَّ ا لله ســبحانه علــى بطــلانِ ألوهِيَّـــةِ عجـــلِ بـــني إســرائيل بقولــه: ﴿**أفـلا يَـرَوْنَ ألاَّ يرجِـعُ إليْهِـمْ قـولاً ولا يملـكُ لهُمْ ضرّاً ولا نَفْعا**﴾ [طه: ٨٩] .

۞۞۞

المناقشة

س١- كيف تستدلّ على كمال ا لله عزَّ وجَلّ؟

س٢- ما معنى الأوَّل والآخر؟

س٣- حياةُ الخالق سبحانه تتميَّز عن حياة المخلوق ، اذكر ثلاث خصائص تميِّزُ حياته سبحانه وتعالى عن غيره؟

س٤- كيف تستدل على ما يلي:

أ - صفة العلم لله سبحانه وتعالى .

ب- صفة القدرة لله عزَّ وجَلّ.

جـ- صفة الحكمة لله عزَّ وجَلّ.

س٥- اذكر مع التوضيح الدليل العَقْلي والسَّمْعي على ثبوت صِفَتَي السَّمع والبصر لله عزَّ وجلّ؟

س٦- اذكر الدليل النقلي والعقْلي على ثبوتِ صِفةِ الكلامِ للهِ سبحانه؟

س٧- اذكر دليلاً لكلٍّ مما يلي:

أ - ا لله سبحانه العليم الذي لا يخفى عليه شيء .

ب - ا لله سبحانه وَسِعَتْ رحمتُه كلَّ شيء .

جـ - رحمته سبحانه خاصة بالمتَّقين يوم القيامة .

الدرس العاشر

التَّنَزُّهُ المطْلَقُ عَنْ كُل نَقْصٍ

كَما أَنَّ ا لله سبحانه وتعالى متَّصِفٌ بالكمالات المطلقة التي وصـف ا لله عزَّ وجَلّ بها نفسه في كتابه الكريم لنعرفه ونصفه بها ، فهو سـبحانه وتعالى منزَّهٌ عن النقائص ومُبرَّأٌ منَ الآفات لِنُنَزِّهَهُ سبحانه وتعالى عنها .

وا لله سبحانه أَمَرَ بإثباتِ الكمالاتِ له وتنزيهه عن النقائص بقولـه: ﴿وسَبحْ بحمد ربكَ﴾ [طه:١٣٠] .

والتسبيح: تنزيـه ا لله تعـالى ، **والحمـد:** إثبـات الكمـالات لَـهُ عـزَّ وجلَّ .

ومن النقائص التي نفاها ا لله عزَّ وجَلّ عن نفسه:

١- **نفي الشريك:** قال تعالى: ﴿**لا شَريكَ له**﴾ [الأنعام: ١٦٣] .
سواء أكان هذا الشريك ولداً أو والداً أو صاحبة .

قال تعالى: ﴿**لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ**﴾ [الإخـلاص:٣] . ﴿**مَـا اتَّخَـذَ ا لله صَاحِبَـةً وَّلا وَلَـدًا**﴾ [الجـن:٣] ﴿**وَلَـمْ تكُـن لَّـهُ صَاحِبَـةٌ**﴾ [الأنعام: ١٠١] .

﴿**وَقَالُوا اتَّخَذَ ا لله وَلَدا سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا في السَّـمَواتِ والأَرْضِ**

﴿كُلٌّ لَهُ قَانِتُون﴾[1] [البقرة: ١١٦] .

فكلُّ مَـن في السموات والأرض خَلْقُـهُ وعِبَـادُه : الملائكـة في السموات ، والجنُّ والإنـس في الأرض ، كُلُّهُـمْ في قَبْضَتِـهِ وقُدْرَتِـهِ وطَوْعِ مشيئته .

فهو سبحانه لـه التدبـير المطلـق ومـا لغـيره شَـرِكَةٌ معـه في التدبـير والتصرُّف والتأثير .

قال تعالى: ﴿يُدَبِرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إلى الأَرْضِ﴾ [السجدة:٥] .

٢- نفـي العجـز: قـال تعـالى: ﴿وَمَـا كَـانَ ا لله لِيُعجِـزَهُ مِـن شَـيء﴾ [فاطر: ٤٤] .

٣- نفي اللُّغوب: قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَواتِ والأَرْضَ وَمَـا بَيْنَهُمَا في سِتَّةِ أَيَّام وَّمَا مَسَّنا مِن لُّغُوب﴾ [2] [ق: ٣٨] .

٤- نفـي النـوم: قـال تعـالى: ﴿لا تَـأْخُذُهُ سِـنة وَّلا نَـوْم﴾ [3]

---

(١) **قانِتون:** طائعونَ خاضعون .

(٢) **لغوب:** أي إعياءٌ وتعَب .

(٣) **السِّنَةُ:** ما يتقدَّمُ النوم من الفتـور الَّـذِي يسـمَّى نُعاسـاً ، وهـو النـوم الخفيـف ، والمعنى: لا تأخذه سِنَةٌ فضلاً عـن أن يـأخذهُ نـوم ، لأن النـومَ والسـهو والغفلـة مُحالٌ على ا لله تعالى ، لأن هذه الأشياء عبارة عـن عـدم العلـم ، وذلـك نقـصٌ وآفةٌ وتغيُّرٌ ، وا لله تعالى مُنَزَّهٌ عن النقص والآفات والتغيُّر .

[البقرة: ٢٥٥] .

٥- **نفي النسيان:** قال تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا**﴾ [مريم: ٦٤] وقال أيضاً: ﴿**لا يَضِلُّ رَبي وَلا يَنسى**﴾ [(1)] [طه: ٥٢]

٦- **نَفْي الظلم:** قال تعالى: ﴿**وَمَا رَبُّكَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ**﴾ [فصلت: ٤٦] . وقال سبحانه: ﴿**إِنَّ اللهَ لا يظلمُ مثقالَ ذَرَّةٍ**﴾ [النساء: ٤٠] .

٧- **نفي اللَّعِبِ والعَبَثِ:** قال تعالى: ﴿**وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاَعِبِينَ**﴾ [الدخان: ٣٨] .

وقال سبحانه: ﴿**أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ**﴾ [المؤمنون: ١١٥] .

٨- **نَفْيُ الإحاطةِ به سبحانه وإدراكه:** فالله سبحانه لا مشابهةَ بينه وبين المخلوقات .

قال تعالى: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ**﴾ [الشورى:١١] ، وقال تعالى: ﴿**وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ**﴾ أي لا

---

(١) وأمَّا قولُه سبحانه عن المنافقين: (**نَسوا اللهَ فنسيَهُم**) [التوبة: ٦٧] أي أنهم تركوا أمرَ اللهِ فجازاهم بأن صيَّرَهُمْ بمنزلة المنسِي من ثوابه ورحمته (الخازن:٢: ٢٤٠) .وكذلك قوله تعالى: (**فاليومَ ننساهُم كما نَسُوا لقاءَ يومهم هذا**) [الأعراف:٥١] أي نتركهم في العذاب ، وقوله تعالى: (**وكذلك اليومَ تُنسَى**) [طه: ١٢٦] أي تُتْرَك في النار .

شبيه له ولا عديل ولا مثيل .

فليس في استطاعة العقل البشري إدراكُ كُنْهِهِ سبحانه ، ولا معرفةُ حقيقته ، كيف وقد عجز الإنسان عن معرفة كُنْهِ[1] ذاته ، وكثيرٍ من حقائق الكون ، فكيف يطمع في معرفة ذاتِ اللهِ العَلِيِّ الكبير .

﴿ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأبصارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٢-١٠٣] .



(١) **الكُنهُ:** جوهرُ الشيءِ وحقيقته .

المناقشة

س١- ما معنى تسبيح ِا لله وتحميده؟

س٢- نفى ا لله -عزَّ وجَلّ- عن نفسه:

١- العجز ، ٢- واللغوب ، ٣- والنوم .

اذكر دليلاً على كل ذلك؟

س٣- نفى ا للهُ عزَّ وجلَّ عن نفسه:

١- النسيان ، ٢- والظلم ، ٣- اللعب والعبث .

اذكر دليلاً على كُلٍّ ذلك؟

س٤- هل يستطيع العقل البشري أن يدرك حقيقة الخالق سبحانه.

اذكرالدليل على قولك؟

الدرس الحادي عشر

٤- عِبادةُ الله عزَّ وجَلّ

معنى العبادة:

لغةً: التَّذَلُّلُ والخضوع ، ومنه طريقٌ مُعَبَّدٌ ، أي: مُذَلَّل .

وفي الشرع: "العبادةُ هي اسمٌ جامعٌ لكلِّ ما يُحِبُّهُ الله ويرضاهُ من الأقوالِ والأعمال الظاهرةِ والباطنة" (١) .

العبادةُ ابتلاءٌ إلهِيٌّ للمُكَلَّفين:

لقد خلقَ الله عزَّ وجلَّ الجنَّ والإنسَ ليَبْلُوَهُمْ في هذه الحياةِ الدنيا ، ويمتحنهم أَيُّهُم أحسنُ عمَلاً ، ومنَحَهُمْ شروط الامتحان: العقل ، والإرادة .

قال تعالى: ﴿**الذي خلقَ الموتَ والحياةَ ليبْلُوَكُمْ أيُّكُمْ أحسنُ عَمَلاً**﴾ (٢) [الملك: ٢] ﴿**إنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً**﴾ [الكهف: ٧].

العبادة مطلوبُ الله سبحانه من المكلفين:

ومطلوبُ الله سبحانه من عباده في هذا الامتحان أن يعبدوه ولا

---

(١) "العبودية" ، ص٣٨ .

(٢) **لِيَبْلُوَكُم:** أي لأجل أن يمتحنكم ، وهذه اللام لامُ التعليل .

يشركوا به شيئاً .

قال تعالى: ﴿**وما خَلَقْتُ الجنَّ والإنسَ إلاَّ ليَعبُدونِ ما أُريدُ منهم من رزْقٍ وما أريد أن يطعمونِ إنَّ ا لله هو الرزَّاقُ ذو القُوَّةِ المَتين**[1]﴾ [الذاريات: ٥٧] .

أي: ما خلقتُ الجنَّ والإنسَ ممتحنين في هذه الحياة الدنيا ، إلاَّ لأطلب منهم أن يعبدوني ، وعبادتهم لله سبحانه لا تُقَدِّمُ له نفعاً ، ولا تزيد في ملكه شيئاً ، وجحودهم ومعصيتهم لا تضرُّ ا لله شيئاً ، ولا تنقص من مُلكهِ سبحانه .

العبادةُ حقُّ ا للهِ تعالى على عباده:

العبادةُ حقٌّ ذاتيٌّ لله سبحانه على عباده ، باعتبار أنهم عبادُه ، وهو سبحانه ربُّهم .

قال تعالى: ﴿**يا أيُّها النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تتَّقُونَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشا وَّالسَّمَاءَ**

---

(١) اللامُ في قوله سبحانه: (**ليعبدون**) هي لام الطلب ، وليست لام التعليل ، ولو كانت هذه اللام للتعليل ولبيان الغاية من الخلق ما استطاع أحدٌ من الجن والإنسِ أن يعصي ا لله في شيءٍ ، لأنَّ مرادَ ا لله سبحانه لا يتخلَّف . وينظر: "ابتلاء الإرادة بالإيمان والإسلام والعبادة" للأستاذ عبدالرحمن الميداني ص ٥٠-٥١ .

بِنَاء وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاء فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ فَلا تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ[1]﴾ [سورة البقرة: ٢٢] .

وفي حديثِ معاذِ بن جبلٍ ﷺ أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: "هل تدري ما حقُّ اللهِ على عبادِه"؟ قلت: الله ورسوله أعلم .

قال: "حقُّ اللهِ على عبادِهِ أن يعبدوه ولا يشركُوا به شيئاً" [2] .

أقسامُ العبادة:

أ – **عبادةٌ قلبيَّة:** مثل: الخوف ، والرجاء ، والمحبة ، والتوكُّل ، والرغبة ، والرهبة ، والتفكُّر ، والتدبُّر ، ومراقبة اللهِ سبحانه .

ب– **عبادة قولِيَّة:** مثل: تلاوة القرآن ، والتسبيح ، والتهليل ، والتكبير ، والتحميد ، وكلُّ ما شرعَه الله تعالى من التلاوات والأدعية والأذكار[3] .

---

(١) أي وأنتم تعلمون أَنَّ الأوثان التي تعبدونها والآلِهَةَ التي اتّخذتموها لا تنفعكم ولا تضرُّكُم ، بل هي عاجزةٌ عن الدفاع عن نفسها .

(٢) رواهُ البخاري (٦٥٠٠) في الرقاق ، (٧٣٧٣) في التوحيد ، ومسلمٌ (٣٠) في الإيمان .

(٣) ويدخل في هذه العبادات: الكَفُّ عن أقوالٍ يجبُ الكَفُّ عنها ابتغاءَ مرضاة الله وثوابه ، مثل: الكذبِ والغيبة والنميمة وغيرها .

جـ- **عبادةٌ بدَنِيَّة:** مثل: الصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحج ، والجهاد ، وسائر الفرائض والنوافل التي أمرَ الله تعالى بها[1].

شمولُ العبادة:

إنَّ عبادةَ اللهِ سبحانه ليست قاصرةً على الشعائر التَّعَبُّدِيَّة المعروفة ، بل تشمل شؤونَ الإنسانِ كلها ، وتستوعبَ الحياةَ جميعها .

فالعبادةُ تشمل الأخلاق والآدابَ والعاداتِ والنُّظُمَ والقوانين .

فهي شاملةٌ لكلِّ تصرُّفاتِ المؤمن إذا أخلص النِّيَّةَ وابتغى بعملِهِ وجهَ الله تعالى .

ركائز العبودية الصحيحة:

ترتكزُ العبادة على ثلاث ركائز: الحب والخوف والرجاء ، ولا بد في العبادة من اجتماعِ هذه الأمور الثلاث .

---

(١) ويدخل في هذه العبادات: الكفُّ عن أعمالٍ أمرَ الله بتركِها مثل: عقوق الوالدين ، وقطيعة الرحِم ، والسرقة ، وشرب الخمر .

قال تعالى في وصف عبادِهِ المؤمنين: ﴿يحبُّهُم ويُحِبُّونَه﴾ [المائدة: ٥٤] .

وقال تعالى: ﴿والذين آمنوا أشَدُّ حُبَّاً لله﴾ [البقرة: ١٦٥] .

وقال في وصف رسُلِهِ وأنبيائه: ﴿إنَّهُمْ كانوا يُسارِعونَ في الخيراتِ ويدعونَنَا رغباً ورَهَبا وكَانُوا لَنَا خَاشِعِين﴾ [الأنبياء: ٩٠].

شروط قبول العبادة:

لا تكونُ العبادةُ مقبولةً عند الله حَتَّى تكونَ صحيحة ، ولا تكون صحيحة حَتَّى تتوافر فيها ثلاثة شروط:

الشرط الأول: أن يكونَ العبدُ مؤمِناً ؛ فالله تعالى لا يقبل عملاً مهما كانَ صالحاً ما لم يكن صاحبه مؤمناً ، قال تعالى: ﴿وقدِمْنا إِلى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاء مَّنْثُورا[1]﴾ [الفرقان: ٢٥] ، أي باطلاً لا ثوابَ له .

الشرط الثاني: أن تكونَ العبادةُ خالصةً لله تعالى ، فإذا لم يقصد بعبادته وجهَ الله ، أحبط الله ثوابه ، ولم يقبل منه عمله .

قال تعالى: ﴿وما أُمِروا إلاَّ لِيَعْبُدُوا الله مُخْلِصِينَ لَهُ الدينَ

(١) الهباء: هو ما يُرى في الكوّةِ كالغبار إذا وقعت الشمس فيها ، والمنثور: المفرق .

حُنَفَاء[1]﴾ [البينة: ٥] .

الشرط الثالث: أن تكـونَ العبـادةُ موافِقَـةً لِسُـنَّةِ رسـول الله ﷺ ، فـلا يكفـي أن يقصـد بالعبـادة وجـه الله ، بـل لابـد أن تكـونَ موافقـةً لشرعِ الله ، قـال تعـالى: ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ للهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ**﴾ [النساء: ١٢٥] .

وإسلامُ الوجه: إخلاص العمل لله ، **والإحسان**: أن يُتَقَرَّبُ إلى الله بما شَرَعَه الله[2].

۞۞۞

(١) **حنفاء**: أي مائلين عن الأديان كلها إلى دين الإسلام .

(٢) قال الفضيل بن عياضٍ -رحمه الله- في قولـه تعـالى: ﴿**لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحسَنُ عملاً**﴾ : "أحسن العمل: أخلصهُ وصوابه . قالوا: يا أبا علي ما أخلصه وما أصوبه؟ قال: إنَّ العمل إذا كان خالصاً و لم يكن صواباً لم يُقبَل ، وإذا كان صواباً و لم يكن خالصاً لم يُقبل ، ولا يُقبل حَتَّى يكونَ خالصاً صواباً ، **والخالص**: أن يكون لله ، **والصواب**: أن يكون على السُّنَّة .

المناقشة

س١- عرِّف العبادة لغةً وشرعاً؟

س٢- ما الغاية من خلقِ الإنسان؟ وما مطلـوبُ الله سبحانه وتعـالى مـن المكلفين؟

س٣- العبادة حقٌّ الله سبحانه على عبادِهِ . . بيِّن ذلك مع الدليل؟

س٤- ما أقسامُ العبادة؟

س٥- هل العبادة قاصرة على الشعائر التَّعَبُّدِيَّة المعروفة؟

س٦- كيف تتحول العاداتُ إلى عبادات؟

س٧- ما ركائز العبودية الصحيحة؟ مع ذِكْرِ الدليل؟

س٨- متى تكون العبادة صحيحة مقبولة؟ مع ذِكرِ الدليل؟

الدرسُ الثاني عشر

ثِمارُ الإيمانِ با لله عزَّ وجَلّ

الإيمانُ با لله سبحانه وتوحيده نعمةٌ من أعظمِ النِّعَمِ ، وله ثِمارٌ طيِّبَةٌ على المؤمنين في الدنيا والآخرة ، ومِن ثِمارِ هذا الإيمان:

١- معرفة غاية الوجود الإنساني:

إنَّ الإيمان با لله عـزَّ وجَـلّ وتوحيـدَه ، ومعرفـةَ كمالاتـه سبحانه: تعرِّفُ الإنسان بغايته وهدفه ، ليكونَ عبداً خالصاً لله ، لا لأحدٍ سواه .

قـال تعـالى: ﴿وَمَـا خَلَقْـتُ الجـنَّ والإنـسَ إلاَّ لِيَعْبُـدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] .

فهو لا يعيشُ في عَماية ، أو يمشي إلى غيرِ غاية ، كـالذين جحـدوا ا لله ، أو شـكُّوا فيـه ، فلـم يعرفـوا لمـاذا وجِـدوا؟ ولمـاذا يعيشـون؟ ولمـاذا يموتون؟

٢- الاهتداء إلى الفطرة:

ومِن ثمرات الإيمان با لله عزَّ وجَلّ أن يهتدي الإنسان إلى فطرته التي فَطَرَهُ ا لله عليها ، والتي تطلب الإيمان با لله تعالى ، ولا يعوِّضها عنه شـيء غيره .

يقول ا لله تعالى: ﴿فأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدينِ حَنِيفا فِطْرَةَ ا للهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلقِ ا لله﴾ [الروم: ٢٠] .

إِنَّ في فطرة الإنسان فراغاً لا يملؤه علمٌ ولا ثقافة ولا فلسفة ، إنما يملؤه الإيمان با لله جلَّ وعلا .

وستظل الفطرة الإنسانية تحس بالتوتر والظمأ حَتَّى تعرفَ ا لله ، وتؤمن به ، وتَتَوَجَّهَ إليه .

فإذا لم يعرف الإنسانُ رَبَّهُ فما أشقى حياته ، وما أتعس حظه ، وما أخيبَ سعيه!!.

إنه لن يجد السعادة ، ولن يجد الحقيقة ، لن يجد نفسه ذاتها: ﴿وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا ا لله فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ [الحشر: ١٩] .

٣- سَلاَمَةُ النَّفْسِ مِنَ التَّمَزُّقِ والصِّرَاع:

إنَّ الإيمانَ با لله وحده سببٌ للاطمئنان والسكينة ، فالمؤمنُ يعبد إلهاً واحداً ، ويتلقى أوامرَهُ من مصدرٍ واحد ، أما المشرك فيعبد آلهةً مختلفة فتتوزَّع نفسُه وتتفرَّق .

قال تعالى: ﴿أَأَرْبَابٌ مُّتَفرقونَ خَيْرٌ أَمِ ا للهُ الوَاحِدُ القَهَّار﴾ [يوسف:٣٩].

وقد ضَرَبَ الله تعالى لذلك مثلاً : رجلاً مملوكاً لجماعةٍ مختلفين ، فهو حائرٌ بينهم ، لايستطيع أن يرضيَهم مع اختلاف رغباتهم وتباينِ مصالحهم ، فَهُم فيه شركاء متشاكسون غير متوافقين ، كلٌّ يأمره بضدِّ ما يأمره به الآخر ، ويريد منه غير ما يريده ، فهو بينهم مُشَتَّتٌ موزَّعٌ لا ثباتَ له ولا قرار .

وضربَ الله تعالى مثلاً آخرَ: عبداً مملوكاً لواحدٍ لا يطيع غيره ، فهو يعرف سَيِّدَهُ ، ويعرف ما يطلبه ، ويعرف ما يرضيه ، وكيف يرضيه ، فقال تعالى: **﴿ضَرَبَ الله مَثَلاً رَّجُلاً فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَماً[1] لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلا الحمدُ للهِ بلْ أكثرُهُمْ لا يعلَمونَ﴾** [الزمر: ٢٩].

٤- الإيمانُ مصدرٌ لأمنِ النَّفسِ:

الإيمانُ با لله سبحانه يملأ نفسَ صاحبِهِ أمناً وطمأنينةً ، فلا تستبدُّ به المخاوفُ التي تتسلَّطُ على أهلِ الشِّركِ ، فقد سدَّ المؤمنُ منافذَ الخوفِ التي تحيطُ بغيرِ المؤمنين: الخوفُ على النفسِ ، والرزقِ ، والأجلِ ، والأهلِ ، والأولاد ، والخوفُ من الإنسِ والجنِّ ، ومن الموتِ ، وما بعد الموت .

---

(١) أي خالص الملكية لرجلٍ واحد ، لا شَرِكَةَ فيه ولا مشاكسة ، وهذا مَثَلُ المؤمن الموحد .

فالمؤمنُ لا يخافُ إلاَّ الله ، ولهذا يكونُ آمناً إذا خافَ الناس ، مطمئِناً إذا قلقَ الناس ، هادئاً إذا اضطربَ الناس .

وهذا أمنُ الدنيا وأمَّا أمنُ الآخرةِ فهو أعظمُ وأبقى .

وفي هذا يذكرُ الله سبحانه حوارَ إبراهيم مع قومه المشركين الَّذِيـنَ خوَّفوهُ بأصنامهم وآلهتِهِمْ الزائفة ، فردَّ عليهم بقولِهِ: ﴿**وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِا للهِ مَا لَمْ يُنزِلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانَا فَأَيُّ الفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾[الأنعام: ٨١] . ثُمَّ بيَّنَ سبحانه مَن يستحقُّ الأمنَ من الفريقينِ فقال: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ**﴾ (١) [الأنعام: ٨٢] .

٥- التَّحَرُّرُ من العبوديَّة لغير الله:

إنَّ توحيد الله سبحانه إقرارٌ بالعبودية لمستحقها وبالحق لصاحبه ، وإنَّ اعتقادَ أَنَّ الله وحده الضارُّ النافع ، والمعطي المانع ، والمحيي المميت ، يحرِّرُ العبد مِن كل عبودية وذُلٍّ لغير الله من حجَرٍ أو شَجَرٍ أو صَنَم ، أو إنسانٍ ، ويُحَرِّرُ العقل من الخرافات والأوهام ، ويُحَرِّرُ الضَّميرَ من الخضوعِ والذُّلِّ والاستسلام ، ويُحَرِّرُ الحياةَ من تسلُّطِ الأرباب والمتألِّهين على عِبادِ الله.

---

(١) **بظلم**: أي بشرك . ومعنى: **لم يلبسوا إيمانهم بظلم**: أي أنهم أخلصوا لله ، فلم يشوبوا توحيدهم بشرك .

٦- ضمان الحياة الطيِّبة:

إنَّ الإيمان با لله سبحانه سببُ الحياة الطيبة والسعادةِ والسرورِ ، لِما يعكسه ذلك الإيمان على أصحابه من الاطمئنان والتفاؤل ، والثقة بـا لله ، والتوكُّل عليه ، والرِّضا بقضائـه ، والصـبر علـى بلائـه ، والاسـتغناءِ عـن خلقه ، والعمل للغاياتِ النبيلة والسموِّ الأخلاقي الرفيع .

قـال تعـالى: ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحاً من ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحيينَّهُ حَياةً طَيبَةً**﴾ [النحل: ٩٧] .

٧- ولاية ا لله لعباده المؤمنين:

فا لله تعالى وليُّ المؤمنين وناصِرُهُم ، يرعاهم في جميعِ شـؤونهم ، ولا يَكِلُهُمْ إلى أنفسهم أبـداً ، فَهُـمْ في حفظـه ورعايتـه وعنايتـه ، يدفـعُ عنهم جميعَ المكارهِ ، وينجِّيهم من الشـدائد ، ويحفظهـم مـن مكـايد الأعداء .

قال ا لله تعالى: ﴿**ا لله وليُّ الَّذِينَ آمنوا يُخرِجُهُمْ مـن الظلُماتِ إلى النور**﴾ [البقرة: ٢٥٧] .

وقالَ عزَّ وجلّ: ﴿**وا لله وليُّ المؤمنين**﴾ [آل عمران:٦٨] .

قال تعالى: ﴿**إنَّ ا لله يدافعُ عن الذين آمنوا**﴾ [الحج: ٣٨] .

٨- رِضا اللهِ عزَّ وجَلّ :

وأعظمُ ثِمار الإيمان با لله عزَّ وجَلّ الحصولُ على مرضاة ا لله تعـالى ، ودخول الجنة ، والفوز العظيم بالنعيم المقيم .

﴿إنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وعملوا الصالحاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بإِيـمَانِهِمْ تجري من تحتهم الأنهارُ في جَنَّاتِ النَّعِيمِ دَعْوَاهُـمْ فِيهَـا سُبْحَانَكَ اللَّهُـمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الحَمْـدُ للهِ رَب العَـالَمِين﴾

[يونس: ٩-١٠] .



المناقشة

س١- اذكر خمساً من ثمارِ الإيمان با لله عزَّ وجَلّ؟

س٢- كيف يعرف الإنسان غايته في الوجود ، وكيف يحققها؟

س٣- الإيمان با لله وحده سببٌ لسلامة النفس من التَّمَزُّق والصراع ، بيِّن ذلك مع الأدِلة؟

س٤- الإيمانُ با لله مصدرٌ لأمنِ النفس وسلامتها من المخاوف ، اشرح ذلك مع الأدِلَّة؟

س٥- بيِّن أثر توحيد ا لله في تحرير الإنسان من العبودية لغير ا لله .

س٦- اذكر دليلاً لكلٍّ مما يلي:

أ - الإيمان با لله سبحانه يهدي الإنسان إلى الفطرة .

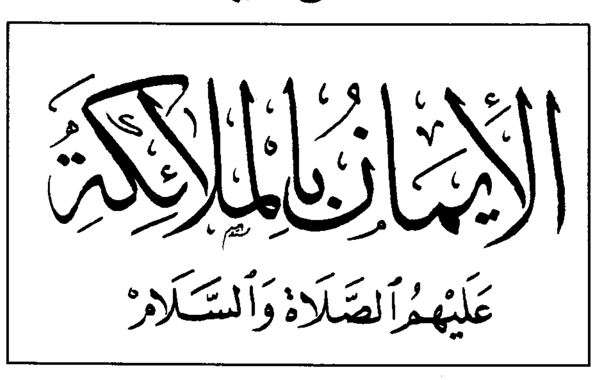
ب- الإيمان با لله والعمل الصالِحُ سببُ الحياة الطيبة .

جـ- ا لله سبحانه يدافع عن المؤمنين .

د - الإيمان با لله سببٌ لدخولِ الجنة .



الفَصلُ الثاني



١- تعريفهم .

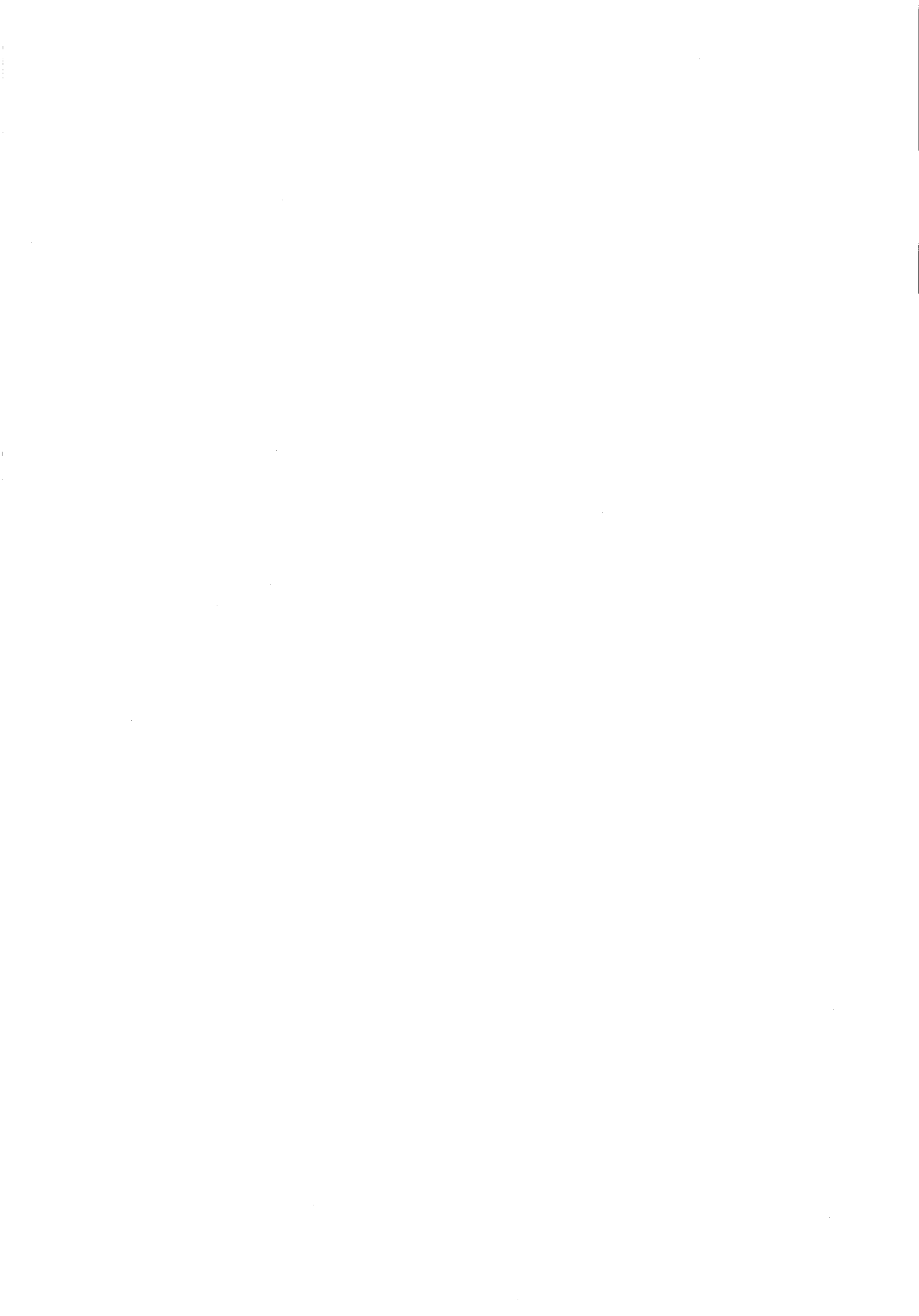
٢- صِفاتهم .

٣- الفرقُ بين الملائكةِ والبشَر .

٤- الفرقُ بينَ الملائكةِ والجن .

٥- وظائفُهُم .

٦- ثِمارُ الإيمانِ بالملائكة .



الدرس الثالث عشر

الإيمان بالملائكة

تعريفهم:

الملائكةُ عبادٌ مُكْرَمُون ، مخلوقون من نور ، لا يَعْصُون الله ما أمَرَهم ويفعلون ما يُؤمَرون ، يسَبِّحون الله في الليل والنهار لا يَفْتُرون[1].

وجوبُ الإيمانِ بالملائكة:

الإيمانُ بالملائكة ركنٌ من أركان الإيمان .

قال تعالى: **﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾** [سورة البقرة: ٢٨٥] .

وقال النبيُّ ﷺ في حديث جبريل عليه السلام: **"الإيمان: أن تؤمن باللهِ وملائكتِهِ وكُتُبِهِ ورُسُلِهِ واليومِ الآخِرِ ، وتؤمنَ بالقدَرِ خيرِهِ وشَره"** .

فيجبُ الإيمان بالملائكةِ ، وبما وَرَدَ في حقِّهم من صفاتٍ ، وبما يقومون به من أعمال ، ومَن جحدَ وجودهم و لم يؤمن بذلك فقد جحدَ

(١) **لا يفتُرون:** أي لا يضعفون ولا يسأمون ، وذلك أَنَّ تسبيحهم متَّصِلٌ دائم في جميع أوقاتهم .

رُكناً من أركانِ الإيمان ، وجحودُ ركنٍ من أركانِ الإيمانِ يعني جحودَ الإيمان ، فالإيمانُ كلٌّ لا يتجزأ .

صفات الملائكة عليهم السلام:

من صفاتِ الملائِكَةِ الخَلْقِيَّة:

١- أنّهم مخلوقون من نور:

فالملائكة عالَمٌ نوراني غير منظور ، لا يعلم حقيقَتَه وكيفيته إلاَّ الله وحده .

رَوى مسلمٌ عن عائشة رضي الله عنها أَنَّ النبيَّ ﷺ قال: "خُلِقَتِ الملائكة من نور ، وخُلِقَ الجانُّ من مارجٍ من نار ، وخُلِقَ آدمُ مما وُصِفَ لكم" [1]، أي: من التراب .

٢- للملائكة أجنحة يتفاوتون في أعدادها:

قال الله سبحانه: ﴿**الحَمْدُ للهِ فَاطِرِ السَّموات وَالأَرْضِ جَاعِلِ الملائِكَةِ رُسُلاً أُولي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلاثَ وَرُباعَ يَزِيدُ في الخَلْقِ مَا**

(١) رواه مسلم (٥٣١٧) في كتاب الزهد والرقائق ، **ومارج:** لهبٌ مختلط بسَواد .

﴿يَشَاءُ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [1] [سورة فاطر: ١] .

٣- أنَّ لهم قدرةً على التشكُّل :

فقد يتحوَّل المَلَك بقدرةِ الله تعالى إلى هيئةِ رجل كما حَصَلَ لجبريل عليه السلام حين أرسَلَهُ الله إلى مريم ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً﴾ ، وكان جبريل ينزل أحياناً على النبيِّ ﷺ في صورة رجل . وتمثَّلَ الملائكةُ لإبراهيم ولوط عليهما السلام رجالاً نزلوا لتأديب قومِ لوطٍ ، فدمَّروا قريتهم ، وجعلوا عالِيَها سافِلَها .

ومن صِفاتِ الملائكة الخُلُقِيَّة:

١- أنهم معصومون من المعصية ، لا يخالفون أمرَ الله سبحانه:

قال تعالى: ﴿لا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦] .

٢- وأنهم مفطورونَ على الطاعة والعبادة والتسبيح .

قال تعالى: ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٠] ، أي: لا يسأمون أو ينقطِعون.

٣- وأنهم خائفونَ منه سبحانه:

---

(١) **فاطر:** خالق السموات والأرض على غير مثالٍ سبق ، **يزيد في الخلق ما يشاء:** أي يزيد في خلق الأجنحة ما يشاء .

قال تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِنْ فوقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤمَرون﴾ [النحل: ٥٠] .

الفرق بين الملائكة وبين البشر:

تفترق الملائكة عن البشر من عدة وجوه[١] :

الأول: أَنَّ الملائكة خَلْقٌ من نور غير منظور وغير محسوس ، أما الإنسانُ فقد خُلِقَ من صَلْصَالٍ من حمأ مسنون[٢] .

الثاني: أَنَّ الملائكة لا يتَّصِفون بذُكورةٍ ولا بأنوثة[٣] ، ولا يتناكحون ولا يَتَنَاسَلُون ، ولا يأكلون ولا يشربون ولا ينامون كما يَتَّصِفُ البشر بذلك .

الثالث: أَنَّ الملائكة لهم قدرة على التَّشَكُّلِ بإذنِ الله تعالى وأمْرِه بالأشكال البشريَّةِ السَّوِيَّةِ المختلفة.

---

(١) التوحيد ، للصف الثاني الثانوي في المعهد الديني بقَطَر ، ص١٢٠-١٢١ بتصرُّف .

(٢) **الصَّلْصَالُ:** الطين اليابس ، **وحمأ:** الطين الأسود ، **مسنون:** أي متغير .

(٣) فمَن وصفهُم بذُكورةٍ فقد عصى وفسَقَ ، ومَن وصَفَهُمْ بالأنوثةِ فقد كفرَ وخرج عن الدين ، لأنَّه يعارض صريحَ قولِ اللهِ تعالى في ذَم المشركين: **﴿وجَعلوا الملائكةَ الَّذِينَ هُمْ عبادُ الرحمنِ إناثاً أشَهِدوا خَلقَهم ستُكتَبُ شهادتهمْ ويُسألون﴾** [الزخرف: ١٩] .

الرابع: أَنَّ الملائكة مفطورون على العبادة والطاعة ، وليس عندهم استعداد لارتكاب المعاصي والوقوع في الذنوب .. أما الإنسان فقد رُكِّبَتْ فيه نزعات وميول تجعله أحياناً يميل إلى اقتراف المعاصي ، وهو في صراعٍ مستمرٍّ بين نفسه وبين شهواته ، وقد ينتصر في هذه المعركة جانبُ الخير على جانب الشر ، ويستعلي على شهواته فيسمو إلى درجة الملائكة ، وقد يتغلب في الإنسان جانب الشر على جانب الخير ، فينهزم في المعركة وتنتصر شهواته ، حَتَّى يصير أحطَّ من الحيوان ، قال الله تعالى: **﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾** [سورةُ التين: ٤-٥]، أي بكُفرِهِ وجحودِهِ ..

الفرق بين الملائكة والجن:

وإذا كان الملائكة من عالم الغيب ، فكذلك الجن ، إلاَّ أَنَّ هناك فروقاً كثيرةً بين الملائكة والجن[1] ، أذكر لك أهمها:

١- الملائكة خَلَقَهم الله من نور ، والجنُّ خلَقَهم الله من نار ، وقد تَقَدَّمَ الحديث الذي يدلُّ على ذلك .

٢- الملائكة مجبولون على طاعةِ الله ، والقيام بأوامره ، وتسبيحه

---

(١) التوحيد والفقه ، للصف الثاني الإعدادي بقطر ، ص ١٤-١٥ بتصرُّف وزيادة .

وتحميده وأما الجنُّ فـإنهم كالبشـر منهـم المطيع ومنهـم العـاصي ، كما أَنَّ منهم المسلم ومنهم الكافر .

قال تعالى -على لسـان الجـن-: ﴿وأنَّـا مِنَّـا الصَّـالِحُونَ وَمِنَّـا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدَا[1]﴾ [الجن: ١١] .

وقـال تعـالى: ﴿وأنَّـا مِنَّـا المسْلِمُونَ وَمِنَّـا القَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْـلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدَا وَأَمَّا القَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّم حَطَبًا[2]﴾ [الجن: ١٤-١٥] .

٣- الملائكة جميعهمْ يمثِّلون جانبَ الخير والفـلاح والصـلاح ، ويتَّجِهـونَ إلى عبادة ا لله ، وهداية الإنسان وحفظه ، ودعاء ا لله له بالمغفرة .

وأمَّا الشياطين[3] -وهم المتمرِّدون من كَفَرَةِ الجِـنّ- فـإنهم يُمَثِّلُـونَ جَـانِبَ الشَّـرِّ والفسـاد ، ويزيِّنـون للنـاس المعـاصي والشـهوات ، ويوسْوِسُونَ لهم ، ويوقعونهم في الشرور والآثام .

۞۞۞

---

(١) **الصـالحون:** المؤمنـون المخلصـون ، **طرائـق قـددا:** جماعـاتٍ متفرقـين وأصنافـاً مختلفة ، **والقِدَّة:** القطعة من الشيء .

(٢) **القاسطون:** الجائرون العادلون عن الحق ، **تحرَّوْا رَشَدا:** قَصَدُوا طريقَ الحق .

(٣) جاء ذِكر الشياطين في القرآن الكريم (٨٨) مرَّة ، وهذا العدد يتطـابق تمامـاً مَـعَ ذِكْرِ الملائكة في القرآن الكريم .

المناقشة

س١- ما حكم الإيمان بالملائكة عليهم السلام مع الدليل؟

س٢- اذكر ثلاثاً من صفات الملائكة الخَلْقِيَّة؟

س٣- اذكر صفَتين من صفات الملائكة الخُلُقِيَّة؟

س٤- تفترق الملائكة عن البشَر من عدة وجوه ، اذكر ثلاثة منها؟

س٥- تفترق الملائكة عن الجِنِّ من عدَّةِ وجوه ، اذكر اثنين منها؟

س٦- اذكر دليلاً لكلٍّ مما يلي:

أ - للملائكة أجنحة يتفاوتون في أعدادها .

ب- فُطِرَتِ الملائكة على الطاعة والعبادة .

جـ- الجِنُّ منهم المطيعُ ومنهم العاصي .

س٧- أكمل ما يلي:

أ - خلَقَ ا لله الملائكة من .... والدليل ....

....

ب - قد يتحوَّلُ الملك بقدرة ا لله إلى هيئة رَجُل ، ومثاله ....

جـ- الملائكة عباد ا لله ، لا يخالفون أمره ، والدليل ....

....

الدرس الرابع عشر

أعمال الملائكة عليهمُ السلام

الملائكة جنودُ الله سبحانه، بثّهُم في كَونِه، ووكَّلَهم بخلقه، وتنفيذ أمره.

١- فمنهم مَن ينزل بالوحي على الأنبياء، وهو **جبريل** عليه السلام، صاحبُ السفارة بين اللهِ تعالى ورسُلِهِ عليهم الصلاةُ والسلام.

قال تعالى: **﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ العَالَمِينَ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ، عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ المنذِرِينَ﴾** [الشعراء: ١٩٢-١٩٥].

٢- ومنهم الموكَّل بالنفخ في الصُّور، وهو **إسرافيلُ** عليه السلام، ينفخُ فيه بأمر الله نفختَين: الأولى للإماتة، والثانية للإحياء.

قال تعالى: **﴿وَنُفِخَ فِي الصُّور فصَعِقَ مَن في السَّموات ومن في الأرضِ إلاَّ من شاءَ الله ثُمَّ نُفِخَ فيه أخرى فَإِذَا هُمْ قيام يَّنظُرون﴾** [الزمر: ٦٨].

٣- ومنهم مَن يقبض الأرواح ويتوفَّى الأنفس، وهو **مَلَكُ الموت** وأعوانه.

قال تعالى: **﴿قُلْ يَتَوفَّاكُم مَّلَكُ المَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلى رَبِّكُمْ تُرجَعون﴾** [السجدة: ١١].

وقال سبحانه: **﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الموتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنا وَهُمْ**

لا يُفَرِّطُون[1]﴾ [الأنعام: ٦١] .

٤- ومنهم **الَّذِينَ يتنزلون على المؤمنين عند الموت** ، يُثَبِّتُونَهُم ، ويُبَشرونَهُم بالجنَّة .

قال تعالى: ﴿**إنَّ الَّذِينَ قَالُوا ربُّنا ا للهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الملائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بالجنَّةِ التي كنتُمْ تُوعَدُون**﴾ [فصِّلت: ٣٠] .

٥- ومنهم **الَّذِينَ ينذِرونَ الكفَّار عند الموت** ، وينزِعون أرواحَهم نزْعاً شديداً .

قال تعالى: ﴿**وَلَوْ تَرَى إذِ الظَّالِمونَ في غَمَرَاتِ الموتِ وَالملائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخرِجُوا أَنفُسَكُم اليَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الهُون[2]**﴾ [الأنعام: ٩٣] .

٦- ومنهم **الَّذِينَ يصعدون بروحِ المؤمن** ، حَتَّى يصِلوا بها إلى السماء السابعة ، **والذين يصعدون بروحِ الكافر** ثُمَّ يطرحونها في الأرض بعد أن تُغلقَ أبوابُ السماء دونها ، **ويسألون الميِّتَ في القبر** ، ثُمَّ يعذِّبونه أو ينعمونَه بعد إعادة الروحِ إلى الجسد .

٧- ومنهم **خزنةُ الجنة** القائمون برعاية أهل الجنة ونعيمهم .

---

(١) **لا يفرِّطون:** أي لا يقصِّرُون فيما أُمروا به ولا يضيِّعونه .

(٢) **غمراتُ الموتِ:** شدائده وسكَراته ، **الهون:** الهوانُ والذُّل .

قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُها وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُها سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُم فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣] .

٨- ومنهم **خزنةُ النار** القائمون على عذابِ أهلها .

قال تعالى في أوصافِ خزَنَةِ جهنم: ﴿عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدادٌ لا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم:٦] .

ورئيس خزَنَةِ النار هو مالك عليه السلام ، قال تعالى: ﴿وَنَادَوْا يا مالكُ لِيَقْضِ علينا رَبُّكَ قال إنَّكُم مَّاكِثون﴾ [الزُّخرف: ٧٧] .

٩- ومنهم **الكِرام الكاتبون** الذين يلازِمون الناسَ ، ويسجلون أعمالهم وأقوالهم ، وعندهم لكل واحدٍ من البَشَرِ سِجِلٌّ خاص قد كتبوا فيه كلَّ شيء ، ويعرضونه عليه يوم القيامة ، ويشهدون عليه بكل ما فيه .

قال الله تعالى: ﴿وإنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِراماً كَاتِبِين﴾ [الانفطار: ١٠-١١] .

وقال سبحانه: ﴿إذْ يتلَقَّى المتَلَقّيانِ عن اليمين وعنِ الشِّمالِ قعيد ما يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيد[1]﴾ [سورة ق: ١٧-١٨] .

١٠- ومنهُم **الموكَّلونَ بحفظ العبد** في إقامته وسَفَرِهِ ونومه ويقظته ، وفي جميع حالاته ، وهم **المعقِّبات** .

---

(١) **رقيبٌ**: حافظٌ ، **عتيد**: حاضر .

قال سبحانه: ﴿**لَهُ مُعَقِّباتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ**﴾[1] [سورة الرعد: ١١] .

وقالَ تعالى: ﴿**إِن كُلُّ نفس لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظ**﴾ [الطارق: ٤] .

١١- ومنهم الَّذِينَ يستغفرونَ للمؤمنين ويدعون لهم .

قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَحْمِلُونَ العرشَ وَمَن حولَهُ يسبِّحونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَّعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الجَحِيمِ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ**﴾ [غافر: ٧-٨] .

١٢- ومنهم الَّذِينَ يحضُرون مجالس الذِّكْرِ والعبادة ، ويحفُّونَ الَّذِينَ يتلون كتابَ اللهِ ويتَدارَسونَه بينهم ، كما جاءَ في الحديث: " وما جَلَسَ قومٌ في بيتٍ من بيوتِ اللهِ يتلونَ كتابَ الله ، ويتدارَسونَهُ بينهم ، إلاَّ نزلَتْ عليهم السَّكِينة ، وغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ ، وحفَّتْهُمُ الملائكة ، وذَكَرَهُمُ اللهُ فيمن عنده" [2] .

---

(١) **معقِّباتٌ**: الملائكة يعقب بعضهم بعضاً بحفظ ابن آدم في الليل والنهار دونَ انقطاع ، **من أمر الله**: أي يحفظونه من المضارِّ والمهلكات من أجل أنَّ الله أمرَهم .

(٢) رواهُ مسلم (٢٦٩٩) في كتابِ الذِّكْرِ والدعاء .

ثِمارُ الإيمان بالملائكة:

للإيمانِ بالملائكةِ فوائدُ وثمراتٌ كثيرةٌ في حياةِ المؤمن ، نذكُرُ لكَ أهمَّها فيما يلي:

١- **العلم بعظَمَةِ اللهِ تعالى وكمالِ قدرته** ، حينَما يعلم أَنَّ الله خَلَقَ من النور ملائكةً ذَوي أجنحة ، تحملُ قدرةً عجيبةً تصغرُ أمامها قدراتُ الخلائق مجتمعة ، ومع ذلك فَهُمْ خاضِعونَ لله ، لا يسبقونَهُ بالقول ، وهم بأمره يعملون ، فيزداد المؤمن تعظيماً لله وإجلالاً له سبحانه .

٢- **الطمأنينة والأنس بهم** ، حين يشعر المؤمن أَنَّ الله سبحانه وكَّلَ به ملائكة يدعون له ويستغفرون ، وحَفَظَةً يحفظونه ، وجُنداً يَحْمُونَه ويدافعون عنه .

٣- **حرص المؤمن على طاعة ربه وامتثال أمره** ، لِما يعلم أَنَّ الملائكة يسبحون الله في الليل والنهار ويعبدونه ، فيحمله ذلك على التشبُّهِ بهم ، وتقويةِ المعاني الرُّوحِيَّةِ ، والتدَرُّجِ في مدارجِ الكَمال .

٤- **بُعْدُ المؤمن عن معصية الله تعالى في السِّرِّ والعَلَن** ، ودوام مراقبته لله سبحانه ، لأنه يعلم حضور الملائكة معه وكتابتهم لأعماله وأقواله في صحيفةٍ سيقرؤها يوم القيامة .

٥- **الاستعداد لليوم الآخر**، فالمؤمن يعلمُ أَنَّ هذه الدنيا فانية حين

يتذكر ملك الموت المأمور بقبض الأرواح ، فيحرص على الاستعداد لليوم الآخر بالإيمان والعمل الصالح ، والعمل للجنَّة ليكون ممن يسلِّم عليه الملائكة فيها ، والبُعدِ عن أسباب دخول النار لئلا يكون ممن يوبخونه.



المناقشة

س١- ما وظيفة كلٍّ من الملائكة الآتية أسماؤهم مع الدليل:

١- جبريل .

٢- إسرافيل .

٣- مَلَكُ الموت .

س٢- ما الدليل على أعمال كلٍّ من:

١- الملائكةِ الكِرامِ الكاتبين الذين يسجلون أعمال بني آدم .

٢- الملائكة الموكَّلين بحفظ العبد في جميع حالاته .

٣- مالك رئيس خزَنَة النار .

س٣- أكمل الآيات الآتية ثُمَّ اذكر ما تدلُّ عليه:

أ - قال تعالى: (إنَّ الَّذِينَ قالوا ربُّنا الله ....

....).

ب- قال تعالى: (حتّى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها

....) .

جـ- قال تعالى: (عليها ملائكةٌ غِلاظٌ شِدادٌ ....

................................) .

س٤- اذكر ثلاثاً من ثمارِ الإيمان بالملائكة ؟

عالم الجِن والشياطين

١- الفرقُ بينَ الإنسِ والجن .

٢- صِفاتٌ مشتركة بين الإنس والجن .

٣- موقف الشيطان من الإنسان .

٤- التحصُّنُ من الشيطان .

الدرس الخامس عشر

عالَمُ الجنّ

لقد أخبرنا الله سبحانه في القرآنِ الكريم أنه خلَقَ خلْقاً آخرَ غير الإنس ، وغير الملائكة ، تعجز العيونُ عن رؤية صورتهم الأصلية ، وهذا الخلق هم (الجن) .

معنى الجن لغةً وشرعاً:

الجنُّ في اللغةِ: مأخوذةٌ من جنَّ ، وإنما سموا جِنّاً لاستتارِهم واختفائهم عن أبصارنا[1] .

والجنُّ في الشرع: أرواحٌ قائمةٌ في أجسامٍ لطيفةٍ نارِيّةٍ ، قادرةٌ على التشكُّلِ بصُوَرٍ مختلفة ، يأكلونَ ويشربون ، وفيهم الذَّكَرُ والأنثى ، ويتناكحون ويتناسلون ، ويموتون طائفةً بعد طائفة[2] .

وجوبُ الاعتقاد بوجودهم ، وحكمُ الكفر بهم:

من الأمور الغيبيَّةِ التي يجب الإيمان بها الاعتقادُ بوجود الجن ، وقد

(١) وهذه المادة (ج .ن .ن) تدلُّ على الاختفاء والاستتار ، ومنها أخذ المجنون لاستتار عقله ، والمِجَنّ: الترس الَّذِي يستجِنُّ به المقاتل ويستتر ، والجنين: لاستتاره واختفائه في بطن أمِّه ، والجنة ذات الشجر والنخل لسترها الأرض .

(٢) حول عالم الجن ، للشيخ عبدالله سراج الدين ، ص ٢٤٣ .

أثبت وجودَ الجن الخبرُ الصادق من القرآن الكريم والسُّنَّةِ الثابتةِ في مواضع كثيرة .

ومن الأدِلَّةِ القرآنية الدَّالَّةِ على وجودهم أَنَّ الله خصَّصَ سورةً كاملةً باسمهم ، وتحدث عن نفرٍ منهم استمعوا للقرآن من تلاوة الرسول ﷺ فآمنوا ثُمَّ ولَّوْا إلى قومهم مُنذِرين .

قال تعالى: ﴿**قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أنه استمع نَفَرٌ من الجنِّ فقالوا إنَّا سمعنا قرآناً عجبا يَّهدي إلى الرُّشدِ فآمنَّا به ولن نُّشْرِكَ بربِّنا أحدا**﴾ [الجن: ١-٢] .

فالاعتقاد بوجودِ الجن من واجب الإيمان ، وإنكارُ وجودِهم ردٌّ للقرآنِ والسُّنَّةِ المتواترة ، وهذا هو الكفرُ والعِياذُ با لله تعالى .

الفرق بين الإنسِ والجن:

الجنُّ عالَمٌ غَيْبِيٌّ كالملائكة ، وقد ذَكَرْتُ الفرقَ بين الملائكةِ والجن فيما مضى ، وأذكرُ لكَ الآنَ أهمَّ الفروق بين الإنس والجن:

١- الإنسُ خُلِقوا من تراب ، والجِنُّ خُلِقوا من مارجٍ من نار .

قال تعالى: ﴿**خَلَقَ الإنسانَ مِن صَلْصَالٍ كَالفَخَّارِ وَخَلَقَ الجانَّ**

من مَّارجٍ مِّن نَّار[1]﴾ [الرحمن: ١٤-١٥] .

٢- الجنُّ خُلِقوا قبل الإنس .

قال تعالى: ﴿**ولقَدْ خَلَقْنا الإنسَانَ مِن صَلصالٍ مِّنْ حَمَـأٍ مسنونٍ والجانَّ خلقناهُ من قبلُ من نارِ السَّمُوم**[2]﴾ [الحجر: ٢٦-٢٧] .

٣- الجِنُّ قادِرونَ على التَّشَكُّلِ بصورٍ مختلفة -صورة رجال أو بعض الحيوانات- .

٤- الجن يرَوْنَ الإنس ويشاهدونهم ، أما الإنس فإنهم لا يرون الجن ولا يشاهدونهم .

قال تعالى عن إبليس وجنوده: ﴿**إنَّهُ يَرَاكُمْ هوَ وقَبيلَهُ من حيثُ لا ترَونَهُم**[3]﴾ [الأعراف: ٢٧] ، فهذه الآية تدل على عدم رؤيتهم على أشكالهم الحقيقية ، ويجوز رؤيتهم على غير الصورة التي خُلِقوا عليها بعد أن يتطوروا ويأخذوا أشكالاً أخرى .

---

(١) **الصلصال:** الطين اليابس الَّذِي لَمْ يُطبخ ، إذ له صَلْصَلَةٌ إذا نُقِرَ ، فإذا طُبِخَ فهو الفخار . **مارج من نار:** أي من لهيب مختلط .

(٢) **الإنسان:** آدم عليه السلام ، **حمأ:** الطين الأسود ، **مسنون:** متغيِّر ، **من قبلُ:** من قبل آدم عليه السلام ، **نار السموم:** ريحٌ حارة تدخلُ مسامَّ الإنسان من قوَّةِ حرارتها .

(٣) **إنه:** يعني إبليس ، **قَبِيلُهُ:** جمع قبيلة وهي الجماعة المجتمعة التي يقابل بعضهم بعضاً .

٥- الجنُّ قادِرونَ على أعمالٍ عظيمةٍ خارقةٍ ، وصِناعاتٍ بديعةٍ فائقـةٍ ، وأعمالٍ شاقَّةٍ يعجزُ عن القيامِ بمثلِها البشر .

ولقد أخبر الله سبحانه أَنَّـه سخَّرَ لسليمانَ عليه السلام الجن ، فشيَّدوا لهُ الأبنيةَ الضَّخمةَ ، وعملوا له الصناعاتِ الفنيَّة ، وغاصوا له البِحار ، وجلبوا له الأحمالَ الثقيلةَ من مسافاتٍ بعيدةٍ بوقتٍ قليل ، وغير ذلك من الأعمالِ التي يعجز عنها البشر .

صِفاتٌ مشتركةٌ بينَ الإنسِ والجن:

وإذا كانَتْ تلكَ الأمور هي أهم الفروق بين الإنس والجن ، فهناكَ صفاتٌ مشتركةٌ أذكر لكَ أهمَّها:

١- أنَّهُم يأكلون ويشربون ، ويتناكحون ويتناسلون ، وفيهم الذَّكَرُ والأنثى ، كما هو حال الإنس .

٢- أنهم مكلَّفون بالشرائع الإلهية ، وتتناولُهم الأوامر والنواهي الشرعية ، كما هو حالُ الإنس ، ومما يدل على ذلك أَنَّ كثيراً من خطاباتِ التكليف في القرآن الكريم يجمع الله فيها بين الجن والإنس .

قال تعالى إخباراً عمَّا يقالُ لكُفَّارِ الجِن والإنسِ يوم القيامة: ﴿**يا معشر الجِن والإنس ألَم يأتِكُمْ رسُلٌ منكمْ يقُصُّونَ عليكم آياتي وينذِرونكُمْ لقاءَ يومِكُمْ هذا قالوا شَهِدْنا على أنفُسِنا وغرَّتْهُمُ**

الحياةُ الدُّنْيا وشَهِدُوا على أنفسهِمْ أنَّهم كانوا كافرين[1]﴾

[الأنعام: ١٣٠] .

ومن الأدِلَّةِ على أَنَّ الجِنَّ مكَلَّفونَ ؛ الخطاباتُ والنداءاتُ الموجَّهَةُ في سورة الرحمن إلى كلٍّ من الجِن والإنس: ﴿فبأي آلاء ربكُما تُكَذِّبان[2]﴾ .

"فالجِنُّ مكَلَّفونَ كما أَنَّ الإنسَ مكلَّفون ، وإنَّ تكاليف الجن هي تكاليف الإنس من حيث الإجمال ، وأما من حيث التفصيل فقد يختصُّ الجِنُّ بأحكامٍ فرعيَّةٍ جُزئيَّةٍ دونَ الإنس ، لاختلافهما في الجنس" [3] .

٣- أنَّهُمْ مشمولونَ بالتَّحَدي مع الإنسِ في العجزِ عن معارضةِ

---

(١) **معشر:** المعشر كل جماعة أمرُهُم واحدٌ ، والجمع: معاشر ، **رسلٌ منكم:** من أحدكم وهم الإنس ، فالرسل من الإنس ، والمنذِرون من الجن ، **يقصُّون:** يخبرونكم بما أوحي إليهم من آياتي .

(٢) تكرَّرَت هذه الآية في سورةِ الرحمن في واحدٍ وثلاثينَ موضعاً تقريراً لِنِعَمِ الله وتذكيراً بها . عن جابرٍ ﷺ قال: "خرجَ رسول الله ﷺ على أصحابه فقرأ عليهم سورة الرحمن من أولها إلى آخِرها ، فسَكَتوا ، فقال: لقد قرأتُها على الجِن ليلةَ الجِن ، فكانوا أحسنَ مردوداً منكم ، كنتُ كلَّما أتيتُ على قوله: **﴿فبأيِّ آلاءِ ربِّكما تكذِّبان﴾** قالوا: لا بشيءٍ من نِعَمِكَ ربَّنا نكذِّب ، فلكَ الحمد" أخرجه الترمذي (٣٢٩١) ، وقال: حديثٌ غريب .

(٣) حولَ عالم الجن ، ص ٢٥٦ .

المعجزات ، والخروجِ من أقطار الأرضِ والسموات .

قال تعالى: ﴿**قُلْ لئِنِ اجتمعتِ الإنسُ والجنُّ عَلَى أَن يَّـأْتُوا بِمِثْـلِ هَذَا القُرْآنِ لا يَـأْتُونَ بِمِثْلِـهِ وَلَـوْ كَـانَ بَعْضُهُـمْ لِبَعْـضٍ ظَهِـيرا**﴾ [الإسراء: ٦٨] .

وقال سبحانه: ﴿**يا معشرَ الجنِّ والإنـسِ إنِ اسـتطعتُمْ أن تنفُـذوا مِـنْ أَقْطَـارِ السَّـموَاتِ وَالأَرْضِ فَـانفُذُوا لا تَنفُـذُونَ إلاَّ بِسُلْطَانٍ**[1]﴾ [الرحمن: ٣٣] ، يعني: لا تقدِرونَ على النُّفوذِ إلاَّ بقُوَّةٍ وقَهْرٍ وغَلَبَـة ، وأنّـى لكُـمْ ذلـك لأنكـم حيثمـا توجَّهْتـم كنتـم في مُلكي وسُلطاني .

٤- الجِنُّ أصنـافٌ متنوعـة ؛ فمنهـم المسلم ، ومنهـم الكـافر ، ومنهـم الصالح ، ومنهم الطالح . . كما هو في الإنس .

قال ا لله تعالى إخباراً عنهم: ﴿**وأنّا مِنّا الصَّالِحونَ ومِنّا دونَ ذلكَ كُنَّا طرائِقَ قِدَداً**[2]﴾ [الجن: ١١] .

---

(١) **تنفذوا:** تخرجوا ، **أقطار السمواتِ والأرض:** جوانبها وأطرافها ، **والمعنى:** إن استطعتم أن تخرجوا من أقطار السموات والأرض فتُعجِزوا ربكم حتَّى لا يقدر عليكم فاخرجوا .

(٢) **طرائق قددا:** أي أصنافاً مختلفة ، وشِيَعاً متفرقـة ، وآراء متعـددة ، والطرائـق: جمعُ طريقة ، والقدة: القطعة من الشيء .

وقال سبحانه: ﴿وأنّا منّا المسلمونَ وَمِنّا القاسِطُون[1]﴾ [الجن: ١٤] .

٥- أنّهم يُحشَرونَ يوم القيامة فيُحاسَبون على أعمالهم ، فيثابون ويعاقَبون ، وأنَّ مؤمني الجِن في الجنة ، وأنَّ كُفّارَ الجن في النارِ يوم القيامةِ كالإنس .

ومِمَّا يدلُّ على أَنَّ مؤمني الجن في الجنة:

قوله تعالى إخباراً عن الجن: ﴿وأنّا لَمَّا سَمِعْنا الهدَى آمَنّا به فَمَن يُؤمن بربِّهِ فلا يخافُ بخساً ولا رَهَقاً[2]﴾ [الجن: ١٣] ، فهوَ سبحانه لا ينقص من ثواب محسنهم ، ولا يزيد في سيئاتِ مُسيئِهم .

وقال تعالى في سورة الرحمن: ﴿وَلِمَنْ خافَ مقامَ ربِّهِ جنّتانِ فبأيِّ آلاءِ ربِّكُما تُكَذِّبان[3]﴾ [سورة الرحمن] .

ومِمَّا يدلُّ على أَنَّ كفّارَ الجِن في النار:

قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كلمةُ ربِّكَ لأملأنَّ جهنَّمَ من الجِنَّةِ والناسِ

---

(١) **القاسط:** هو الظالِمُ الجائر النّاكب عن الحق ، بخلاف المقسط ، فهو العادل المستقيم على الحق .

(٢) **بخساً:** أي نُقصاناً من عملِهِ وثوابه. **رهقاً:** يعني ظُلماً .

(٣) **مقامَ ربِّهِ:** مقامه بين يدي ربِّه للحساب ، أو قيام ربه عليه: يعني اطّلاعه عليه .

أجمعين﴾ [هود: ١١٩].

وقال سبحانه: **﴿وَلَكِنْ حَقَّ القولُ مِنِّي لأَمـلأَنَّ جهَنَّـمَ مِـنَ الجِنَّـةِ والنَّاسِ أَجْمَعِين﴾** [السجدة: ١٣] .

۞۞۞

المناقشة

س١- ما معنى الجن لغةً وشرعاً؟

س٢- ما حكم الاعتقاد بوجودِ الجن وحكم الكفر بهم؟

س٣- اذكر أهم الفروق بين الإنس والجن؟

س٤- اذكر أهم الصفات المشتركة بينَ الإنس والجن؟

س٥- اذكر دليلاً لكلٍّ مما يلي:

أ - وجوب الاعتقاد بوجود الجن .

ب- الجن خُلقوا قبل الإنس .

جـ- الجن مكلَّفون بالشرائعِ الإلهيَّة .

د - مؤمنو الجِن في الجنة .

س٦- أكمل الآيات الآتية ، ثُمَّ اذكر ما تدل عليه .

أ - قال تعالى: (وأنَّا من الصالحون ....

........................) .

ب- قال تعالى: (وأنَّا لَمَّا سمِعْنا الهدى ....) .

جـ- قال تعالى: (ولكن حقَّ القولُ مِنِّي ....

..................................) .

الدرس السادس عشر

عَجْزُ الجنِّ عَن معرفةِ الغيب

الجنُّ كالإنسِ ، لا يعلمونَ عن الغيب الّذِي استأثر ا لله بعلمه شيئاً .

وقد ظنَّ بعضُ الناسِ أَنَّ الجنَّ قادِرونَ على معرفة الغيب والاطلاعِ على الأسرار المخفية ، فقصدوهم في معرفة أمورٍ غيبيةٍ كالسرقات والجنايات وغيرهما .

وقد نفى ا لله سبحانه معرفة الجن للغيب ، وكذَّبَ هذا الاعتقاد الفاسد .

قال تعالى في شأن جهل الجن بموتِ سليمانَ عليه السلام: ﴿**فلَمَّا خَرَّ تبيَّنَتِ الجِنُّ أن لَّوْ كانُوا يعلمونَ الغيبَ ما لَبِثُوا في العذابِ المهِين**[1]﴾ [سبأ: ١٤] .

وقال تعالى حكايةً عن الجن: ﴿**وأَنَّا لا ندري أَشَرٌّ أريدَ بِمَنْ في الأَرضِ أم أرادَ بِهِمْ ربُّهُمْ رشدا**﴾ [الجن: ١٠] ، فقولهم: "لاندري" نصٌّ صريحٌ في كونهم لا يعلمون الغيب .

---

(١) **خرَّ**: سقط سليمان ، **تبيَّنَتِ الجن**: علِمَت عِلماً بيِّناً بعد التباس الأمر على عامَّتِهم وضَعَفَتِهِم .

وقدْ يُلقِي الجنُّ إلى الإنسِ بعضاً من المغيَّبات ، وهي قسمان[1]:

١- مغيَّباتٌ استأثرَ ا للهُ سبحانهُ بعِلمِها ، فهذه لا يمكنُ لإنسٍ ولا لِجنٍّ معرفةُ شيءٍ منها ، فالإخبارُ عنها كذبٌ وافتراءٌ على ا لله تعالى ، ولا يحلُّ لأحدٍ أن يصدقَ شيئاً منها .

٢- ومغيَّباتٌ قضى ا للهُ أمرَها في السماء ، وأصبحت معلومةً لذَوي الاختصاص من الملائكة كما أصبحت معَدَّةً لتبليغها للملائكة الموظفين بتنفيذ أمرِ ا لله فيها ، فهذه قد جاء فيها عن رسول ا لله ﷺ الحديث الصحيح: "إنَّ الملائكة تنزل في العَنان -وهو السحاب- فتذكرُ الأمر قُضِيَ في السماء ، فتسترق الشياطينُ السمعَ ، فتسمعه فتوحيه إلى الكُهَّانِ فيكذِبونَ فيها مئة كذبة من عندِ أنفسهم" [2] .

وهذا هو استراقُ الشياطين السمعَ من الملائكة بعد نزولها إلى جَو الأرض ، وليس هو استراقها السمع من السماء ، كما كان دأبُهم قبل بعثةِ النبي ﷺ الّذِي مُنعوا منه بالشُّهُبِ ، كما أخبر ا للهُ سبحانه عنهم في سورة الجن: ﴿**وأنَّا لَمَسْنا السَّماءَ فوَجدْناها مُلِئَتْ حَرَساً شديداً وشُهباً**

(١) العقيدة الإسلامية ، للصف الأول الثانوي الشرعي (منهج سوريا) ص ٧٤-٧٥.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب "بدء الخلق" (٣٢١٠) من حديثِ عائشة .

وأنّا كُنّا نقعُدُ مِنها مَقَاعِدَ للسَّمعِ فَمَن يَّسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهابا رَّصَدا[1]﴾ [الجن: ٨-٩] .

وقد قال تعالى في تكذيبِ مَن يُلْقِي سَمعَهُ للشياطين وإثمه الكبيرُ في ذلك: ﴿**هَل أُنَبِّئُكُمْ على مَن تنزَّلُ الشياطين تَنَزَّلُ على كل أفَّاكٍ أثيم يُلقونَ السَّمْعَ وأكثرهم كاذِبون**﴾ [الشعراء: ٢٢١-٢٢٣] .

"فما يدَّعيهِ بعضهم من الاتِّصالِ بالجن ، وينقلون عنهم كذباً يزعمونه من علمِ الغيب ، ويتلاعبونَ بعقولِ السُّذَّجِ من النساء وصِغارِ العُقول ، كلُّ ذلكَ افتراءٌ على ا لله سبحانه" .

عجزهم عن النفع والضّر:

الجنُّ لا حولَ لهم ولا قدرة ، ولا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضرّاً إلاَّ أن يشاء ا لله ، وقد بيَّنَ ا لله سبحانه أَنَّ أهل الجاهلية الَّذِينَ كانوا يعوذونَ برجالٍ من الجن ، لم ينفعهم الجِنُّ بشيء ، بل زادوهم غَيّاً وضلالاً وبُعْداً عن الأمن الَّذِي يرجونه منهم .

(١) **حرَساً شديداً:** جمعاً أقوياءَ من الملائكة ، **وشهباً:** جمعُ شهابٍ أي كواكب مضيئة ، **نقعُدُ منها:** أي من السماء ، **مقاعدَ للسمع:** لاستماع أخبار السماء ، **الآن:** أي بعد مبعث النبي ﷺ ، **شِهاباً رصَدا:** أي أُرصد له ليُرمَى به .

قال تعالى: ﴿وأنه كانَ رِجالُ منَ الإنسِ يعوذُونَ برِجالِ منَ الجِن فَزَادُوهُمْ رَهَقَا[1]﴾ [الجن: ٦] .

وقد ندَّدَتِ الأحاديثُ الكثيرةُ بالذين يُصَدِّقُونَ الكَهَنَةَ والعَرَّافين والمَنَجِّمين ، ويعتمدونَ عليهم ، وعدَّت ذلك شِركاً با لله .

قال ﷺ : "مَن أتى عَرَّافاً فسألَهُ عن شيءٍ لم تُقبَلْ صلاته أربعين ليلة" [2] .

وعن ابن مسعودٍ موقوفاً: "مَن أتى عرَّافاً أو ساحراً أو كاهناً ، فسأله فصدَّقَهُ بما يقول ، فقد كفرَ بما أُنزِلَ على محمد ﷺ" [3] .

وهو وعيدٌ مخيفٌ لِمَن يذهبُ إلى هؤلاء الدَّجَّالين ، فإن كان يعتقدُ أنهم فعلاً يعلمون الغيب ، ويخترقون حُجُبَهُ ، فقد دخلَ في الكفر الأكبر الصريح ، وإلا فقد وقعَ في كبيرةٍ من الكبائر التي تجُرُّ إلى الكفر والعياذُ با لله .

"فهؤلاءِ المنجِّمون والمشعوذون الَّذِينَ ينسبون للجنِّ النفعَ والضرَّ ،

---

(١) معنى الآية: زادَ الإنسُ الجِنَّ باستعاذَتِهِمْ بِقادَتِهِم طغياناً وإثماً ، **والرهق**: الإثم وغشَيانُ المحارم .

(٢) أخرجه مسلم في كتابِ السلام (٢٢٣٠) ، **والعرَّاف**: كالكاهِنِ إلاَّ أَنَّ العرَّاف يختصُّ بمن يُخبر بالأمور المستقْبَلَة ، والكاهن بمن يخبر بالأحوال الماضية.

(٣) قال الهيثمي في "مجمع الزوائد" ١١٨:٥: رواهُ البزَّارُ ، ورجاله رجال الصحيح .

ويتحدثون عنهم بالمغيَّبات كذابونَ دجَّالونَ عصاة لله والرسول ، يريـدون أن يستولوا على المغفَّلين ضُعَفاء الإيمان والعقول .

فالاستعاذةُ لا تكون إلاَّ با لله ، والاستعانة لا تكون إلاَّ با لله" [1].

✡✡✡

(١) العقيدة الإسلامية ، للدكتور مصطفى الخن ، ص ٥٥٢-٥٥٣ .

المناقشة

س١- ما مُعتقَدُ أهلِ الجاهلية في الجن؟

س٢- هل يستطيع الجن أن يعلموا الغيب؟

س٣- هل يستطيع الجن أن يلقوا بعض المعلومات إلى الإنس؟

س٤-هل استراقُ الشياطين السمعَ من الملائكة اليوم يكـون مـن السـماء؟ بين ذلك مع الأدِلَّة؟

س٥- ما حكم من صدَّقَ الكَهَنَةَ والعرَّافين؟

س٦- اذكر دليلاً لِما يأتي:

أ - عجز الجن عن معرفةِ الغيب .

ب- منع الجن من استراق السمع من السماء .

جـ- الاستعاذة بالجن لا تنفع الإنس .

س٧- أكمل الأدِلَّة الآتية ثُمَّ اذكر ما ترشد إليه:

أ - ﴿فلَمَّا خرَّ تبيَّنَتِ ....﴾

ب- ﴿هل أنبئكم على مَن تنَزَّلُ ....﴾

جـ- "مَن أتى عَرَّافاً فسَأَلَه ...."

الدرس السابع عشر

عَالَمُ الشَّيَاطِين

عرَفْنا في الدرس السابق أَنَّ الجنَّ على طرائقَ متفرقةٍ ، وآراءٍ متعددة ، منهم المسلم ومنهم الكافر . فالمسلمون منهم يقالُ لهم: الجنّ المسلمون ، والكفَّار منهم يسمَّونَ شياطين .

معنى الشياطين لغةً وشرعاً:

الشياطين جمع شيطان ، وهو مأخوذ من شَطَنَ بمعنى بَعُدَ ، والشيطان كلُّ عاتٍ متمردٍ من إنسٍ أو جنٍّ ، سُميَ بذلك لبُعدِهِ عن رحمة الله تعالى .

والمرادُ بالشياطين: كفَّار الجن الَّذِينَ خرجوا عن طاعةِ اللهِ وأمره .

إبليس:

وإبليس هو أولُ شيطان جنِّيٍّ كافرٍ ، كما قال فيه سبحانه: **﴿كانَ منَ الجِنِّ فَفَسَقَ عنْ أمرِ ربِّه﴾** [الكهف: ٥٠] .

فهو من الجن وليس من الملائكة ، والأدلة على ذلك ما يلي:

١- أَنَّ إبليس مخلوقٌ من النار: قال تعالى إخباراً عنه: **﴿خَلَقْتَني من نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِين﴾** [الأعراف: ١٢] ، والملائكةُ مخلوقونَ من النور ،

كما تقدَّمَ في حديث مسلم .

٢- أَنَّ إبليس له ذُرِّيَّةٌ: قال تعالى: ﴿أفتتَّخِذُونَه وذُرِّيَّتَهُ أولياءَ مِن دُوني وهُمْ لَكُمْ عَدُوّ﴾ [الكهف: ٥٠] ، وأمَّا الملائكةُ فلا ذُرِّيَّةَ لهم ، لأنهم ليسوا ذُكوراً ولا إناثاً ولا شهوةَ لهم .

٣- أَنَّ إبليس خالفَ أمرَ اللهِ تعالى بالسجودِ لآدمَ ، وأمَّا الملائكةُ عليهم السلام فهُم معصومون عن المخالفةِ والمعصية[1] .

موقفُ الشياطين من الإنسان:

الشيطانُ عدوٌّ للإنسان ، كما قال الله تعالى: ﴿إنَّ الشيطانَ للإنسانِ عدوٌّ مبين﴾ [يوسف: ٥] ، فينبغي للإنسان أن يقف منه موقف المعَادي الحَذِر من شَرهِ ومَكْرِه .

قال الله تعالى: ﴿إنَّ الشيطان لكُمْ عدُوٌّ فاتَّخِذوهُ عدُوّا﴾ [فاطر: ٦] .

ومن أنواع عداوته وأسلحته التي يهاجم بها الإنسان:

١- **تزيين الكفر والطغيان والفساد:** فالشيطانُ يبذلُ جميع طاقاتِهِ في

(١) وأمَّا قوله تعالى: ﴿وإذ قُلنا للملائكةِ اسجدوا لآدمَ فسجدوا إلاَّ إبليس﴾ [البقرة: ٣٤] ، فأجاب العلماء بأنه استثناءٌ من جنس المأمورين ، لا مِن جنسِ الملائكة ، فهو استثناءٌ منقطع .

تضليل الإنسانِ وتزيينِ الكُفرِ والفسادِ له .

قـال تعـالى: ﴿**فزيَّـنَ لَهُـمُ الشَّـيطانُ أعمـالَهُمْ فهـوَ وليُّهُـم**﴾ [النحل: ٣٦] .

وقـال سـبحانه: ﴿**وزيَّـنَ لهُـمُ الشـيطانُ مَـا كَـانُوا يَعْمَلُـون**﴾ [الأنعام: ٤٣] .

فمِنْ شأنِ إبليس أن يُحَسـنَ في عُيـونِ أتباعـه السـيءَ حَتَّـى يَـرَوْهُ حسَناً ، ويُجَملَ لهم القبيحَ فلا يُبصِروه قبيحاً .

٢- **الوعد بالفقر والأمر بالفحشاء:** ومِـن عداوتِـهِ للإنسـانِ أنـه يعِـدُهُ بالفقرِ واليأسِ مما يؤملُهُ ويرجوه ، ويأمره بالفحشاء .

قال تعالى: ﴿**الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الفَقرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالفَحْشَاءِ**﴾ [سـورة البقرة: ٢٦٨] ، وطريقته في إشاعةِ الفحشاء: "التكشُّفُ والتَّعَـري ، ولبس القصير من الثياب ، قـال تعـالى: ﴿**يا بـني آدمَ لا يفتِنَنَّكُـمُ الشيطانُ كما أخـرجَ أبَوَيْكُـم مِّنَ الجنَّةِ يَـنزِعُ عَنْهُمَـا لِبَاسَـهُما لِيُرِيَهُما سَوْءَاتِهِمَا**﴾ [الأعراف: ٢٧] فكـانَ نـزعُ الثيـابِ ، وإبـداء العورات أوَّلَ مادَّةٍ في هذا القانونِ الشيطاني"[(١)].

٣- **إلقاءُ العداوة وإثارة البغضاء بين بني آدم:**

قـال تعـالى: ﴿**إنَّمـا يريـدُ الشـيطان أن يُوقِـعَ بَيْنَكُـمُ العَـدَاوَةَ**

---

(١) تعريف عام بِدينِ الإسلام ، ص ١٥٤ .

والبغضاءَ في الخَمْرِ والميسرِ ويَصُدَّكُم عن ذِكْرِ الله﴾ [المائدة: ٩١] .

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿وقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إنَّ الشيطانَ ينزغُ بينهم إنَّ الشيطانَ كانَ للإنسانِ عَدُوّا مُّبينا﴾ [الإسراء: ٥٣] ، وتقومُ الشياطين بإثارةِ البغضاء التي تفرق الأخَ من أخيه ، والزوجَ من زوجه ، وبتأجيج نارِ الحرب التي تأكل الأخضرَ واليابس ، وتُهلكُ الحرثَ والنسل ، وما من فسادٍ اجتماعيٍّ أو سياسيٍّ أو خلُقِيٍّ إلاَّ وراءَهُ الشيطان .

٤- **الوسوسة في صدور الناس:** ومِن عداوة الشيطانِ للإنسانِ أنه يقذفُ في القلوب الأباطيلَ والظنون السيئةَ ، ويوسوسُ في صدورهم .

وقد حذَّرَنا الله من خطرِ الوساوس الشيطانية ، وأمَرَنا أن نلجأ إليه سبحانه ، عائذين به من همزاتِ الشياطين .

قال تعالى: ﴿وقُل رَّبِّ أعوذُ بكَ من همَزَاتِ الشياطِينِ وأعوذُ بِكَ ربِّ أن يحضُرون﴾ [المؤمنون: ٩٧-٩٨] .

وقال تعالى: ﴿قُل أعوذُ بربِّ الناسِ مَلِكِ الناسِ إلهِ الناسِ من شَرِّ الوسواسِ الخنَّاسِ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ الناسِ مِنَ الجِنَّةِ

والناس[1]﴾ [سورةُ الناس] .

التَّحَصُّنُ من الشيطان:

أرشدنا الله سبحانه إلى الأسبابِ الواقِيَةِ من وساوسِ الشيطان ومضاره ومفاسدِهِ ومداخله ، وأهمُّ هذه الأسباب التي يتحصَّنُ بها المؤمن:

١- **التعوُّذُ با لله:** أي: الالتجاءُ إلى الله ، والاحتماءُ به سبحانه من الشيطان ، ومعنى أعوذُ با لله من الشيطان الرجيم: أي أستجيرُ با للهِ من الشيطانِ الرجيم ، لا يضرُّني في ديني ودنياي ، أو يصدُّني عن فعلِ ما أُمِرتُ به ، أو يحُثُّني على فعل ما نُهيتُ عنه .

قال تعالى: ﴿**وإمَّا ينزغَنَّكَ من الشيطانِ نزغٌ فاستعِذْ با لله إنَّهُ سميعٌ عليم**[2]﴾ [الأعراف: ٢٠٠] .

وقال تعالى: ﴿**وإمَّا ينزغنَّكَ من الشيطانِ نزغٌ فاستعِذْ با للهِ إنَّهُ هوَ السميعُ العَلِيم**﴾ [السجدة: ٣٦] .

ومِن أعظمِ التعويذات: الإكثار من قراءةِ المعوذات ، وهي:

---

(١) **الوسواس:** الشيطان ، والوسوسة: الصوت الخفي ، **الخنَّاس:** الَّذِي يخنس ، أي ينقبض إذا ذُكر الله تعالى .

(٢) **النزغ:** دخولٌ في أمرٍ لإفسادِه ، وأصله الإزعاج بالحركة إلى الشر والإفساد ، **فاستعذ با لله:** فاستجِر با لله والجأ إليه في دفعه عنك .

(سورة الإخلاص والفَلَقِ والناس) .

٢و٣و٤- التَّسْمِية وقراءةُ آيـةِ الكرسـي وخاتمـة سـورة البقـرة: فإنَّهـا وقايةٌ من شَر الشيطان .

٥- الإكثـارُ مـن ذِكْـرِ ا لله تعـالى: فَـإنَّ ذِكْـرَ ا لله تعـالى حِصْنٌ حَصينٌ للذَّاكِر ، وكُلَّما كان الإنسانُ أكثر تقوى لله تعالى ، وأعظمَ ذِكْراً كان في عياذٍ من الشيطان أمنع ، وصيانةٍ منهُ أتَمّ .

لا سلطانَ للشيطانِ على عبادِ ا لله الصالحين:

لَمْ يُعْطِ ا للهُ الشيطانَ قُدرةً على التأثير على المؤمن المخلصِ الملتجئ إلى ا لله .

قال ا لله تعالى: ﴿**إنَّ عِبادي ليسَ لكَ عليهِمْ سُلطانٌ وكَفَى بربِّكَ وَكِيلا**﴾ [الإسراء: ٦٥] .

وجاء في القرآن الكريم فيما وردَ على لسانِ إبليس: ﴿**قالَ ربِّ بِما أغوَيْتَني لأُزَيِّنَنَّ هم في الأرضِ ولأُغْوِيَنَّهُمْ أجمعين إلاَّ عبادَكَ منهمُ المخْلَصِين**[1]﴾ [الحِجر: ٣٩-٤٢].

---

(١) **بما أغويتني:** بما أضللتني ، **المخلَصين:** يعني مَن أخلصتَه واصطفيتَه لتوحيدك وعبادتك ، وبكسر اللام: يعني المؤمنين الَّذِينَ أخلصوا لكَ التوحيد والطاعةَ والعبادة .

﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُـمْ أَجْمَعِينَ إِلاَّ عِبَـادَكَ مِنْهُـمُ المخْلَصِـينَ﴾ [ص: ٨٢-٨٣].

فقدْ أقَرَّ إبليس واعترف بأنَّهُ لا يقدر على إغواء المخلَصينَ من عبـادِ الله الصالحين .

وقال سبحانه مخاطِباً إبليس: ﴿إنَّ عبادي ليسَ لكَ عليهِمْ سُـلطانٌ إلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ منَ الغاوين﴾ [الحجر: ٤٢] ، أي ليس لَكَ تسـلُّطٌ إلاَّ علـى الَّذِينَ اتبعوا غوايتك ، واستجابوا لدعوتك .

وهذا ما يشهد به إبليس نفسُه يومَ القيامة: ﴿وَقَـالَ الشَّـيْطَانُ لَمَّـا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الحقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَـأَخْلَفْتُكُمْ وَمَـا كَـانَ لِيَ عَلَيْكُـم مِّـن سُـلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُـمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِـي فَـلا تَلُومُونِـي وَلُومُوا أَنفُسَكُمْ[1]﴾ [إبراهيم: ٢٢] .

❁❁❁

(١) **قُضِيَ الأمر:** يعني لَمَّا فرغ منه ، وأُدخِلَ أهلُ الجنةِ الجنةَ ، وأهلُ النـارِ النـارَ ، **من سلطان:** من ولاية وقهرٍ وحجة .

المناقشة

س١- ما معنى الشياطين لغةً وشَرعاً؟

س٢- هل إبليس من الجن أم من الملائكة، اذكر الأدِلَّة على ما تقول؟

س٣- تكلَّمْ عن موقف الشيطان من الإنسان، واذكر ثلاثةً من أنواع عداوته التي يهاجم بها الإنسان؟

س٤- اذكر ثلاثة من الأسباب الواقية من مضارِّ الشيطان؟

س٥- هل للشيطان قدرةٌ في التأثير على عبادِ الله الصالحين؟

س٦- اذكر دليلاً لكلٍّ مما يلي:

أ - إبليس مخلوقٌ من نار.

ب- إلقاؤه العداوةَ بين بني آدم وإثارة البغضاء.

جـ- عدم تأثيره على المؤمنين المخلصين.

س٧- أكمل الآيات الآتية، ثُمَّ اذكر ما ترشد إليه:

أ - ﴿يا بني آدمَ لا يفتننَّكُم ....﴾

ب - ﴿وقالَ الشيطانُ لَمَّا قُضِيَ الأمر ....﴾

جـ- ﴿أفَتَتَّخِذُونَهُ وذُرِّيَّتَهُ ....﴾

د - ﴿قُل لعبادي يقولوا ....﴾

الفَصل الثالث

الإيمان بالكُتُب السَّماويَّة

١- تعريفها .

٢- وجوبُ الإيمانِ بها .

٣- أثرُ الإيمان بها .

٤- تحريف الكُتُب التي سبقت القرآن .

٥- القرآن العظيم (تنزيله ، تدوينه ، ضبط تلاوته) .

٦- الفرق بين القرآن الكريم والكتبِ السماوية السابقة .

٧- خصائص القرآن الكريم .

٨- واجبُنا نحو القرآن الكريم .

الدرس الثامن عشر

الإيمان بالكتب السَّماويَّة

تعريفها:

الكتبُ السماوية: هي الكتبُ التي أنزلها الله على رسُلِه ليبلِّغوها للناس ، فيها الدعوة إلى توحيدِ اللهِ وعبادتِهِ ، والإيمانِ باليوم الآخر ، والحثِّ على العمل الصالح .

وقد ذَكَرَ القرآن الكريم منها:

١- **صحف إبراهيم وموسى:** التي أُنزلت على إبراهيم وموسى عليهما السلام.

قال تعالى: ﴿**أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى**﴾ [سورة النجم: ٣٦-٣٧].

وقال سبحانه: ﴿**إِنَّ هَـذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى**﴾ [سورة الأعلى: ١٨-١٩].

٢- **التوراة:** التي أُنزلت على موسى عليه السلام .

قال تعالى: ﴿**إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ**﴾ [المائدة: ٤٤] .

٣- **الزَّبور:** الذي أُنزل على داود عليه السلام .

قال تعالى: ﴿**وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا**﴾ [النساء: ١٦٣] .

٤- **الإنجيل**: الذي أُنزل على عيسى عليه السلام .

قال تعالى: ﴿**وَآتَيْنَاهُ الإِنجيلَ فِيهِ هُدَى وَنُور**﴾ [المائدة: ٤٦] .

٥- **القرآن**: الذي أُنزل على محمد ﷺ ، وهو أعظم هذه الكتب على الإطلاق ، وآخِرُ كِتَابٍ أُنزل على آخر نبيٍّ أُرسل .

قال تعالى: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ القُرْآنَ تَنزِيلا**﴾ [الإنسان: ٢٣] .

وجوبُ الإيمان بالكتب:

يجب الإيمان بِأَنَّ الكتبَ السَّماويةَ هي كلامُ الحق تبارك وتعالى ووحيُهُ المنَزَّل على هؤلاء الرسل المذكورين ، كما يجب الإيمان إجمالاً بِأَنَّ الله أنزل كُتُباً أخرى على رُسُلٍ آخرين لا نعرف أسماءَها ، وهي حقٌّ وصدقٌ لأنها من عند الله .

قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ والكتابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْل**﴾ [النساء: ١٣٦] .

ولا يُقبل إيمانُ مَنْ آمن ببعضِ هذه الكُتُب وكفر بجزءٍ منها ، كما يقول تعالى: ﴿**أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الحياةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ القِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ العَذَابِ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُون**﴾ [البقرة: ٨٥] .

أثرُ الإيمانِ بالكُتُب

١- كمالُ حكمة ا لله سبحانه:

الإيمان بالكتبِ تصديقٌ بوحْيِ ا للهِ سبحانه ، وإيمانٌ بكَمالِ حكمته ، وأنه لا يترك عباده سدىً دونَ أن يبينَ لهم طريق هدايتهم ، وما لهم وما عليهم من الحقوق والواجبات ، وما فيه صلاح دنياهم وآخرتِهم .

قال تعالى: ﴿**كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ**﴾ [إبراهيم: ١] .

فمَن أنكرَ كتبَ ا للهِ وكذَّبَ بها فما عرفَ ا لله العليمَ الحكيمَ ، ولا عرف قَدْرَ رَب العالمين .

قال تعالى: ﴿**وَمَا قَدَرُوا ا للهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ ا للهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ..**﴾ [الأنعام: ٩١] .

٢- الدلالةُ على وحدةِ الرسالات:

الإيمان بكتبِ ا لله كالإيمان برسُلِهِ ، فيه دلالةٌ على وحدة الرسالات الإلهية ، والوحدة الجامعة بين المؤمنين .

فهذه الكُتُب جميعها مُنَزلُها واحد ، هو ا لله عزَّ وجَلّ ، وهدفُها واحدٌ ، هو الدعوة إلى توحيد ا لله عزَّ وجَلّ وعبادتِهِ ، والإيمانِ

باليومِ الآخرِ والعملِ الصالح .

قال تعالى: ﴿**كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الكِتَابَ بِالحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ** [1] ﴾ [البقرة: ٢١٣] .

٣- الهدايةُ والرحمة:

مِن أهم آثار الإيمان بالكتب: أَنَّ الإنسانَ -هذا المخلوق الضعيف- يرجع من خلالها إلى ما يبددُ حَيْرته ، ويعرف طريق هدايته وفلاحه ، ويقرأ فيها ما يُنجيه من عذابه وهلاكه .

بل ويستشعر بتلاوته إِيَّاهَا رحمةَ مَنْ يناجيه في خلوته ، وينصحه في زلَّتِه ، ويحميه من شهوته ، فهي البلاغ المبين لِما كان وما سيكون .

۞۞۞

(١) **أمّةً واحدة:** أي على دينٍ واحدٍ فاختلفوا . **مبشِّرين:** بالثوابِ لمن آمنَ وأطاعَ ، **ومنذرين:** بالعقاب لمن كفر وعصى ، **وأنزلَ معهم الكتاب:** أي الكتب ، **بالحق:** بالعدل والصدق ، **ليحكم بين الناس:** أي الكتاب .

المناقشة

س١- ما الكُتُب السماوية ؟ وإلى أي شيءٍ تدعو؟

س٢- اذكر الكُتُب التي يجب الإيمان بها؟ وعلى مَن أُنزلت؟

س٣- ما حكم الإيمان بالكتب؟

س٤- هل يُقْبَلُ إيمانُ مَن آمنَ ببعضِ الكتبِ و كَفَرَ ببعضها الآخر؟

س٥- اذكر دليلاً واحداً للكتب السماوية المذكورة في القرآن. .

صحف إبراهيم وموسى - التوراة - الزَّبور - الإنجيل - القرآن .

س٦- أكمل الآيات التالية ثُمَّ اذكر ما تَدُلُّ عليه:

﴿وما قدَروا الله حقَّ قدرِه ....﴾ .

﴿كانَ الناسُ أُمَّةً واحدة ....﴾ .

﴿أفَتُؤْمِنونَ ببعضِ الكتاب ....﴾ .

س٧- ما أثرُ الإيمان بالكُتُبِ الإلهية؟

الدرس التاسع عشر

تحريفُ الكتبِ التي سَبَقَت القرآن

الكتبُ السَّماوية التي نَزَلَتْ قبل القرآن أُنزلت لأقوامٍ مخصوصين ، ولفترةٍ زمنيَّةٍ محدودة ، ولم تنزل بشريعة عامةٍ خالدة ، فلذلك لم يتكفَّل الله عزَّ وجَلّ بحفظها كما تكفَّل بحفظ القرآن ، فضاعت أصولُها ، وغُيِرَت أحكامُها .

وأول هذه الكُتُب تحريفاً: التوراة [1] .

التَّـــوراة

التوراة: الكتابُ الذي أنزله الله على موسى نوراً وهدىً لبني إسرائيل .

فقدُها: هذه التوراةُ قد فُقِدَت منذ زمنٍ قديم ، وضاعَتْ بسبب النكبات التي مرَّت ببني إسرائيل من قتل وتشريد ، وتسليطِ الله عليهم من يَسُومُهم سوء العذاب[2] ، جزاء بغيهم وإفسادهم في الأرض .

تحريفُها: التوراةُ الموجودة اليوم محرَّفة ، وليست هي التوراة التي

(١) مقرَّر التوحيد والفقه ، للصف الثاني الإعدادي في قطر ، ص: ٢٠-٣٠ بتصرف واختصار .

(٢) **يسومهم:** يورِدُهُمْ ، ويذيقهم ، ويولّيهم . **سوء العذاب:** أشَدَّ العذاب.

أُنزلت على موسى عليه السلام ، ولكنها مجموعة من الأسفار[1] كتبها اليهود بأيديهم ، ثم قالوا: هي من عند الله ، ليشتروا بها ثمناً قليلاً ، قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩] .

الدليل على تحريف التوراة: لا يحتاج الإنسانُ إلى جهدٍ لإثباتِ تحريفِ التوراة الموجودة وتزويرها ، ويكفي لأي عاقل أن يطَّلِعَ عليها ليحكم بكذبها وتزويرها .

والأدلةُ التي تثبت تحريفَ التوراة كثيرة منها ما تضمنته من: عقائدَ فاسدة ، وحكاياتٍ كاذبة ، وتناقضاتٍ واضحة ، وإفسادٍ للأخلاق ، وتزويرٍ للأحكام .

ونكتفي بشرح الدليل الأول وهو: **تحريف العقيدة** .

إِنَّ الكُتُبَ التي أُنزلت على المرسلين كُلّها تدعو إلى توحيدِ الله والإيمان باليومِ الآخرِ ، والحثّ على العمل الصالح ، فنجد التحريف في التوراة في أصل الإيمان الذي جاء به المرسَلون .

أما الله سبحانه: فقد نَسَبَتْ إليه التوراة من صِفَاتِ النَّقْصِ ما يتنزَّهُ عنه سبحانه ، فجعلته خاصّاً ببني إسرائيل ، وهو سبحانه ربُّ العالمين ،

---

(١) **الأسفارُ:** جمعُ سِفْر ، وهو الكِتابُ الَّذِي يُسْفِرُ عن الحقائق .

وصوَّرَتْهُ كالإنسان يتعب ويستريح ، فتقول: إنه خلَقَ السموات والأرض في ستة أيام واستراح في اليوم السابع (يوم السبت) .

وقد ردَّ الله سبحانه على كذبهم وضلالهم بقوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ**[1]﴾ [سورة ق: ٣٨].

كما وصفته بالبُخل والفقر ، فَرَدَّ الله عليهم افتراءَهُم ولعَنَهم ، فقال تعالى: ﴿**وَقَالَتِ اليَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا**[2]﴾ [المائدة: ٦٤] وقال تعالى: ﴿**لَقَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ**﴾ [آل عمران: ١٨١] .

وأما **اليوم الآخر**: فلا وجود له في هذه التوراة المحرَّفة ، فقد خلَت من مُجَرَّدِ ذِكْرِه فَضْلاً عن إثباته ، وإقامةِ الأدلَّةِ على إمكانهِ ، والدعوةِ للإيمانِ بِهِ ، وَخَلَتْ من ذِكْرِ الجَنَّةِ والنار ، وكُلُّ ذلك من أصولِ الإيمانِ التي جاءتْ بها الكُتُب السماوية .

وقد جَعلت الجَنَّة التي يثيبُ اللهُ بها على الطاعات هي الحياة على

---

(١) **لغوب**: أي إعياء وتعب .

(٢) **مغلولةٌ**: أي محبوسةٌ مقبوضةٌ عن الرِّزقِ والعطاء ، فنسبوا اللهَ تعالى إلى البُخلِ ، تعالى اللهُ عمَّا يقولونَ علُوّاً كبيراً ، **غُلَّتْ أيديهم**: أي أُمسِكَت أيديهم عن كلِّ خيرٍ ، وطُرِدوا من رحمةِ الله .

أرض فلسطين .

كما جَعَلَتِ النار التي يعاقب الله بها على السيئات هي: الطرد من أرض فلسطين .

ومن **تحريف العقيدة:** نسبةُ كبائر الإثم والفواحش إلى الرُّسُلِ الأخيار ، فقد نسبت إلى نوحٍ وإبراهيمَ ولوطَ وإسحاقَ ويعقوبَ وداودَ وسليمانَ ما لا يليق أن يُنسَبَ لإنسانٍ عادي[1]، فضلاً عن أنبياءَ جعلهم الله قدوةً صالحةً للناس ، ووصفهم بقوله سبحانه: ﴿**أولئكَ الَّذِينَ هَدَى الله فَبِهُداهُمُ اقْتَدِه**﴾ [الأنعام: ٩٠].

وهذا كلُّهُ يدلُّ على أَنَّ اليهودَ حرَّفوا الكتابَ الَّذِي آتاهم الله إياه ، وزوَّروا الحقائق الإيمانية فيه ، فحذفوا وأضافوا ، وغيَّروا وبدَّلوا .

الزَّبُــــور

وهو الكتاب الذي أُنْزِلَ على داود كما أخبرنا القرآن الكريم: ﴿**وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورا**﴾ [الإسراء: ٥٥] .

وقد فُقِدَ هذا الكتاب كما فُقِدَت التوراة ، والكتبُ السابقة على

---

(١) ومن الإفكِ والبهتان ما نُسِبَ إلى سيِّدِنا لوطٍ أنه زنا بابنتيه ، وأنَّ داود زنا بزوجة أوريا ، وأنَّ هارون دعا الإسرائيليِّين إلى عبادة العجل..!! تعالى الله عمَّا يزعمونَ ، وتنزَّهَ الرُّسُلُ عمَّا يفتري هؤلاء الأفَّاكون .

القرآن الكريم .

والكتابُ الموجود الآن والـذي يُنسَب إلى داود يسمّى: **(المزامير)** وهو: عبارة عن أدعية وتضرُّعات ، كلُّها بكاءٌ على مَجْدِ إسرائيل ، ومُلْكِ داود ، وهيكل سليمان ، وجبل صِهيون .

وقد كتبه اليهود بأيديهم لإثارةِ شعبهم وربطهم بأرض الميعاد في فلسطين .

وبعضُ الأدعية ليس فيها أدبٌ مع الله ، بل فيها تطاولٌ على جلال الخالق ، وحقدٌ على جميع الخَلقِ من غير بني إسرائيل ، ولهذا ضُمَّت إلى أسفار التوراة المحرَّفة ، وجعلت جُزْءاً منها .



المناقشة

س١- لماذا لم يتكفلِ الله سبحانه بحفظِ الكُتُب السابقة التي نزلت قبل القرآن؟

س٢- لماذا فُقدت التوراة وضاعت؟

س٣- هل التوراة الموجودة اليوم هي التي أُنزلت على موسى؟

س٤- ما الأدِلَّة على تحريف التوراة إجمالاً؟

س٥- نَسبت التوراة إلى الله سبحانه كثيراً من صفاتِ النقصِ ، بيِّن ذلك؟

س٦- مِن الأدلة على تحريف التوراة: تحريف الإيمان باليومِ الآخر ، وضِّح ذلك؟

س٧- مِن الأدلة على تحريف التوراة: ما نسبته للأنبياء الأطهار ، وضِّح ذلك؟

س٨- ما هو الزَّبورُ؟ ، وماذا يُطلَقُ عليه الآن ؟ ، وماذا يتضمن؟

س٩- المزامير سِفرٌ من التوراة وتبعٌ لها في أسلوبها ومضمونها ، وضِّح ذلك؟

الدرسُ العشرون

الإنجيـــل

الإنجيل: هو الكتاب الذي أنزله الله على عيسى ابن مريـم عليهمـا السلام.

أسباب فَقْدِه واندثاره:

لقد فُقِدَ هذا الإنجيل واندثر لأمورٍ أهمها:

١- الاضطهادات التي تعرَّض لها النصارى بعد المسيح ، وكانت سـبباً في اختفاء النسخة الحقيقية .

٢- أَنَّ عيسـى عليـه السـلام كـان رسـولاً إلى بـني إسـرائيل ، فرســالتُهُ محدودةٌ لقومٍ مخصوصين .

الإنجيل.. أناجيل:

الإنجيـل الـذي أنزلـه الله سـبحانه علـى عيسـى ابـن مريـم كتــابٌ واحدٌ ، والإنجيل الموجود اليوم ليس إنجيلاً واحداً ، بل هو أناجيلُ كثيرةٌ ، وقد اتَّفَقَ النصارى على أربعةٍ منها ، وهي:

إنجيل لوقا ، وإنجيل متّى ، وإنجيلُ مُرْقُس ، وإنجيلُ يوحَنَّا[1] .

وهذه الأسفار كُلُّها مجموعة في كتاب يسمى: **"العهد الجديد"** .

الأدِلَّة على تحريفِ الأناجيل:

الأناجيل الموجودة اليوم عبارة عن قَصَصٍ وروايات في سيرة المسيح تُنْسَبُ إلى مؤلِّفيها ، والأدِلَّةُ على تحريفها كثيرة ، ونكتفي بما تضمنته الأناجيلُ من عقائد باطلة لا يُقِرُّهَا دين ولا يقبلها عقل ، وهي:

أ -نسبة الولد إلى الله سبحانه:

فقد اتَّفَقَتِ الأناجيل الأربعة على أَنَّ عيسى عليه السلام هو ابن الله .

والله تعالى يقول: ﴿**لَمْ يلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدْ**﴾ [الإخلاص: ٣-٤] .

ب-نسبة الصَّلْب إلى عيسى عليه السلام:

فقَدْ قال النصارى بصَلْبِ عيسى تكفيراً عن خطيئةِ آدم وفداءً للبشَر.

---

(١) وقد اختِيرَت هذه الأناجيل الأربعة من سبعين إنجيلاً ، ومع ذلكَ فبينها اختلافٌ كبيرٌ ، وكثيراً ما تُطبعُ هذه الأناجيل طبعات منقّحة مزيدة كأنها من تأليف البشر .

والله تعالى يقول: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٧] .

جـ- تحميل خطيئة آدم في أكلِهِ من الشجرة لبنيه:

فقد نسب الإنجيل خطيئة آدم إلى ذرِّيَّته ، وأنَّ عيسى صُلِبَ ليكون الفادي والمخلِّص للبشرية من تلك الخطيئة ، وذلك مخالفٌ لمبدأ المسؤولية والجزاء .

قال تعالى: ﴿وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِّزْرَ أُخْرَى﴾ [الإسراء: ١٥] ، ثم إنَّ آدم قد استغفر ربَّه من ذلك ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾ [طه: ١٢٢] .

د- اعتماده في أحكامه وشرائعه على التوراة (العهد القديم):

والتوراةُ محرَّفَةٌ ، فيكون (العهد الجديد) محرَّفاً قائماً على باطل .



المناقشة

س١- ما الإنجيل؟ وعلى مَن أُنزل؟

س٢- ما الأسباب التي أدَّتْ إلى فقده واندثاره؟

س٣- ما الذي تعرفه من الأناجيل اليوم؟

س٤-ما العقائد الباطلة التي تضمَّنَتْها الأناجيل المحرَّفة؟

س٥- اذكر دليلاً لكلٍّ مما يلي:

أ - الرد على مَن نسب الولد إلى الله عزَّ وجَلَّ .

ب- الرد على مَن نسبَ الصَّلْب إلى عيسى عليه السلام .

جـ- عقيدة الفداء عند النصارى تُخالفُ مبدأ المسؤولية والجزاء .

الدرسُ الحادي والعشرون

القُرْآنُ الكَرِيم

تعريفه:

القرآنُ الكريم هو كلام اللهِ تعالى المنَزَّلُ على نبيِّنا محمد ﷺ.

وهو كتابُ الله الخالدُ الذي خَتَمَ به الكتب ، كما خَتَمَ بمحمدٍ ﷺ الأنبياءَ والرُّسُل .

تنزيله:

بدأ نزول القرآن على النبي ﷺ بمكة المكرَّمة في أَوَّل بعثته ﷺ ، وهو في غارِ حِرَاءٍ بقوله تعالى: **﴿اِقْرَأْ باسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ، خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ، اِقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ، الَّذِي عَلَّمَ بِالقَلَمِ ، عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾** [العلق: ١-٥] .

واستمرَّ نزوله ثلاثاً وعشرين سنة ، وهي مدَّة بعثته ﷺ منها ثلاث عشرة سنة بمكة ، وعشرُ سَنَواتٍ بالمدينة .

وكان آخر الآيات نزولاً بالمدينة قوله تعالى: **﴿وَاتَّقُوا يَوْماً تُرجَعونَ فِيهِ إِلى اللهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾** [البقرة: ٢٨١] .

المكّي والمدَني:

وما نزلَ قبل الهجرةِ هو المسمَّى بالمكّيِّ في أيَّةِ أرضٍ نزل ، وما نزلَ بعد الهجرةِ هو المسمَّى بالمدَنِيِّ في أيَّةِ أرضٍ نـزل ، فقوله تعالى: ﴿**اليومَ أكملتُ لكمْ دينكمْ وأتممتُ عليكم نعمتي ورضيتُ لكمُ الإسلامَ دينا**﴾ [المائدة: ٣] هي آيةٌ مدنيَّةٌ ، مع أنها نزلتْ على الرَّسول ﷺ في مكة يومَ عرفة في حجةِ الوداع .

تدوينه:

كان للنبيِّ ﷺ كُتَّابٌ يكتبون الوحي[١] ، وعندما تنزل الآية أو الآيات يقول لهم: ضَعُوهَا في السُّورةِ التي فيها كذا وكذا .

وقد توفِّيَ النبيُّ ﷺ والقرآنُ محفوظٌ في الصُّدور ، مكتوبٌ في السطور .

غير أنَّ الرسولَ ﷺ لَمْ يقم بجمعهِ في كتابٍ جامع ، لأسبابٍ أهَمُّها:

١- قِصَرُ المدَّةِ بين آخرِ ما نزلَ عليه من القرآن وانتقاله ﷺ إلى الدارِ الآخِرةِ .

---

(١) من أشهرهم: عليُّ بن أبي طالب ، وعثمان بن عفَّان ، وزيدُ بن ثابت ، وأُبَيُّ بن كعب ، وعبدالله بن مسعود رضي الله عنهم .

٢- لاستمرارِ نزولِ الوحيِ ، ولأن ترتيبه ليس على نحوِ الطريقة التي أُنزِلَ بها ، فهناكَ بعضُ السُّوَرِ نزلتْ متأخِّرة ، وهي في ترتيبِ القرآن متقدمة ، كالبقرةِ . وبعضُ السُّورِ نزلت متقدمةً ، وهي متأخِّرَةٌ في ترتيب القرآنِ كسورةِ (اقرأ) .

جمعُ أبي بكرٍ للقرآنِ الكريم:

فلما خلَفَهُ أبو بكرٍ رضي ا لله عنه أمَرَ زيدَ بن ثابتٍ بجمعِ المصحف في مُجَلَّدٍ واحدٍ ، وأُودِعَ عند أبي بكرٍ حَتَّى توفَّاهُ ا لله ، ثُمَّ عند عُمَرَ في حياته ، ثُمَّ عند حفصة أم المؤمنين رضي ا لله عنها .

والسببُ المباشرُ لجمعِهِ ما حدثَ في حروبِ الردَّةِ من استشهادِ كثيرٍ من القُرَّاءِ ، وأولُ من تنبَّهَ لذلك هو عمر بن الخطاب ﷺ . وتَمَّ الجمعُ و لم يمضِ على وفاةِ رسول ا لله ﷺ إلاَّ قُرابةُ سنتين .

تدوينُ القرآن في عهدِ عثمان واستنساخه:

فلما وليَ عثمان رضي ا لله عنه كَلَّف لجنةً[1] نسخت منه نُسَخاً وزَّعها على الأمصار الإسلامية ، لتكونَ أصلاً للقرَّاء الحفاظ ، وللكتَّابِ الـمُسْتَنْسِخين ، وعن هذه النسخ انتشر القرآن في جميع أنحاء العالم .

---

(١) وهُمْ: زيدُ بن ثابت ، وعبدا لله بن الزبير ، وسعيد بن العاص ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام . والأوَّلُ أنصاريٌّ ، والثلاثةُ قُرَشِيُّون .

الفرقُ بين جَمْعِ أبي بكرٍ وجَمعِ عثمان رضي ا لله عنهما:

هناكَ عدَّةُ فروقٍ بين الجمعِ الَّذِي تمَّ في عهدِ أبي بكر ﷺ ، والجمعِ الَّذِي تمَّ في عهدِ عثمان ﷺ ، وأذكرُ لك أهمَّ هذه الفروق:

١- إنَّ الَّذِي حمَلَ أبا بكرٍ ﷺ على جمعِهِ هو خشيةُ ضياعِ شيءٍ منه عندما استحَرَّ القتلُ في القُـرَّاء في اليمامة ، والحاملُ على الجمعِ في عهدِ عثمان ﷺ هو الاختلافُ في قراءة القرآن ، والخشيةُ من أن يُقرَأ على غيرِ ما سُمِعُ من رسولِ ا لله ﷺ بعدَ العرضةِ الأخيرة .

٢- إنَّ الجمعَ الأول كان جمعاً للصُّحُفِ المتفرِّقةِ عند الصحابةِ في مصحفٍ واحد ، أمَّا الجمعُ الثاني فكانَ نسخاً لِما جُمِعَ في عهدِ أبي بكر[1] .

ضبط تلاوته:

كما حفظ المسلمون القرآن كتابةً ، وتدويناً ، فقد حفظوه في صدورهم ، وقرؤوه في صلاتهم ، وقد نزلَ القرآن الكريم مرتَّلاً ، نَقَلَهُ جبريل عن ا لله تبارك وتعالى ، وكان رسول ا لله ﷺ لشدَّةِ حرصِهِ على حفظِهِ يُرَدِّدُ ما ينزلُ عليه ، ويسابقُ به جبريل عليه السلام حَتَّى نزلَ قولُ

---

(١) كتاب العقيدة الإسلامية ، للصف الثاني الثانوي الشرعي في سوريا ، ص ٣٧-٣٨ .

ا لله مُطَمْئِناً له: ﴿لا تُحرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ به إنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَه﴾ [القيامة: ١٦-١٨] .

وقد أمر ا لله تعالى نبيَّهُ ﷺ بترتيله فقال سبحانه: ﴿وَرَتِّلِ القُرْآنَ تَرْتِيلا﴾ [المزَّمّل: ٤].

ثُمَّ تناقله المسلمون كما سمعوه من الرسول ﷺ مرتَّلاً ، واستخرج القرَّاءُ قواعدَ التجويد وأحكامَهُ ، ودوَّنوا ذلك في علمِ القراءات ، وعلم التجويد ، وهذا العلم لا يمكن إتقانُه إلاَّ بالتَّلَقِّي مشافهةً وأداءً .

والمسلمون اليوم على اختلاف ألسنتهم وألوانهم وبلدانهم يقرؤون القرآن بأداءٍ واحد ، بحيث لو أخطأ قارئٌ من المشرق بأداء حرفٍ على غير وجهه الصحيح لردَّهُ إلى الصواب مَن في المشرق أو المغرب على السواء[1].

ومن ذلك نعلم أَنَّ القرآن الكريم قُرِئ وكُتِبَ وحُفِظَ في عهد النبي ﷺ وأصحابه ، وأنه لم يتعرَّض للتحريف الذي أصاب الكُتُب قبله .

۞۞۞

---

(١) الإسلام كما فهمت ، للأستاذ محمد القاسمي ص١٩٠-١٩٢ بتصرف واختصار .

المناقشة

س١- أين بدأ نزول القرآن على الرسول ﷺ ؟ وكَم عاماً استمرَّ نزوله؟

س٢- ما أول ما أُنزل على النبيِّ ﷺ ؟ وما آخر ما أُنزل؟

س٣- ما الفرقُ بين الآياتِ المكِّيةِ والآياتِ المدنية؟

س٤- لماذا لم يُجمع القرآنُ في مصحفٍ واحدٍ في عهدِ الرسول ﷺ ؟

س٥- ما الفرقُ بينَ جمعِ أبي بكرٍ وجمعِ عثمان رضي الله عنهما للقرآنِ الكريم؟

س٦- كيف اعتنى المسلمون بضبط تلاوة القرآنِ الكريم؟

الدرس الثاني والعشرون

خصائصُ القرآن الكريم

يمتاز القرآن الكريم عن الكُتُبِ السماوية السابقة بعِدَّةِ خصائصَ أذكر أهمها :

١- القرآن حَفِظَهُ الله من التغيير:

من خصائص القرآن العظيم أَنَّ الله سبحانه حفِظَهُ من التغيير والتبديل ، لأنه الكتاب الأخير الذي تَضَمَّنَ هداية البشرية وسعادتها ، فليست بحاجةٍ إلى كتاب بعده ، ولا إلى نبيٍّ بعد نبيِّه محمد ﷺ ، وقد تكفَّل الله عزَّ وجلَّ بحفظه ، وأكَّدَ ذلك بقوله: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾ [الحجر: ٩].

ولقدْ هيّأ الله سبحانه أسباباً وعواملَ لحفظِ كتابه الكريم ، أذكر أهمَّها:

١- مدارسةُ جبريل القرآنَ مع الرسول ﷺ .

٢- حفظُ كثيرٍ من الصحابةِ للقرآنِ في عهدِ الرسولِ ﷺ .

٣- كتابتُهُ في عهدِ الرسول ﷺ .

٤- جمعه في مصحفٍ واحد في عهدِ أبي بكر رضي الله عنه .

٥- جمعه ونسخُهُ في عهدِ عثمان رضي الله عنه .

٦- نقلُ القرآنِ من جمعٍ عن جمعٍ إلى رسولِ الله ﷺ نقلاً متواتراً .

وقد صَدَقَ الله وَعْدَهُ ، وحَفِظَهُ فلم تمتد إليه يد التحريف ، ودليل ذلك:

أ - أَنَّ الكُتُب الماضية قد ضاعت أصولها ، وليس لها سندٌ تاريخيٌّ يُعتمدُ عليه ، واختلطت بكلام مَن كتبوها ، ولم يبقَ بأيدي الناس منها إلاَّ تراجمُ متناقضةٌ بلُغاتٍ مختلفة .

أما القرآن الكريم فقد بقي محفوظاً بنفس الكلمات والأحرفِ التي نَزَلَ بها أول مرة ، وظلَّ خالصاً نَقِيّاً غير مشوبٍ بكلامِ أحد ، ولم تمتد إليه يدُ التحريف والتبديل .

ب - أنه الكتاب الوحيد المحفوظ في **الصدور** الذي تتناوله الأجيال بالتواتر[١] جيلاً بعد جيل .

جـ - أنه الكتاب الوحيد المحفوظ في **السطور** ، لا تختلف نسخة منه عن الأخرى .

د - أنه الكتاب الوحيد الذي سُخِّرَ له الأعاجم يحفظونه ، وهم لا يعرفون من العربية شيئاً .

---

(١) التواتر: أن ينقل الخبر جمعٌ عن جمعٍ ، لا يمكن تواطؤهم على الكذب ، وهذا موجبٌ للعلمِ اليقين ، كعلم الناس جميعاً بوجودِ بلدٍ اسمه (مكة) يستوي فيه مَن رآهُ ومن لم يرَه .

٢- القرآنُ آخرُ الكُتُبِ المنزَّلَةِ وناسخٌ لها:

من خصائص القرآنِ الكريمِ أنه آخرُ الكُتُبِ المنزَّلةِ ، وأَنَّ الأحكامَ التي جاءت فيه ناسخةٌ لما ورد في غيره من الكُتُبِ السماوية .

إذ أَنَّ الكتبَ السماوية قبل دخولِ التحريفِ عليها تلتقي مع القرآنِ الكريم في **العقائد** ، فلا يختلفُ كتابٌ عن كتابٍ فيها ، لأنها من القضايا الثابتة التي لا تتغير بتغيُّرِ الزمان والمكان .

وتلتقي أيضاً بأصولِ **العباداتِ والأخلاق** ، فما من كتابٍ إلاَّ ودعا إلى العبادة ، وفعلِ الخير ، واجتنابِ الشَّرِّ ، والتزامِ الفضائل ، واجتنابِ الرَّذائل .

وما جاء في الكُتُب السابقة من تشريعٍ وأحكامٍ إنما كان لفترة موقوتةٍ من فتراتِ التاريخ ، ولقومٍ مخصوصين ، وقد استنفدت أغراضها وانتهت الحاجة إليها ، أمَّا القرآن الكريم ، فهو خاتمُ الكتبِ السماوية ولذا جاء بأحكامٍ وتشريعاتٍ صالحة لكلِّ زمانٍ ومكان ، ولِكُلِّ الناس على السواء ، ولكلِّ الأحوال دون استثناء .

٣- القرآن هو الحق والصدق:

بما أَنَّ الله سبحانه تعهَّدَ بحفظ القرآن الكريم ، ونسخَ به الكتبَ السماويةَ السابقة ، فكلُّ ما جاءَ فيه مِن عقائد وعباداتٍ وشرائعَ وأحكامٍ

هو الحق والصدق والعدل .

قال تعالى: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾ [الإسراء: ١٠٥] .

وقال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ [الأنعام: ١١٥] .

فهو حقٌّ وصدقٌ في الإخبار عن رسل الله وأنبيائه المصْطَفَيْنَ الأخيار .

وهو حقٌّ وصدقٌ في الإخبار عن الساعة والغيب كله ، ما وقع وما سيقع .

وهو عدلٌ في أحكامه ، سامٍ في أخلاقه يدعو إلى خصالِ الخير ، وينهى عن خصالِ الشرّ (١) .

٤- القرآن مُهَيْمِنٌ على الكُتُبِ قبله:

القرآن الكريم هو الحاكم على الكُتُب السابقة ، يُرجع إليه في معرفة الحق والباطل من أخبارها وأحكامها ، فهو المؤْتَمَنُ والشاهد على ما قبله من الكتب .

---

(١) مقرر التوحيد والفقه ، للصف الثاني الإعدادي بقَطَر ، ص ٣٤-٤٠ بتصرف واختصار .

قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الكِتَابَ بِالحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨] .

فإذا اختلفت الأخبار عن الله وصفاتِهِ وأنبيائِهِ ورسلِهِ ، أو اختلفت الأحكام والأخلاق.. فبالقرآن العظيم يُعرَف الصدقُ من الكذب ، والحقُّ من الباطل ، وما يصلح للناس وما لا يصلح لهم .

قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ نَزَّلَ الكِتَابَ بِالحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ [البقرة: ١٧٦] .

٥- القرآنُ مُعْجِز:

من خصائصِ القرآن أنه مُعْجِزٌ في بيانِهِ ، تحدَّى البلغاءَ والفصحاءَ من العرب قديماً فعجزوا ، ولا يزال يتحدَّاهم أن يأتوا بمثل سورةٍ منه ، ولن يأتوا ، ولو كان بعضهم لبعض مُعينا.

قال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا القُرآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرا﴾ [الإسراء: ٨٨] .



واجبُنا نحو القرآن الكريم

إذا عرفنا بعض الخصائص العظيمة ، والمزايا الفريدة لهذا القرآن الكريم ، فما واجبنا نحو القرآن؟

١- أن نُحِبَّ القرآن ونُعَظِّمَه ونحترمه لأَنَّهُ كلام الخالق عزَّ وجَلّ ، فهو أحسنُ الحديث ، وأصدقُ الكلام وأفضله .

٢- أن نُداوِمَ على تلاوته وقراءته وتعاهدِ ما حفِظْناهُ منه ، ثُمَّ الاستزادةُ من هذا الحفظ .

٣- أن نتدبَّرَ آياته ، وأن نتفكَّرَ في مواعِظِه وقصصه وأمثاله .

٤- أن نتَّبِعَ أحكامَهُ ، وأوامرَهُ ، وآدابَهُ .

سُئِلَتْ عائشة رضي الله عنها عن خُلُقِ النبي ﷺ فقالت: "كان خُلُقُهُ القرآن"[1] ، فسيرةُ الرسول ﷺ وهَدْيُهُ هو التطبيق العَمَلِي لأحكام القرآن وشرائعه ، فيجب علينا الاقتداء برسول الله ﷺ لأنه القدوة الحسنة لكل واحد مِنَّا .

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وذَكَرَ اللهَ كثيراً﴾ [الأحزاب: ٢١] .

---

(١) رواه مسلم في صلاةِ المسافرين (٧٤٦) ، وأبو داود في الصلاة (١٣٤٢) ، والدارمي ١:٣٤٥.

المناقشة

س١- اذكر أهم الخصائص التي يمتاز بها القرآن الكريم؟

س٢- لماذا حفظ الله القرآن من التغيير والتبديل؟

س٣- ما أهمُّ العواملِ والأسبابِ التي هيَّأها الله سبحانه لحفظِ كتابهِ؟

س٤- ما الدليل على حفظ القرآن من التغيير؟

س٥- بماذا تلتقي الكُتُب السماوية قبل تحريفها مع القرآنِ الكريم؟

س٦- القرآن هو الحق والصدق ، وضِّح ذلك؟

س٧- ما واجبنا نحو القرآن العظيم؟

س٨- اذكرْ دليلاً لِما يلي:

أ - القرآنُ مهيمنٌ على الكتبِ السابقة .

ب- تحدَّى البُلَغاءَ والفصَحاءَ أن يأتوا بمثلِ هذا القرآن .

جـ- سيرةُ الرسول ﷺ وهَدْيُهُ هو التطبيق العملي للقرآن .

الفصل الرابع

الإيمان بالرسل عليهم الصلاة والسلام

١- وجوبُ الإيمان بالرسل .

٢- تعريف الرسول .

٣- أهمُّ صِفاتِ الرسل .

٤- مهمَّةُ الرُّسُل .

٥- لكل أمَّةٍ رسول .

٦- أصولُ الرسالاتِ واحدة .

٧- المعجزة .

٨- دلائلُ نُبُوَّةِ محمد ﷺ .

٩- مميزاتُ الرسالة المحمديَّة .

١٠- أفضل الأنبياء والمرسلين .

١١- أمَّةُ الرسولِ ﷺ .

١٢- حقوقُ الرَّسول ﷺ على أُمَّتِه .



الدرسُ الثالث والعشرون

الإيمانُ بالرُّسُل

الرُّسُلُ هُمْ صَفْوَةُ الخَلْقِ ، وهُداةُ البَشَرِ إلى الحق ، والواسطةُ بين الله وعباده في تبليغِ رسالاته ودينه .

الإيمان بالرُّسُل ركنٌ من أركان الإيمان:

الإيمانُ بالرسل جميعاً دون تفريقٍ بينهم ركنٌ من أركان الإيمان ، قال تعالى: ﴿**آمنَ الرَّسولُ بما أُنزِل إليهِ مِن رَّبِّهِ وَالمؤْمِنُون كُلٌّ آمَنَ بِا للهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِه**﴾ [البقرة: ٢٨٥] .

وأيُّما إنسانٍ فرَّق بينهم في الإيمان ؛ فآمنَ ببعض الأنبياء ، ولم يؤمن بالبعض الآخر ، فقد كَفَرَ كُفراً صريحاً بنَصِّ قول الله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِا للهِ وَرُسُلِهِ ويُرِيدُونَ أَن يُّفَرِّقُوا بَيْنَ اللهِ وَرُسُلِهِ ويَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَّنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَّيُرِيدُونَ أَن يَّتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً أُولَئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ حَقًّا**﴾. [النساء: ١٥٠-١٥١] .

وإنَّما كُلِّفَ المؤمنون بالإيمان بالرُّسُلِ جميعاً من غير تفريق بينهم ، لأنَّ الدين الذي أَرسل الله به جميعَ الرسل واحِدٌ في أصوله ، وهو الإيمان با لله واليوم الآخر .

تعريفُ الرسول:

الرسولُ هو رجلٌ اصْطَفَاهُ اللهُ مـن البشـر ، واختصَّـه بـالوحيِ ، وأَمَرَهُ بتبليغِهِ .

وفي هذا التعريف أمورٌ خمسة:

١- أنَّ الرسول من البشر .

٢- أنَّ الرسول رجل .

٣- أنَّ الرسالةَ اصْطِفَاءٌ من الله .

٤- أنَّ الرسول يُوحى إليه .

٥- أَنَّ الرسول مأمورٌ بتبليغ كُلِّ ما أوحاه الله إليه .

ويَحسُنُ بنا أن نتكلَّمَ -بإيجاز- عن هذه الأمور الخمسة:

١- الرسول بشر

أرسل الله سبحانه رسلَه صلوات الله وسلامه عليهم إلى الناس بشَراً من جنسهم .

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَاْ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ﴾[الكهف: ١١٠].

وهم تجري عليهم الأعراضُ البشَرِيَّةُ التي لا تُنقِصُ من مراتبهم العَلِيَّة ، فهُم يأكلونَ ويشربون ، وينامون ، ويمرضون .

قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ أَنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٢٠] .

والحكمةُ في بشَرِيَّتهم: ليكون الناسُ أقدرَ على الفهم عنهم ، والأُنْسِ بهم ، والاقتداء بسلوكهم .

ولو كانوا من غير جنسهم -كالملائكة- لشَعَروا بفاصلٍ بينهم ، و لم يتمكنوا من اتباعهم والاقتداء بهم .

ولهذا ردَّ القرآن على المجادلين الذين طلبوا أن يكون الرسول مَلَكاً من الملائكة بقوله: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكاً لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلاً وَّلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا

يَلْبِسُون[1]﴾ [الأنعام: ٩] .

وأخبر سبحانه أنَّهُ لو كان على ظهرِ الأرض ملائكة لأرسل إليهم ملكاً منهم: **﴿قُل لَّوْ كَانَ فِي الأَرْضِ مَلائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكاً رَّسُولاً﴾** [الإسراء: ٩٥] .

٢- الرسولُ رجل

لم تجرِ سُنَّةُ الله في خلقه أن يرسل إلى الناس امرأة ، لأنَّ الرسالة قيادة ، وليس من المناسب أن تقود المرأةُ الرجالَ ، ولأنَّ الرسالة عِبْءٌ ثقيلٌ يُعَرِّضُ صاحبه للأذى والاضطهاد ، مما لا تحتمله -في العادة- المرأة التي ميَّزَها الله تعالى بالعاطفة والحنان[2] .

---

(١) قولهُ تعالى: **﴿ولو جعلناهُ مَلَكاً لجعلناهُ رجلاً﴾** : يعني لو أرسلنا إليهم ملكاً لجعلناهُ في صورةِ رجلٍ ، وذلك أنَّ البشر لا يستطيعون أن ينظروا إلى الملائكة في صورهم التي خُلقوا عليها ، وقوله تعالى: **﴿وَلَلَبَسْنا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُون﴾** أي لخلطنا عليهم ما يخلطون على أنفسهم ، حتَّى يشكوا فلا يدروا: أَمَلَكٌ هو أم آدميٌّ؟ . "تفسير الخازن" ٢:٥ .

(٢) ومَن ذَكَرَ في الأنبياء بعض النساء ، مثل: أم موسى ، وأم عيسى استناداً إلى أنه أوحيَ إليهما ، وَهِمَ في ذلك . لأن ما أُوحيَ إليهما إنما هو بشارةٌ ووعدٌ بخير ، ومثل هذا يحصل للصالحين ، كما صحَّ أنَّ عمران بن حصين رضي الله عنهما-

قال تعالى: ﴿وما أرْسَلْنا قَبْلَكَ إلاَّ رِجَالا نُوحِي إِلَيْهِم﴾ [الأنبياء: ٧] .

٣- الرسالةُ اصطفاء

الرسالة مِنْحَةٌ إلهِيَّةٌ يختصُّ بها من يشاء من عباده ، فَضْلاً منه ونعمة .

وليست الرسالة درجةً عِلْمِيَّةً يمكن الحصول عليها بالاجتهاد أو التعبُّد أو التعلُّم .. وإنما هي اصْطِفَاءٌ واختيار للرُّسُل من بين سائر الناس .

قال تعالى: ﴿ا للهُ يَصْطَفِي مِنَ الملائِكَةِ رُسُلا وَّمِنَ النَّاسِ إنَّ ا للهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [الحج: ٧٥] .

وقال تعالى: ﴿ا للهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَه﴾ [الأنعام: ١٢٤].



=كانت الملائكة تسلِّم عليه . وقد قال تعالى في مريم -عليها السلام-: ﴿وأمُّهُ صِدِّيقَة﴾ وهو نصٌّ في أنها غير نبِيَّة . "خواطر دينية ص ٧-٨" .

المناقشة

س١- ما حكمُ الإيمانِ بالرُّسُل؟

س٢- ما حكمُ مَن آمن ببعضِ الرُّسُلِ وكفر ببعضهم الآخر ؟

س٣- لماذا كُلِّفَ المؤمنون بالإيمان بجميع الرسل؟

س٤- عرِّف الرسول؟ واذكر صِفاته المستفادة من التعريف؟

س٥- لِمَ اقتضَت حكمة الله أن يكون الرسولُ بشَراً؟

س٦- كيفَ ردَّ اللهُ سبحانه على المجادلين الَّذِينَ طلبوا أن يكونَ الرسولُ ملكاً؟

س٧- لِمَ جرَت سُنَّةُ الله أن يكون الرسولُ رجلاً؟

س٨- هل يمكن الوصول إلى النُّبُوَّةِ عن طريق الاجتهاد أو التعبُّد؟

س٩- اذكر دليلاً لكلٍّ مما يلي:

أ - الرسولُ بشَر .

ب- الرسول رجل .

جـ - الرسالة اصطفاء .

الدرس الرابعُ والعشرون

الوحيُ وأنواعُه

الرسولُ هـو رجـلٌ اصطفـاهُ الله مـن البشـر ، واختصَّـهُ بـالوحيِ ، وأمرهُ بتبليغه .

وقد سبقَ الكلامُ عن الأمورِ الثلاثـةِ الأولى في التعريـف وهـي: ١- الرسول بشرٌ ، ٢- الرسولُ رجلٌ ، ٣- الرسالةُ اصطفاء .

وأتحدَّثُ الآن عن الأمر الرابعِ ، وهو:

٤- الرسولُ يوحَى إليه

إِنَّ أخصَّ ما يميِّزُ الرسولَ عن سائرِ البشر: أنه يوحـى إليـه مـن الله عزَّ وجَلّ .

فالرسولُ لا يصدر فيما يبلِّغـه إلى النـاس عـن نفسـه ورأيـه ، وإنمـا يتلقى ذلك بوحيٍ من الله عزَّ وجَلّ .

قال الله تعالى مخاطباً رسولَهُ ﷺ : ﴿**قُلْ إِنَّما أَنَاْ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَّاحِدٌ**﴾ [الكهف:١١٠].

معنى الوحي:

لغةً: الإعلام في سرعةٍ وخَفَاء .

وشرعاً: إعلامٌ من اللهِ لنبيِّهِ بطريقة غـير معتـادة لـدى البَشَـر تفيـدُ الرسولَ العلمَ اليقينيَّ القاطع بما أعلمهُ الله به .

طُرُقُ الوَحي:

إنَّ البشـرَ يُحَصِّلون علمهـم بطريـق الحـواسِّ أو العقـل ، أمـا عِلـمُ الأنبياء فهو وحيٌ من الله إليهم ، وطرُقُ الوحي الإلهي إلى الأنبياء ينقسـمُ إلى ثلاثةِ أنواع:

النوعُ الأول:

أن يُلقيَ اللهُ سبحانه المعنى في قلب النبيِّ مباشرةً ، وهو المرادُ بقوله تعالى: ﴿**وما كانَ لبشرٍ أن يُكَلِّمَهُ اللهُ إلاَّ وَحْيا**﴾ .

ويكونُ ذلك في اليقظةِ والمنام:

أ - إلقاءُ اللهِ معنىً يُفيضه على قلب رسوله في حالة اليقظـة ، يسـتيقن معه أنه من عند الله عزَّ وجَلّ بحيث لا يجد فيه شَكّاً ، ولا يستطيع له دفعـاً ، ويسـمَّى هـذا النـوع مـن الوحـي: "**النَّفْـثُ في الـرُّوع**" والرُّوع: القلب .

وفي الحديث[1]: "إنَّ روحَ القُدُس نَفَثَ في رُوعِي أنه لن تموتَ نفسٌ حتَّى تستوفيَ رِزقَها وأجَلَها ، فاتَّقوا الله وأجمِلوا في الطلب" [2] .

ب- ومنها ما يكون **رؤيا صادقة** في النوم: ومن ذلك رؤيا إبراهيم عليه السلام ، وأمرُ اللهِ إيَّاهُ بذَبْحِ وَلَدِهِ .

قال تعالى: ﴿**فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يابُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّابِرِينَ**﴾ [الصافات: ١٠٢].

وفي صحيح البخاري عن عائشة أم المؤمنين قالت: "أَوَّلُ ما بُدِئَ به رسولُ الله ﷺ من الوحي: الرؤيا الصَّادقة ، فكان لا يَرَى رُؤْيا إلاَّ جاءت مثلَ فلَقِ الصبح" [3] .

---

(١) رواه الحاكم ٢:٤ من حديثِ ابن مسعود ، وقال الحافظ ابن حجر في "الفتح" ١: ٢٢: أخرجه ابن أبي الدنيا في "القناعة" ، وصححه الحاكم من طريق ابن مسعود .

(٢) **روح القدس:** جبريل عليه السلام ، سُميَ به لأنه يأتي بما فيه حياةُ القلوبِ والأرواح ، وأضيف إلى القدُسِ لأنه مجبولٌ على الطهارةِ والنزاهةِ من العيوب ، **نَفَثَ في رُوعي:** أي ألقى الوحي في قلبي .

(٣) رواه البخاري (٣) في كتاب بدء الوحي .

النوعُ الثاني:

ما يكون **مكالمةً** بين الله تعالى وبين رُسُلِهِ ، وهو المرادُ من قوله تعالى: ﴿**أوْ مِن وَّراءِ حِجَابٍ**﴾، كما قال تعالى: ﴿**وَكَلَّمَ الله مُوسَى تَكْلِيماً**﴾ [النساء: ١٦٤] .

النوعُ الثالث:

ما يكون بواسطة أمين الوحي جبريل عليه السلام ، وهو المرادُ من قوله تعالى: ﴿**أو يُرسِلَ رسولاً**﴾ وذلك أشهر أنواع الوحي ، ويسَمِّيه العلماء: **الوحي الجَلِيُّ** ، ووحي القرآن كُلُّهُ من هذا النوع .

قال تعالى: ﴿**قُل مَن كانَ عدُوّا لِّجبْريلَ فإنَّهُ نزَّلَهُ على قلبكَ بإذنِ الله**﴾ [البقرة: ٩٧] .

قال تعالى: ﴿**نزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ المنذِرينَ بِلِسَانٍ عَرَبيٍّ مُّبِينٍ**﴾ [الشعراء: ١٩٣-١٩٥] .

ويجمع هذه الأنواع الثلاثة قوله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ الله إِلاَّ وَحْياً أَوْ مِن وَّرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ**﴾ [الشورى: ٥١] .

٥- الرسولُ مأمورٌ بالتبليغ

الرسول يبلِّغ كل ما أوحاه الله تعالى إليه ، ولو كان عتاباً لشخصه ، شاقّاً ثقيلاً على نفسه أو غيره ، ويستحيل عليه أن يكتم شيئاً مما أمره الله بتبليغه .

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَه﴾ [المائدة: ٦٧] .

وقال تعالى عن رُسُلِهِ: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلاَّ اللهَ وَكَفَى باللهِ حَسِيباً﴾ [الأحزاب: ٣٩] .

۞۞۞

المناقشة

س١-   ما أخصُّ ما يميِّزُ الرسول عن سائر البَشَر؟ مع الدليل .

س٢-   ما معنى الوحي لغةً وشرعاً؟

س٣-   ما أنواعُ الوحي إلى الأنبياء؟ واذكر الآية التي تدل على تلك الأنواع؟

س٤- ما أشهر أنواع الوحي ؟ ومِن أيِّ نوعٍ وحيُ القرآن؟ واذكر الدليل على ما تقول .

س٥-   اذكر دليلاً لكلٍّ مما يلي:

١- النَّفْثُ في الرُّوع .

٢- الرؤيا الصادقة .

٣- الرسولُ مأمورٌ بالتبليغ .

الدرس الخامس والعشرون

أهمُّ صِفاتِ الرُّسُل عليهم السلام

الرُّسُل هم سفراء الله تعالى إلى الخلق لهدايتهم إلى الحق ، ودعوتهم إلى الخير ، وهدايةُ البَشَرِ مُهِمَّةٌ عظيمة لا يصلح لها إلاَّ مَن توفَّرَت فيهم صفاتٌ رفيعةٌ من الكمالات الإنسانيَّة .

وقد سبق أن ذكَرتُ في تعريف الرسول أنه: **"رَجُلٌ اصطفاه الله من البَشَر ، واختصَّه بالوحي ، وَأَمَرَهُ بتبليغِه"** .

وشرحتُ هذا التعريف ، وبيَّنتُ أنه يشتمل على خمسة أوصاف أساسية للرُّسُل ، وهي:

١- أَنَّ الرسولَ من البشر وليس من الملائكة .

٢- وأنه رجلٌ وليس امرأة .

٣- أَنَّ الرسالةَ اصطفاءٌ من الله وليست أمراً يكتسبه الإنسان .

٤- أَنَّ الرسول يوحَى إليه .

٥- وأنه يبلِّغ كل ما أوحاه الله إليه .

ويُضافُ إلى هذه الأوصاف الرئيسة ، الصفات التالية:

١- الصدق:

فالرُّسُل صادقون في أقوالهم وأعمالهم ، قال تعالى: ﴿**هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمنُ وَصَدَقَ المرسَلُونَ**﴾ [يس: ٥٢] .

والرسالة لا يصلح لها كَذَّاب ، والرُّسُلُ مبلِّغون عن الله تعالى ، وداعون إلى الحق والهدى ، قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَفْتَرِي الكَذِبَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الكَاذِبُونَ**﴾ [النحل: ١٠٥] .

فيستحيل على النبيِّ الكذب ، ذلك أنه ينقل وحيَ اللهِ تعالى إلى الناس ، فلو صدَرَ منه الكذب لَتَسَرَّبَ شكُّ الناسِ إلى الوحي الَّذِي ينقله إليهم ، ولذلك قال تعالى: ﴿**وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ لأَخَذْنَا مِنْهُ بِاليَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الوَتِينَ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ**[1]﴾ [الحاقّة: ٤٤-٤٧] .

وقد كان رسولنا محمد ﷺ معروفاً بين قومه بالصدق والأمانة ، شهد بذلك أنصاره وأعداؤه على السواء ، فلم يستطع أحدٌ منهم أن يخدشه في شيء من ذلك أبداً ، بل إنهم أَقَرُّوا له بالصدق في موقف من

---

(١) **بعض الأقاويل:** يعني أتى بشيءٍ من عند نفسه لم نَقُلْهُ ولم نوحِهِ إليه ، **باليمين:** بالقوة والقدرة ، **الوتين:** الشريان الرئيسي الَّذِي يُغَذِّي جسمَ الإنسانِ بالدم النقي الخارج من القلب .

أشدِّ مواقف خصومتهم له ، حين سأل هِرَقْلُ أبا سفيان عنه ﷺ "هل جرَّبتم عليه كذباً؟ فقال: لا. فقال هِرَقْلُ: ماكان ليدع الكذب على الناس ويكذب على الله" [1] .

وفي موقفٍ آخر حين وقف على جبل الصَّفَا يناديهم ليدعوَهم إلى الإسلام ، وقال لهم: "أرأيتم لو أخبرتكم أنَّ خيلاً بِسَفْحِ هذا الوادي تريد أن تُغِيرَ عليكم أكنتم مُصَدِّقِيَّ؟" قالوا: نعم ، ما جرَّبنا عليك كَذِبا [2] .

٢- الفَطَانَة:

وهي أن يكون الرسول ذَكِيّاً ، عميقَ الفَهم ، حاضرَ البديهة ، قويَّ الحجَّة ، سديد الرأي ، ليس غبِيّاً ولا بليداً ، لأنَّ الرسولَ يُرَبِّي أُمَّتَهُ ، ويجادِلُ خُصومَه ، ويُقيمُ البراهين على صحة ما جاء به ، فإن لم يكن الرسول فطِناً لَما قامَ بأعباءِ الرسالة ، وتربيةِ الأمَّةِ ، ولألزمه خصومه الحجة .

وإذا نظرنا في قصص الرُّسُلِ ومناظراتهم لأُمَمِهم وجدنا الكثير الَّذِي لا يُحصى من مظاهر فطنتهم ، وكمالِ عقْلِهِمْ صلوات الله وسلامُه عليهم .

---

(١) رواه البخاري (٦) في كتاب بدء الوحي .

(٢) رواه البخاري (٤٩٧١) في كتاب تفسير القرآن .

٣- العِصْمَة:

وهي حفظ الله تعالى رسُلَه من المعاصي والذُّنوب ليكونوا أسوةً حسنةً للناس .

ومعنى العصمة: أنهم لا يتركون واجباً ولا يفعلون مُحَرَّماً ، ولا يقترفون ما يتنافى مع الخلق الكريم .

٤- الكمال في الخِلْقَةِ الظاهرةِ والسلامةُ من الأمراض المَنَفِّرة:

وكما يجب الإيمان بصِدقِ الرُّسُل ، وأمانتهم ، وتبليغهم ، وفطانتهم ، وعصمتهم ، فكذلك يجب الإيمان بكمالهم الإنساني ، فهم يتميَّزون بسلامة أبدانهم مما تنفر منه الطِّباع السليمة ، فلا يمرضون مرضاً منَفِّراً ، أو مُقْعِداً عن تبليغِ رسالاتِهم ، كالجدَري والجُذام والبرَص والصَّرَع ، ونحوِ ذلك ، أمَّا الأمراض التي لا تنفِّر الناس منهم كالصداع والحُمَّى ؛ فإنها قد تصيبهم ، لأنها لا تمنعهم من أداءِ رسالتهم .

وما يُحكَى عن سيدنا أيوب عليه السلام من أنه اشتدَّ به المرض ، وصارَ الدود يخرج من بدنه ، كذبٌ وافتراء ، وتشويهاتٌ إسرائيلية يتنزَّهُ

منصبُ النبوَّةِ عنها[1] .

٥- مكارمُ الأخلاق:

الرُّسُلُ يتَّصِفونَ بأرفع الكمالات الإنسانية ، ويتحَلَّوْن بأسمى الأخلاقِ الفاضلة: كالكرم ، والعدل ، والشجاعة ، والصبر ، والعِفَّة ، والأمانة ، والحِلم ، والحياء ، وسائر مكارم الأخلاق ، ولِذا فقد وصف الله تعالى نبيَّنا الكريم بقوله: ﴿**وإنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عظيم**﴾ [سورة ن: ٤] .

فالرسالةُ لا يصلحُ لها بخيلٌ ، ولا جَبَانٌ ، ولا عاصٍ ، ولا خائنٌ ، ولا حَقُودٌ ، ولا حسودٌ .. وإنما يصلح لها مَن اتَّصَفَ بكرم النفس وطهارتها ، وتحَلَّى بالأخلاق الفاضلة .

وإنَّما خصَّ الله رُسُلَهُ بهذه الصِّفات ليصِحَّ الاقتداءُ بهم ، ولو لم يكونوا متميِّزين بهذه الفضائل ، معصومين من النقائص ، لَما كانوا أهلاً لاختصاص الله إياهُم بوَحيِهِ ، ولَضَعُفَتْ ثقةُ الناسِ بهم ، ولَضاعتِ الحكمة من إرسالهم .

۞۞۞

(١) قال الحافظُ ابن حجر معلِّقاً على اتهامِ بني إسرائيل لسيدنا موسى بعيبٍ خلقي في جسده ٦:٤٣٨ "وفيه أَنَّ الأنبياء في خُلُقِهم وخَلقِهم على غايةِ الكمال ، وأنَّ مَن نسبَ نبيّاً إلى نقصٍ في خلقته فقد آذاه ، ويُخشى على فاعله الكفر"

المناقشة

س١- ما أهمُّ الصِّفاتِ التي يجب أن يتَّصِفَ بها الرُّسُل؟

س٢- شهد الأعداءُ لرسولنا محمدٍ ﷺ بالصدق ، اذكر دليلاً على ذلك؟

س٣- ما معنى العِصْمة؟

س٤- ما معنى الفَطَانَة؟

س٥- تميَّزَ الرُّسُلُ بالكمالِ الإنساني ، اذكر أهم الفضائل الخُلُقِيَّة التي اتصف بها الرُّسُل؟

س٦- لماذا خصَّ الله رسله بتلك الصِّفات؟

الدرسُ السادسُ والعشرون

مُهِمَّةُ الرُّسُل

إِنَّ مُهِمَّةَ الرُّسُلِ تَتَلَخَّصُ في كلمةٍ واحدةٍ هي: **هداية الخَلْق إلى الحق**، وتتحقق تلك الهداية بأمور(١) :

١- تعريفُ النَّاسِ با لله:

فهُم يُعَرِّفونَهم با للهِ وجلاله، ويُذَكِّرونَهم بعظَمَتِهِ، وصفاتِ كمالِهِ، وحَقِّهِ على عباده، ليعبدوه وحده، ويتحرَّروا من كل عبودِيَّة لغيره.

٢- التعريفُ بِعَالَمِ الغَيْب:

وهو ما غابَ عن الحِسِّ مما لا يُعرف إِلاَّ عن طريق الخبرِ الصادق.

ومن الغيب: الملائكة والجن، وما يكونُ بعد الموت من فِتْنَةِ القبرِ، والبعث والحساب والجنة والنار...

ولا يمكن التعرُّفُ على الغيب إِلاَّ عن طريق الرُّسُل عليهم السلام.

قال تعالى: **﴿وَمَا كَانَ ا للهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الغَيْبِ وَلَكِنَّ ا للهَ يَجْتَبِي**

---

(١) التوحيد والفقه، للصف الثالث الإعدادي بقطَر، ص: ٢٣-٢٨ بتصرُّف.

مِن رُّسُلِهِ مَن يَّشاء﴾ [آل عمران: ١٧٩] .

٣- تبليغُ الأحكامِ الإلهيَّة:

مِن رحمة ا لله بعباده أن شَرَعَ لهم أحكاماً تُصلحهم وتُسعدهم ، وتحفظ دماءَهُم ، وتصونُ أموالهم وأعراضهم ، وهو سبحانه العليم بما يصلحهم .

وقد جعل تبليغ هذه الأحكام مِن مهمة الرُّسُل صلوات ا لله وسلامه عليهم ، فهُم الذين يبيِّنون لهم الحلال والحرام ، والطيِّبَ والخبيث ، والحسَن والقبيح.. حَتَّى لا يكونوا ضحيَّةً لعقولهم التي قد يزل بها الهوى ، وتضل بعجزها عن سواء السبيل .

قال تعالى: ﴿فَهَلْ على الرُّسُلِ إلاَّ البلاغُ المبين﴾ [النحل: ٣٥] .

٤- الأسوَةُ الحسنة:

إنَّ مهمة الرسل صلوات ا لله وسلامه عليهم هي الدعوة إلى مكارم الأخلاق ، وتحويل هذه الدعوة إلى عمل وسلوك وتطبيق ليقتديَ الناسُ بِهِمْ.

قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى ا للهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠] .

وقال سبحانه: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ا للهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو ا للهَ واليَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ ا للهَ كَثِيرا﴾ [الأحزاب: ٢١] .

❀ ❀ ❀

هذه أهم المهمَّات التي يقوم بها الرُّسُلُ عليهم السلام في هداية الناسِ إلى الخير وتحذيرهم من الشر ، قال تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ المرْسَلينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِين﴾ [الكهف: ٥٦] .

فما وراء ذلك ليس من أعمالهم ، ومِنْ ذلك:

١- التَّحَكُّمُ في سُنَنِ الكَوْن:

ليس من وظائف الرُّسُل التصَرُّفُ في أمور الكون وتغيير سننه وقوانينه ، إِلاَّ ما أَيَّدهم ا لله به من المعجزات .

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَّأْتِيَ بآيَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ ا لله﴾ [الرعد: ٣٨] .

ولما طلب المشركون من الرسول ﷺ أن يَأْتِيَهُم بالآيات والخوارق رَدَّ ا لله عليهم بقوله: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلاَّ بَشَراً رَّسُولا﴾ [الإسراء: ٩٣] .

وليس من وظائفهم معرفةُ الغيب والإِنْباءُ عنه إِلاَّ بما أعلمهم ا لله

سبحانه ، قال تعالى: ﴿عَالِمُ الغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦] ، وقال سبحانه: ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الخَيرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾ [الأعراف: ١٨٨] .

٢- تحقيقُ الهِدايةِ في قلوبِ النَّاس:

ليس مِن مهمة الرُّسُل إجبارُ أحدٍ على الإيمان ، وتحقيقُ الهداية في قلوبهم ، وإلزامُ الناسِ بها ، وإنما مهمتهم البلاغ والدلالة على طريق الهداية فحسب ؛ فمَن آمَنَ بِهِمْ فقد فازَ وربحَ ، ومَن كفرَ فقد خاب وخَسِر ، وذلك هو الخسرانُ المبين.

قال الله تعالى لنبيِّه ﷺ : ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَن يَّشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٧٢] .

وقال تعالى: ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩] .

❁❁❁

المناقشة

س١- ما مهمَّةُ الرُّسُلِ باختصار؟

س٢- كيف يُعَرِّفُ الرسلُ الناسَ با لله تعالى؟ ولِماذا؟

س٣- ما الغيب ؟ وهل يمكن لنا أن نتعرَّفَ عليه بأنفسِنا؟

س٤- لماذا شرعَ ا للهُ سبحانه لنا الأحكام؟ ومَن الذي يبيِّنها لنا؟

س٥- كيف يحقِّقُ الرُّسُلُ الأسوةَ الحسنة بهم؟ وضِّح ذلك مع الدليل؟

س٦- هَل من مهمة الرُّسُلِ التحكم في سنن الكون؟ وما دليلك على ذلك؟

س٧- هل يعرف الرسلُ الغيب من تلقاء أنفسهم؟ وما دليلك على ما تقول؟

س٨- هل يستطيع الرسلُ إجبار أحدٍ على الإيمان؟ وما دليلك على ذلك؟

الدرسُ السابعُ والعشرون

لكل أُمـــَّــةٍ رسول

مِن رحمة ا لله بعبـاده أنـه لم يـترك أُمَّـةً مـن الأمـم ، ولا جيـلاً مـن الأجيال إلاَّ وأرسل إليهم رسولاً يدعوهـم إلى ا لله ويبشـرهم وينذرهـم ، حَتَّى تقومَ الحجة على العباد ، وتنقطعَ أعذارهم .

قال تعالى: ﴿**وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلاَ فِيهَا نَذِير**﴾ [فاطر: ٢٤] .

وقال سبحانه: ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً**﴾ [النحل: ٣٦].

عدد الرُّسُل:

أَرسَلَ ا لله سبحانه وتعالى رُسُلاً إلى جميع الأمم ، لا يعلـم عددهـم إلاَّ ا لله سبحانه ، وقَدْ قَصَّ القرآنُ الكريم علينا بعضـاً منهـم ، كمـا قـال تعالى: ﴿**وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَـاهُمْ عَلَيْـكَ مِـن قَبْـلُ وَرُسُـلاً لَّـمْ نَقْصُصْهُـمْ عَلَيْك**﴾ [سورة النساء: ١٦٤] .

وذَكَرَ ا لله سـبحانه في القـرآنِ الكريـمِ **خمسـةً وعشـرين** رسـولاً ، وهم:

آدم أبو البشر - نوح شيخ المرسلين - إدريس - هـود - صـالح -

إبراهيم - لوط - إسماعيل بن إبراهيم - إسحاق بن إبراهيم - يعقوب بن إسحاق - يوسف بن يعقوب - شعيب - موسى - هارون - داود - سليمان بن داود - أيوب - يونس - اليسع - ذو الكفل - إلياس - زكريا - يحيى بن زكريًّا - عيسى - محمدٌ.. صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

أولو العزم منَ الرُّسُل:

العزم: القوة في الدين ، والإمامة في الصبر والتقوى . قال تعالى: ﴿**وإنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقوا فَإنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُور**﴾ [آل عمران: ١٨٦] .

وأولو العزم خمسةٌ هم: نَبِيُّنا محمد ﷺ ، وإبراهيم ، ونوحٌ ، وموسى ، وعيسى ، عليهم السلام . وقد خَصَّهُمُ الله بالذِّكْر في كتابه في بعض المواضع ، كقوله تعالى: ﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيينَ مِيْثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَّإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَم**[1]﴾ [الأحزاب: ٧] .

وخاطَبَ الله تعالى نبيَّه محمداً بقوله: ﴿**فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو العَزْمِ مِنَ الرُّسُل**﴾ [الأحقاف: ٣٥] .

---

(١) **ميثاقهم:** أي على الوفاء بما حملوا ، وأن يصدِّق بعضهم بعضاً ، ويبشِّر بعضهم ببعض ، **ومنك:** يعني يا محمد ، وقدَّم النبيَّ ﷺ في الذِّكْرِ تشريفاً له وتفضيلا .

التفاضل بينهم:

وقد أخبر القرآنُ الكريم أَنَّ الله فضَّل بعضَ الرُّسُل على بعض ، فقال تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣] .

والتفضيل راجع إلى اختيار الله تعالى ، بمزايا وهَبَها للرسول ، أو لأمَّته ، أو لرسالته..

وأفضلُ الرُّسُلِ على الإطْلاق هم أولو العزم ، وأفضلُ أولي العزم هو رسُولُنَا محمدٌ ﷺ ، إذ أنه جمَعَ كُلَّ ما تَفَرَّقَ في الرُّسُلِ السابقين ورسالاتهم من مزايا ، ومحاسنَ وكمالاتٍ ، فهوَ ﷺ أفضَلُ المرسَلين ، وسيدُهُم ، ورسالَتُهُ أكملُ الرسالاتِ وأعَمُّها وأَشْمَلُهَا ، وأمَّتُه خيرُ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ للناس ، ودِينُهُ هو الدين الذي ارتضاه الله لعباده إلى أن تقوم الساعة .

وليس معنى التفضيل بين الرُّسُل -صلوات الله وسلامه عليهم- تنقيصَ أحدٍ منهم ، أو الغَضَّ من شأنه ، أو أن تحدُثَ خصومة أو عداوة بسبب ذلك .

۞۞۞

المناقشة

س١- هل أرسلَ ا للهُ سبحانه لكل أمَّةٍ رسولاً؟ ولماذا؟

س٢- ما عدد الرُّسُل الذين أرسلهم ا لله؟ وهل ذكَرَهم ا لله سبحانه جميعاً في كتابه؟

س٣- ما عدد الرُّسُل الذين ذكَرَهم ا لله في كتابه؟ وما أسماؤهم؟

س٤- ما المراد بالعزم؟ ومَن أولو العزم من الرُّسُل؟

س٥- هل يجوز التفضيل بين الرسُل ؟ وما معناه؟

س٦- مَن أفضل الرُّسُل؟ ولماذا؟

س٧- اذكر دليلاً لكلٍّ مما يلي:

أ - لَم يترك ا لله أمَّةً إلاَّ وأرسل إليهم رسولاً .

ب- لَم يَقُصَّ ا لله علينا قَصَصَ جميع الرُّسل .

جـ- فضَّلَ ا لله بعض الرُّسُلِ على بعض .

الدرسُ الثامنُ والعِشرون

أصولُ الرسالاتِ واحدة

لقد تتابعت رسالاتُ الله إلى الأمم في مختلف الأمصار وشتَّى الأعصار ، ومع تباعد المكان وطول الزمان ، فَإِنَّ أصول هذه الرسالات واحدة ، يصدقُ بعضها بعضاً ، ويشهدُ بعضها لبعض ، مما يدل على وحدةِ مصدرها ، وصدقِ أصحابها .

وكلُّها تقوم على الدعوة إلى:

١- الإيمانِ با للهِ وحده ، وما يَجِبُ له سبحانه من الاتِّصَافِ بكل كمالٍ ، والتنزُّهِ عن كل نَقْص .

٢- الإيمانِ باليوم الآخر وما فيه من بعثٍ وحسابٍ وثوابٍ وعقابٍ وجنةٍ ونار .

٣- العملِ الصالح والأخلاق الفاضلة .

وكلُّها تحذِّرُ من:

١- الشركِ با لله .

٢- الشَّكِ في الآخرة .

٣- سوءِ العملِ وفسادِ الأخلاق .

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ

مَنْ آمنَ بِا للهِ واليومِ الآخِرِ وعَمِلَ صَالحاً فلَهُمْ أَجْرُهُـمْ عِنـدَ رَبِّهِـم وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يحْزَنون﴾ [1] [البقرة: ٦٢] .

وأعظمُ الأصول الثلاثة هـو: الإيمـان بـا لله تعـالى ؛ إذ هـو الأسـاس الذي يترَّتبُ عليه سائر الأركان ، قال تعالى: **﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِـن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلاَّ أَنَاْ فَاعْبُدُونِ﴾** [الأنبياء: ٢٥] .

والإيمان باليوم الآخر هو الأصل الثـاني ، وبـه يكمـل الإيمـان بـا لله تعالى .

والإيمـانُ بـا للهِ واليـومِ الآخـرِ يسـتلزمُ الإيمـانَ بالرُّسُـلِ ، وبِبَقِيَّـةِ الأركان ، لأننا لم نعرفْها إِلاَّ عن طريق الرُّسُل عليهم السلام .

والأصـل الثـالث للرسـالات هـو: العمـل الصـالح ، وهـو أثـرٌ لازمٌ للإيمان با لله واليومِ الآخر ، وثمرةٌ طبيعية له ، فإيمـانٌ بـلا عمـل ، كشـجرٍ بلا ثمر ، وسحابٍ بلا مطر ، ولهذا نرى آياتِ القـرآن إذا ذكـرت الإيمـان ذكَرَت العملَ الصالح معه .

يقول تعالى: **﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَـابُ**

---

(١) **الذيـن هـادوا:** يعـني اليهـود ، الذيـن كـانوا على ديـن موسـى و لم يُبَدلُـوا ، **والنصارى:** الذين كانوا على دينِ عيسـى و لم يغيروا ، **والصـابئين:** قـومٌ كـانوا على دينِ نوحٍ ، أصله من "صبأ" إذا خرج من دينٍ إلى دينٍ آخر .

الجنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُون﴾ [البقرة: ٨٢] .

﴿إنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الفِرْدَوْسِ نُزُلا﴾ [الكهف: ١٠٧] .

﴿إنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ البَرِيَّة﴾ [البَيِّنَة: ٧] .

❀❀❀

فهذه الأمورُ الثلاثة هي أصولُ الرسالات السَّماوية وإنِ اختلفت الشَّرائعُ والمناهج باختلاف الأقوام ، واختلاف المكان والزمان .

قال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [1] [المائدة: ٤٨].

والرسالاتُ السابقة كانت موقوتةً بزمن معيَّن ، ومحدودةً بمكانٍ معيَّن ، حتَّى تأذَّنَ الله للبشريَّةِ بالرسالة الشاملةِ العامةِ الخالدة الصالحة

---

(١) **منكمْ**: الخِطابُ في قولِهِ (منكم) للأُمَمِ الثلاثة: أمَّة موسى ، وأمَّة عيسى ، وأمَّة محمد ﷺ وعليهم أجمعين ، **شِرعَةً**: أي شريعة ، وأصلُ الشريعة: من الشرعِ وهو البيانُ والإظهار ، فمعنى شَرَعَ: بيَّنَ وأوضح ، يعني لكل أمَّةٍ شريعة ، فللتوراةِ شريعة ، وللإنجيل شريعة ، وللقرآنِ شريعة ، والدينُ واحدٌ وهو التوحيد ، **ومنهاجاً**: طريقاً واضحاً مؤدياً إلى الشريعة .

لكل زمانٍ ومكان ، فأرسَلَ بها محمداً ﷺ فكانت رسالتُهُ خاتمةَ الرسالاتِ وأكملَها .

قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] .

وما نراه اليوم من البَوْنِ الشاسع في المعتقدات بين أتباع ديانات رَبَّانِيَّةٍ صحيحة الأصل ، فذلك بسبب التحريف والتبديل الذي دخل إلى هذه الديانات ، ولو أنَّ هذه الديانات السابقة بقيت على أصولها من غير تحريف لالتقى متَّبِعوها مع المسلمين التقاءً تاماً ، ولَكانَ أتباع الديانات كلهم أتباع دينِ الإسلام الذي خَتَمَ الله به الرسالات وأنزله على محمد عليه الصلاة والسلام .

فالإسلامُ هو دينُ اللهِ عزَّ وجلَّ في الأرضِ ، ولا دينَ لله سواه ، ومعتنق غيره من الأديانِ كافرٌ .

قال تعالى: ﴿إنَّ الدينَ عندَ اللهِ الإسلام﴾ [آل عمران: ١٩] .

وقال سبحانه: ﴿ومن يَّبتغِ غيرَ الإسلامِ ديناً فلن يُّقبلَ منه وهوَ في الآخرةِ من الخاسرين﴾ (١) [آل عمران: ٨٥] .

---

(١) وقد سمَّى الله سبحانه أهل الكتابِ -وهم اليهود والنصارى- كُفَّاراً في سورة البقرة ، والنساء ، والحشر ، والبينة ، وغيرها . وكفرهم واضحٌ لا خفاءَ فيه .

المناقشة

س١- الرسالات السماوية كلها تدعو إلى أصولٍ ثلاثة ، وتحذِّرُ من أمورٍ ثلاثة ، فما هي؟

س٢- ما أعظم الأصول الثلاثة؟ ولماذا؟.

س٣- نرى آياتِ القرآن إذا ذَكَرَت الإيمان بالله ذكَرَتِ العمل الصالح معه ، وضح ذلك؟

س٤- هل تتفق الشرائع والمناهج في الرسالات السماوية؟ ولماذا؟

س٥- ما سببُ الاختلاف في المعتقَداتِ بين أتباعِ الدياناتِ الرَّبَّانِيَّة؟

س٦- اذكر دليلاً لكلٍّ مما يلي:

أ - أصول الرسالات السماوية واحدة .

ب- اختلاف الشرائع والمناهج في الرسالات السماوية .

جـ- رسالة الإسلام أكمل الرسالات .

د - الإسلامُ هوَ دينُ اللهِ ، ومُعتَنِقُ غيرِهِ من الأديانِ كافر .

الدرسُ التاسعُ والعشرون

المعجـــزة

تعريفها:

هي أمرٌ خارق للعادة ، يُظهِرُهُ اللهُ على يـدِ النبي ، تصديقـاً لـه في دعواه على جِهَةِ التَّحَدي .

شرح التعريف:

أ - معنى قولنا: "**أمرٌ خارق للعادة**" (١) أن يكون خارجـاً عـن نطـاق الأسباب المقدورة للبشر ، وفوق طاقتهم ، بحيث يعجزون مجتمعين أو متفرقين عن معارضته والإتيان بمثلِه.

ب- وخرج بقولنا "**أمرٌ خـارق للعـادة**" السـحرُ والشَّعوذةُ ونحوهمـا ، فذلك أمرٌ ممكن لكثير من البشر بالتعلُّم .

جـ - وخرج بقولنا: "**يُظهِـرُهُ الله علـى يـد النـبي**" مـا يظهـره الله علـى أيدي الصالحين مـن أتبـاع الأنبيـاء تكريمـاً لهـم ، فهـذا مـا يسـميه العلماء "**كرامة**" .

---

(١) والأمرُ الخارقُ للعادةِ غير الخـارق للعقـل ، فليـس في المعجـزاتِ مـا هـو خـارقٌ للعقل ، كما أنه ليس في أحكامِ الدينِ ولا في أخبارِهِ ما هو خارقٌ للعقل .

فالكرامة: أمرٌ خارق للعادة يجريه الله على أيدي الصالحين من المؤمنين تكريماً لهم ولا يكونُ فيها تحدٍّ لأحد .

د - ومعنى قولنا: **"تصديقاً له في دعواه"** أي أنها تأتي موافقة لمطلوبه ، لتكون دليلاً على صدقه ، فكأنَّ الله تعالى يقول: صَدَقَ عبدي فيما يبلِّغ عني .

هـ - ومعنى قولِنا: **"على جهةِ التحدي"** أي تتعَذَّرُ معارضتها ، ولا يقدر أحدٌ عليها ، ولا على ما يقارِبها .

ولذلكَ: فَإِنَّ كُلَّ معجزةٍ يكونُ لسان حالِها مقروناً بالتحدي ، وإن لم يصرح النبيُّ بهذا التحدي ، كَما هو الحال في نبعِ الماء من بين أصابعِ الرسول ﷺ ، وتكثيرِ الطعام ، وغيرِ ذلكَ من المعجزات .

وجه دلالة المعجزة على صدق الرسول:

وإنما كانت المعجزة دليلاً على صدق الرسول ، لأنه لا يستطيعُ أن يأتيَ بها من عندِ نفسه ، وإنما هِيَ من عند الخالق العظيم الذي أرسله ، فَإِنَّ إظهار الله لهذا الخارق على يده عند تحديه لقومه يُعَدُّ تأييداً من الله له ، وإثباتاً لرسالته ، وتأكيداً لصِدقِه .

الفرقُ بينَ المعجزةِ والكرامة:

ولَمَّا كانَ التشابُهُ قائماً بين المعجزةِ والكرامة ، لأنَّ كـلاً مـن النبي والوَلِي يتشابهانِ في الاستقامة والصلاح ، فـأذكرُ لـكَ أهـمَّ الفـروق بـين المعجزة والكرامة:

١- صاحبُ المعجزةِ نبيٌّ مؤيَّدٌ بـالوحي ، وأمَّـا صـاحبُ الكرامـةِ فهـو مُتَّبعٌ للنبي مصَدقٌ به .

٢- المعجـزةُ هـي دلالـةٌ علـى النبـوَّةِ ، وأمـا الكرامـة فهـي نــوع مــن معجزات النبي ، لأن هؤلاء الصُّلَحاء ما كـانت لتجـريَ لهـم تلـك الخوارقُ لولا اتِّباعهم الكامل لنبيهم .

٣- صاحبُ المعجزةِ لا يكتمُ معجزته بل يتحدَّى بهـا ، وأمَّـا صـاحبُ الكرامة فهو يجتهد في كِتمانِ ما أكرمه الله تعالى به ، وقد لا يشعر بِهِ .

٤- صـاحبُ المعجـزةِ معصـومٌ عـن الكفـرِ والمعصيـة ، وأمَّـا صــاحبُ الكرامة فهو غير معصومٍ عن الكفر والمعصية(١) .

وجوبُ الإيمانِ بالمعجزات:

١- يجبُ على المؤمنِ الإيمانُ بـالمعجزاتِ للأنبيـاءِ عمومـاً ، لأنَّ القـرآنَ

---

(١) العقيدة الإسلامية ، للصف الثاني الثانوي الشرعي في سوريا ، ص ٩٩ .

الكريم أخبرَنا بوقوعِ كثيرٍ من المعجزاتِ على يدِ الأنبياء .

٢- وعلينا أن نؤمنَ بأَنَّ الأنبياءَ لا يأتونَ بالمعجزاتِ من عندِ أنفسهم ، ولكنَّ الله تعالى يُكرِمُهُمْ ويجريها على أيديهم ، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ﴾ [الرعد: ٣٨].

٣- مَن أنكرَ وقوعَ المعجزاتِ للأنبياء فهو كافرٌ ، لأنه أنكر ما ثبتَ بنص القرآن الكريم .

الحكمةُ من المعجزات:

١- إثباتُ قدرةِ الله سبحانه:

المعجزةُ لا تعتمدُ على الأسباب المعتادة ، ولا يستطيع البشر أن يأتوا بمثلِها مهما تقدَّموا في العلم والمعرفة ، فالمؤمن يقوى إيمانه بالله سبحانه ، ويعلمُ أنه سبحانه على كل شيءٍ قدير ، وأنَّ قدرته لا تحدُّ بحدود ، ولا تخضع للأسباب المعتادةِ عند البشر .

قال الله تعالى: ﴿**إنَّما أمرُهُ إذا أرادَ شيئاً أن يقولَ له كن فيكون**﴾ [يس: ٨٢] .

٢- إثباتُ صِدْقِ الرسول:

فالمعجزةُ قائمةٌ مقامَ قولِ اللهِ تعالى: صدَقَ عبدي في كل ما يبلِّغُهُ عنّي ، وبذلك تقومُ الحجة على الناس ، ولا يبقى لأحدٍ عذرٌ في

عدمِ تصديقهم .

٣- تكريمُ الرسولِ وإظهارُ منزلته:

ومن المعجزاتِ ما يهدف إلى تكريم الرسولِ وإظهارِ مقامه عند رَبهِ ، إلى جانبِ كونها دليلاً على صدقه ، كما هو الحال في معجزةِ الإسراء والمعراج .

٤- إنذارُ الكافرين وتنبيهُ الغافلين:

ومن المعجزاتِ ما هو نذيرٌ للكافِرين المعانِدين ، وتنبيهٌ للغافلين ، فآياتُ الأنبياءِ ومعجزاتهم تُنَبهُ أقوامَهُم من غَفلَتِهِمْ ، ليتَّبعوا الحقَّ الَّذِي جاءَ به الرُّسُلُ صلوات ا لله وسلامه عليهم .

٥- هداية الخلائق:

ومن المعجزاتِ ما هو لهدايةِ الخلائق ، إلى جانب كونها إثباتاً لنبوَّةِ الرسول ﷺ ، ومن هذا النوع: القرآنُ الكريم ، فإنه إلى جانبِ كونه يثبتُ نُبُوَّةَ محمد ﷺ فهو كتابُ هدايةٍ وإرشاد .

قال تعالى: ﴿**آلم ذَلِكَ الكتابُ لا رَيْبَ فيهِ هُدى لِّلمُتَّقين**﴾ [البقرة: ١] .



المناقشة

س١- عرف المعجزة وبينْ وجهَ دلالة المعجزة على صدق الرسول؟

س٢- ما معنى "أمرٌ خارقٌ للعادة"؟

س٣- ماذا يخرج من تعريف المعجزة في قولنا: "أمرٌ خارقٌ للعادة ، يظهرُهُ الله على يدِ النبي"؟

س٤- ما معنى قولنا في تعريف المعجزة: "على جهةِ التحدي"؟

س٥- ما وجهُ دلالة المعجزة على صدق الرسول؟

س٦- ما الفرقُ بين المعجزةِ والكرامة؟

س٧- ما حكمُ الإيمانِ بالمعجزات ، وما حكمُ مَن أنكر وقوعها؟

س٨- ما الحكمة من المعجزات؟

الدرسُ الثلاثون

مِن معجِزاتِ الرُّسُلِ عليهم السلام

أَيَّدَ الله تعالى رُسُلَهُ بالمعجزات ، ونصَرَهُم بآياتٍ بيناتٍ ، وبراهين واضِحات ، تدلُّ على صِدْقِهِمْ ، وقد نوَّعَ الله تلك المعجزاتِ بينَ الاستجابة لِما يطلبه الأقوامُ من أنبيائهم ، وما يمنحهُ الله عزَّ وجلَّ بلا طلبٍ منهم ، ومن تلك المعجزات:

١- ناقةُ صالح عليه السلام:

لقد أَيَّدَ الله رسولهُ صالحاً المرسل إلى ثمودَ بالناقة ، قال تعالى: ﴿وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا[1]﴾ [الإسراء: ٥٩].

ذلكَ أَنَّ ثمودَ طلبوا من رسولهم صالح عليه السلام: أن يخرج لهم ناقةً من الصخرة ، لتكونَ دليلاً على صِدْقِ نبوَّتِهِ ورسَالَتِه ، فأخرجها لهم ، ولكنهم لم يؤمنوا فأهلكهم الله سبحانه .

قال تعالى: ﴿فكَذَّبُوهُ فعقروها فدمدمَ عليهم ربُّهُم بِذَنبِهِم

---

(١) مُبْصِرةً: بينةً . فظلموا بها: جحدوا أنها من عند الله .

فسوّاها ولا يخافُ عُقْباها[1]﴾ [الشمس: ١٤-١٥] .

٢- تحوُّلُ النارِ إِلى بردٍ وسلامٍ عَلَى إبراهيم عليه السلام:

بَعَثَ ا لله سيدنا إبراهيم في قومٍ يعبدونَ الأصنام ، فدَعاهم إلى عبادةِ ا للهِ وحده ، فلم يستجيبوا له ، فأرادَ إبراهيمُ أن يقيمَ عليهم الحجةَ ، ويبينَ لهم أَنَّ هذه الأصنام لا تستحقُّ العبادة ، وأنها لا تستطيع دفعَ الأذى عن نفسها ، فضلاً عن غيرها ، فعمدَ إلى تكسير الأصنام جميعها إِلاَّ الصَّنَمَ الأكبر ، وعلَّقَ الفأس في رقبته..

ولَمَّا عادوا وجدوا أصنامهم كلها محطمةً إلاَّ الصنم الأكبر ، فتوجَّهوا إلى إبراهيم ، وسألوه: أأنت حطَّمتَ هذه الأصنام؟ فقال لهم: بل حطمها الصنمُ الأكبر ، فاسألوهم إن كانوا ينطقون ، ولكن كيف يسألون أصناماً من حَجَرٍ ، وهُم يعلمون أَنَّ الحجارةَ لا تنطق ، فخجلوا من أنفسهم ، وقرروا أن يحرقوا سيدنا إبراهيم ، فجمعوا له حطباً كثيراً ، وأشعلوا النار فيه ، وحين ألقوهُ في النار التي أوقدوها جعلها ا لله برداً وسلاماً عليه ، فلم تمسه النار بشيءٍ من الأذى ،

---

(١) **فعقروها:** يعني الناقة ، والعقر: النحر ، **فدمدم عليهم ربُّهُمْ:** أي فدَمَّرَ عليهم ربهم وأهلكهم ، والدمدمة: هلاكُ استئصال ، **فسَوَّاها:** أي فسوَّى الدمدمة عليهم جميعاً وعمَّهم بها ، **عُقْباها:** أي لا يخافُ اللهُ تَبِعَةً في هلاكهم .

وخـرج مـن النـار بعدمـا خَمَـدَتْ ، والكفّـارُ ينظـرون إليـه ، ويتَعجَّبـون مما يَرَون .

قال تعالى: ﴿قَالُوا حَرِّقوهُ وانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إن كُنتُمْ فَـاعِلِين قُلْنَـا يَا نَارُ كُونِـي بَـرْدا وَّسَـلاماً عَلَـى إِبْرَاهِيـمَ وَأَرَادُوا بِـهِ كَيْـداً فَجَعَلْنَـاهُمُ الأَخْسَرِين﴾ [الأنبياء: ٦٨-٧٠] .

٣- معجزاتُ عصا موسى عليه السلام:

لقد ذَكَرَ ا للهُ سبحانه ثلاث معجزاتٍ لموسى عليـه السـلام أجراهـا ا لله على يديه بواسطة عصاه .

الأولى: عندمـا اجتمـع السَّـحَرَةُ ، وألقَـوا حِبـالَهم وعِصِيَّهُـم ، وخُيـلَ للنـاسِ أنهـا أفـاعي تتحرك ، ولَمَّـا ألقـى موسـى عصـاهُ انقلبـت حيَّـةً حقيقيـة والتهمـت جميـعَ أشـكالِ الأفـاعي الـتي صنعهـا السَّحَرة بسِحرِهِم .

قال تعالى: ﴿فلَمَّا ألقَوا سَحَروا أعيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاؤُوا بِسِحْرٍ عَظِيـم وأَوْحَيْنـا إِلى مُوسَـى أَنْ أَلْـقِ عَصَـاكَ فَـإِذَا هِـيَ تَلْقَـفُ مَـا

يَأْفِكُون[1]﴾ [الأعراف: ١١٦-١١٧] ، عند ذلك آمنَ سحرة فرعون ، ولم يبالوا بتهديد فرعونَ ووعيده .

الثانية: حينَ أحسَّ موسى بالخطر يتهدَّدُ قَوْمَه ، أمَرَهُمْ بالخروج من مصر ليلاً ، ولكنَّ فرعونَ وجنودَه اتَّبعوهم ، ولَمَّا وصل موسى إلى حافَّةِ البحر ، أمرَهُ الله أن يضربَ بعصاهُ البحر ، فضَرَبَهُ بها ، فانشق له من البحر اثنا عشر طريقاً يَبَساً فسلكَهُ موسى وقومُهُ ، ولحقه فرعونُ ، ولَمَّا خرج موسى ومَن آمنَ معه من البحر أطبقت المياه على فرعونَ وجنودِه ، فغرِقوا وأهلكَ الله فرعون ، ثُمَّ ألقاه البحرُ إلى الشاطئ ليكون عبرةً للناس .

قال تعالى: **﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِّعَصاكَ البَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كالطَّوْدِ العَظِيمِ وَأَزْلَفْنا ثَمَّ الآخرينَ وَأَنجَيْنا مُوسَى وَمَن**

---

(١) **سَحروا أعين الناس:** يعني صَرَفوا أعين الناس عن إدراكِ حقيقةِ ما فعلوه من التمويه والتخييل ، وهذا هو الفرق بين السحر الذي هو من فِعل البشر ، وبين معجزةِ الأنبياء -عليهم السلام- التي هي من فعل اللهِ ، وذلك لأن السحر: قلبُ الأعين وصرفها عن إدراك ذلك الشيء ، والمعجزةُ: قلب نفس الشيء عن حقيقته ، كقلبِ عصا موسى حَيَّةً تسعى ، **واسترهبوهم:** أفزعوهم بما فعلوه من السحر ، **تلقف:** يعني تبتلع ، **ما يأفِكون:** يعني ما يكذب فيه السحرة ، لأنَّ الإفك قلب الشيءِ عن وجهه .

مَّعَهُ أَجْمَعِينَ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الآخرينَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَة وَّمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِين[1]﴾ [الشعراء: ٦٣-٦٧].

الثالثة: أَنَّ موسى عندَما كانَ مع بني إسرائيل في التيه ، احتاجوا إلى الماء ، فأمَرَهُ الله سبحانه أن يضرب بعصاهُ الحجر ، فانفجرت منه المياه .

قال تعالى: ﴿**وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الحَجَرَ فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاس مَّشْرَبَهُمْ**[2]﴾ [الأعراف: ١٦٠] .

وغير ذلك من المعجزاتِ التي وقعت لسيدنا موسى عليه السلام ، وكان الغالبُ على قدَماءِ المصريين براعَتَهُمْ بالسحر ، فأَيَّدَهُ الله سبحانه بمعجزاتٍ من جنسٍ ما برَعوا فيه ، تدلُّ على صدقه وصِحَّةِ نبوَّتِه لتكونَ الحجَّةُ أبلغَ ، والإعجازُ أَتمّ .

---

(١) **فانفلق:** فانشق ، **فرق:** أي قطعة من الماء ، **كالطود:** أي الجبل ، **وأزلفنا ثَمَّ الآخرين:** قَرَّبْنا فرعونَ وجنودَه إلى البحر وقدَّمناهم إلى الهلاك .

(٢) **فانبجست:** فانفجرت ، **منه:** من الحجر .

٤- معجزاتُ عيسى عليه السلام:

أَيَّدَ ا للهُ سيدَنا عيسى عليه السلام بكثيرٍ من المعجزاتِ العظيمة ، منها:

أ - كلامه عليه السلام وهو طفلٌ في المهد: قال تعالى: **﴿ويُكَلِّمُ الناسَ في المهدِ وكهلاً ومن الصالحين[1]﴾** [آل عمران: ٤٦] ، وقال تعالى: **﴿تُكَلِّمُ النَّاسَ في المهدِ وَكَهْلاً﴾** [المائدة: ١١٠] .

وقال تعالى: **﴿فأشارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ في المَهْدِ صَبِيّاً ، قَالَ إِنِّي عَبْدُ ا للهِ آتَانِيَ الكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّا ، وَّجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَمَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً﴾** [مريم: ٢٩-٣١] .

ب - خَلْقُهُ من الطينِ طيراً بإذنِ ا للهِ: قال تعالى: **﴿أنِّي أخلقُ لكم كهيئةِ الطيرِ فأنفُخُ فيه فيكونُ طَيْراً بإذنِ**

---

(١) **في المهد:** يكلِّمُ الناسَ طِفلاً وهو في المهدِ قبل أوانِ الكلام ، **وكهلاً:** يعني ويكلِّمُ الناس في حالِ الكهولة ، والكهل في اللغة هو الَّذي اجتمعت قوَّته وكَمُلَ شبابه ، والكهل عند العرب هو الَّذي جاوز الثلاثين ، وفي هذه الآية إشارةٌ على أنه سينزل من السماء إلى الأرض ويقتل الدجَّال .

ا للهِ﴾ [آل عمران: ٤٩] وقال تعالى: ﴿وإِذْ تخلقُ مِنَ الطِّينِ كهيئةِ الطيرِ بِإِذْني فَتَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي﴾ [المائدة: ١١٠] ، وإنما كَرَّرَ قوله (بإذني) تأكيداً لكون ذلك الخلق واقعاً بقُدرةِ ا للهِ تعالى .

جـ- إبراءُ الأكمَهِ والأبرص: قال تعالى: ﴿وتُبْرِئُ الأكمَهَ والأبرصَ بإذني[1]﴾ [المائدة: ١١٠] .

د - إحياءُ الموتى بإذنِ ا للهِ تعالى:

قال تعالى: ﴿وأُحْيِي الموْتَى بِإِذْنِ ا للهِ﴾ [آل عمران: ٤٩].

وقال سبحانه: ﴿وإِذْ تُخْرِجُ الموْتَى بِإِذْنِي﴾ [المائدة: ١١٠].

وغير ذلكَ من المعجزاتِ التي وقعت لسيدنا عيسى عليه السلام ، وكان الغالبُ على زمانِ عيسى عليه السلام الطب ، فكانت معجزته من جنسِ ذلك ليكونَ دليلاً على صدقِهِ وصِحَّةِ نُبُوَّتِهِ .

۞۞۞

---

(١) **تُبرئ الأكمهَ:** تشفي الأكمه ، وهو الّذِي وُلِدَ أعمى البصر ، **والأبرص:** البَرَصُ بياضٌ يقع في الجلد بسببِ مرض .

المناقشة

س١- ما معجزةُ صالحٍ عليه السلام؟

س٢- ما معجزةُ إبراهيم عليه السلام؟

س٣- ذَكَرَ الله سبحانه ثلاثَ معجزاتٍ لموسى عليه السلام أجراها على يديه بواسطةِ عصاه ، اذكر تلكَ المعجزات؟

س٤- أيَّدَ الله سبحانه عيسى عليه السلام بمعجزاتٍ عظيمة ، اذكر ثلاثاً منها؟

س٥- لِماذا كانتِ العصا أعظمَ معجزةٍ لموسى ، وإحياءُ الموتى أعظمَ معجزةٍ لعيسى عليهما السلام؟

س٦- اذكر دليلاً لكلٍّ مما يلي:

أ - موقف قومِ صالحٍ من معجزةِ الناقة؟

ب- عدمُ إحراقِ النار إبراهيمَ عليه السلام؟

جـ- خلقُ عيسى عليه السلام من الطينِ طيراً بإذنِ الله؟

س٧- أكمل الأدِلَّة الآتية ، ثُمَّ اذكر ما ترشد إليه:

أ - ﴿وأوحينا إلى موسى إذِ استسقاهُ ....﴾

ب- ﴿فأشارت إليه قالوا كيف نكلِّمُ ....﴾

الدرسُ الحادي والثلاثون

من مُعْجزَاتِ نَبينا محمدٍ ﷺ

أَيَّدَ ا للهُ نبيَّهُ محمداً ﷺ بالمعجزاتِ الماديَّـةِ ، وفضَّلَـهُ بمعجـزةٍ مَعنويَّـةٍ كُبرى باقيةٍ إلى يوم القيامة ، وهي (القرآن الكريم) الَّـذِي أعجـزَ الأوَّلـين والآخرين .

كَما أظهـر ا للهُ تعـالى علـى يـدِ رسـوله ﷺ الكثـير مـن المعجـزاتِ الحِسيَّةِ التي يحسُّها الناس بأدواتِ الحس .

منها: معجزاتٌ **سماويَّة** تتعلَّق بالسماء كانشقاق القمـر ، والإسـراءِ والمعراج ، وإمْطَارِ المطَر ، والإمداد بالملائكة في حروبه .

ومنها: معجزاتٌ **أرضيَّة** تتعلق بالأرض في مجال الإنسان ، والحيوان والنبات والجماد من حجر وطعامٍ وماء.

ومنهـا: إجابـةُ دعائـه ﷺ ، وإخبـارُه بالمغيبـات ، وحمايتُـه ﷺ مـن الأعداء .

وأَذْكُرُ بإيجازٍ بعض تلك المعجزات:

١- انشقاقُ القمر:

ثبتـت هـذه المعجـزة الحِسـيَّة في القـرآنِ الكريـم والسُّـنَّةِ النبويَّـةِ

الصَّحيحة التي بلَغَتْ حدَّ التَّواتُر ؛ فيجـبُ الإيمانُ بها واعتقادُ وقوعها ، قال الله تعالى:﴿**اقتربتِ الساعةُ وانشقَّ القمر وإن يَّرَوْا آية يُّعرِضوا ويَقُولُوا سِحْر مُّسْتَمِر**﴾[1] [القمر:١-٢] .

روى البخاريُّ ومسلمٌ عن عبدا لله بن مسعودٍ قال: انشقَّ القمرُ على عهد رسول ا لله ﷺ فرقَتين حين أشارَ إليه ، فقال: "اشهدوا ، اشهدوا" [2] .

٢- الإسراء والمعراج:

الإسراءُ: هو الذّهابُ ليلاً برسولِ ا لله ﷺ من المسجد الحرامِ إلى المسجدِ الأقصى .

والمعراجُ: هو الصعودُ برَسولِ ا لله ﷺ إلى السمواتِ السبع ، إلى سِدرةِ المنتهى .

وقد ثبتَ الإسراءُ في قوله تعالى: ﴿**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلا مِنَ المسْجِدِ الحَرَامِ إِلى المسْجِدِ الأَقْصَى**

---

(١) **آيةً:** أي انشقاق القمر . **يُعرضوا:** عن التصديق بها ، **سحرٌ مستمر:** دائمٌ مطَّرِد .

(٢) أخرجه البخاريُّ في المناقب (٣٦٣٦) ، ومسلم في كتاب صفة المنافقين (٢٨٠٠) .

الَّـذِي بَارَكْنَـا حَوْلَـهُ لِنُرِيَـهُ مِـنْ آياتِنَـا إِنَّـهُ هُـوَ السَّـمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١] .

وثَبَتَ المعراجُ في مطلعِ سورةِ النجـم: ﴿ولقَـدْ رآهُ نزلـةً أُخْرَى عندَ سِدْرَةِ المنتهَى عندها جَنَّةُ المأوى إذ يغشَى السِّدْرَةَ ما يَغْشَى ما زاغَ البَصَرُ ومـا طغَـى لقـد رآى مـن آيـاتِ ربِّـهِ الكُبرى﴾ [(١)] .

كما ثبتَ المِعراجُ بالأحاديثِ الـتي بلغَـتْ مبلـغَ التواتـر ، وكانَ الإسراءُ والمعراجُ بجَسَدِهِ وروحِهِ ﷺ .

---

(١) **ولقد رآهُ:** أي رأى محمدٌ ﷺ جـبريلَ عليـه السـلام علـى صورتِـهِ الحقيقيـة الـتي خلقهُ ا الله تعالى عليها ، له ستمائة جناحٍ ، قد سـدَّ الأفـق عنـد بطحـاءِ مكـة . **نزلةً أخرى:** أي مرَّةً أخرى فوقَ السـمواتِ السبع ، وكـانَت هـذه الرؤيـا ليلـةَ الإسراءِ والمعراج ، **سدرة المنتهى:** السدرةُ شجرةُ النبـق في السـماء السـابعة عـن يمينِ العرش ، ينتهي إليها علمُ الملائكةِ وغيرهم ، ولا يعلم أحدٌ ما وراءها ، **جنـة المأوى:** أي الجنة التي يصير إليها المتّقون ، وتأوي إليها أرواحُ الشهداء ، **ما زاغَ البصر:** أي ما مالَ في ذلك المقام بصـرُ رسـولِ ا الله ﷺ يمينـاً ولا شِـمالاً ، **ومـا طغى:** ما جاوزَ ما أُمرَ برؤيَتِهِ .

ومنَ الأدِلَّةِ على أَنَّ الإسراءَ والمعراج بالجسمِ والروحِ:

أ - قولهُ تعالى: ﴿**أسرى بعبدِه**﴾ أي بجسمه وروحـه ، إذ أَنَّ اسـمَ العبدِ لا يُطلقُ على الروحِ بدونِ جسمٍ .

ب- كمـا أَنَّ قولـهُ تعـالى: ﴿**مِـنَ المسْـجِدِ الحَـرَامِ إِلى المسْـجِدِ الأَقْصَى**﴾ يدلُّ على أَنَّ الإسراءَ بالجسم ، لأنَّ تحديد المسـافاتِ الحِسِّيَّةِ الأرضيَّة هـو شـأنُ الأجسـام ، أمـا الأرواح فـلا تحدُّهـا المسافاتُ ولا تقيِّدُها الأماكن .

جـ- ولـو كـانَ الإسـراءُ والمعـراجُ منامـاً لَمـا كـانت فيـهِ آيـةٌ ولا معجزة ، ولا استبْعدهُ الكفّار ولا كذَّبـوه ، ولا ارتـدَّ الضعفـاءُ مِمَّنْ أسلم ، ولَما افتُتِنوا به ، لأنَّ مثل هذا في المنامِ لا يُنكَر .

٣- نبعُ الماءِ من بينِ أصابعه ﷺ :

إنَّ معجزةَ نبعِ الماءِ قد تعـدَّد وقوعُهـا منـه ﷺ في الحضَـرِ والسَّـفَرِ وفي مشـاهدَ عظيمـة ، ورُوِيَـت مـن طـرقٍ صحيحـة ، فتارةً يكونُ نبـعُ المـاء: بوضـعِ يـده ﷺ في ركـوةِ المـاء ، وتـارةً تكونُ بِمَجِّ الماءِ في البئر .

٤- تكثيرُ الطعامِ القليل:

بحيثُ يأكلُ منه العدد الوَفيرُ من الناس فيكفيهم ، وقد تكررت هذه المعجزة في مناسباتٍ كثيرةٍ ومواطنَ مختلفة .

٥- حنينُ الجذْعِ إليه ﷺ :

عن أنَسٍ رضي الله عنه قال: "كانَ المسجدُ مسقوفاً على جذوعٍ من نخلٍ ، وكانَ النبي ﷺ إذا خطبَ يقوم إلى جذعٍ منها ، فلَمَّا صُنِعَ له المنبر فكان عليه ، فسمِعْنا لذلك الجذْعِ صوتاً كصوتِ العِشَارِ ، حَتَّى جاءَ النبي ﷺ فوضَعَ يدَهُ عليها ، فسكنت" (١) .

۞۞۞

---

(١) رواه البخاري في كتاب المناقب (٣٥٨٥) ، و **العِشَارُ:** جمع عُشَراء ، وهي الناقة التي انتهت في حملِها إلى عشرة أشهر .

المناقشة

س١- بماذا تختلف معجزةُ القرآنِ عن غيرها من المعجزات؟

س٢- اذكر ثلاثاً من المعجزاتِ السَّماوية التي وقعت لنبينا ﷺ ؟

س٣- اذكر ثلاثاً من المعجزاتِ الأرضيَّة التي وقعت لنبينا ﷺ ؟

س٤- ما معنى الإسراء والمعراج؟

س٥- هل كانَ الإسراءُ والمعراجُ بروحِ الرسولِ أو بجسدِهِ ﷺ أو بهِما معاً؟ بينْ ذلكَ مع الأدِلَّة؟

س٦- اذكر دليلاً لِما يأتي:

أ - انشقاقُ القمر .

ب- الإسراءُ ليلاً من المسجد الحرامِ إلى المسجد الأقصى .

جـ- المعراجُ إلى السمواتِ السبع ، إلى سِدرةِ المنتهى .

د - حنينُ الجذْعِ إليه ﷺ .

الدرسُ الثاني والثلاثون

نبُوَّةُ محمد ﷺ

دلائل نبُوَّته وصدق رسالته ﷺ:

توافرت الأدلةُ على نبوَّة محمد ﷺ ، فقد أيَّدهُ ا لله بكثيرٍ من البيِّنات والمعجزات التي تُثبت نبوته بأدلةٍ يقينية قاطعة ، ومن هذه الأدلة:

١- **البشارات بالكتب السماوية** السابقة به ﷺ قبل تحريفها .

قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ والإِنجِيل**﴾ [الأعراف: ١٥٧] .

وقالَ تعالى: ﴿**وإذْ قالَ عيسى ابنُ مريمَ يا بَنِي إسرائيلَ إنِّي رسولُ ا للهِ إليكم مُّصَدقا لِّما بين يديَّ من التوراةِ ومُصَدقاً بِرَسول يَّأْتي من بعدي اسْمُهُ أحمدُ**﴾ [الصَّف: ٦] .

٢- **كمالُ شَخْصِيَّةِ الرَّسُولِ** ﷺ في أعماله وأقواله وأخلاقه[1] ، فقد حَبَاهُ ا للهُ أخلاقَ القرآن ، فكان ﷺ صادقاً ، زاهداً ، حليماً ،

(١) اقرأ ما كتبه أستاذنا العلامة الأديب الشيخ علي الطنطاوي في كتابه "تعريف عام بدينِ الإسلام" تحت عنوان: "ترجمة حياته ﷺ كانت في ذاتها معجزة" ص ١٦٨-١٨٠ .

صَفوحاً ، عابداً لله ، متوكِّلاً عليه ، مجاهداً في سبيله .

يقول ا لله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [سورة القلم: ٤] .

٣- **تأييد ا لله له بالمعجزات وخوارق العادات:** كانشقاق القمر ، والإسراء والمعراج ، ونبع الماء من بين أصابعه حَتى شربَ القوم جميعاً ، وتكثير الطعام القليل حَتى كفى الجيشَ الكبير ، وغير ذلك من المعجزات الكثيرة التي تدلُّ دلالةً قاطعةً على أنه رسولُ ا لله إلى الناسِ حقّاً وصِدْقاً .

٤- **تَحَقُّقُ صِدْقِ أَخْبَارِهِ** التي يخبرُ بها عن الغيب مما سيحدث في المستقبل ، كبشارته لأصحابه بأنهم سيفتحون ممالك كِسرى وقيصر ، ومِن ذلك إخبارُهُ بأَنَّ الإسلام سيعلو ، وأنَّ رقعتَهُ ستمتَدُّ ، وأنَّ الأمنَ سينتشر ، فوقعَ كلُّ ما أخبر به ﷺ .

٥- **حمايَتُه من الأعداء وتأييد ا لله له بالنصر** ، وتحقيق وعد ا لله له بالفتح المبين .

٦- **إجابة ا لله لدعائه** ، فما دَعَا ا للهَ في شيء إلاَّ أجابَ ا للهُ دعاءه وحَقَّقَه .

٧- **أصحابه الَّذِينَ تخرَّجوا على يديه** ، وكيف كانوا قبله ، وكيف

صاروا بعد بعثته فيهم ، تدلُّ أقوى دلالةٍ على نبوَّةِ الرسول ﷺ [1] .

كلُّ هذه الدلائل اجتمعت لخاتم المرسلين سيدنا محمد ﷺ ، وكانت معجزة القرآن أعظم الآيات الخالدة الباقية مدى الدهر .

❀❀❀

المعجزة الخالدة

القرآنُ هو المعجزة التي خَصَّ الله بها نبيَّهُ محمداً ﷺ ولم يؤتَ نبيٌّ مثلَها .

قال ﷺ: "ما مِن نبيٍّ من الأنبياء قبلي إلاَّ أوتيَ من الآياتِ ما على مثله آمنَ البشر ، وكان الذي أوتيتُه وحياً أوحاه الله إليَّ ، وإني لأرجو أن أكون أكثرَهُم تابعاً يوم القيامة" [2] .

التحدي بالقرآن:

والقرآنُ هو المعجزة الكبرى الخالدة للرَّسولِ ﷺ التي تصدقُ

---

(1) قال الإمام القرافي في كتابه "الفروق" ٤ :١٧٠ في آخر الفرق ٢٤٢: "لو لم يكن لرسول الله ﷺ معجزةٌ إلاَّ أصحابه ، لكَفَوْهُ لإثبات نبوَّته . نقلاً من "الرسول المعلم" ، ص ١٤ للأستاذ الشيخ عبدالفتاح أبو غدة رحمهُ الله تعالى .

(2) رواه البخاري (٤٩٨١) في كتاب فضائل القرآن ، و(٧٢٧٤) في كتاب الاعتصام ، ومسلم (١٥٢) في كتاب الإيمان من حديث أبي هريرة .

نُبُوَّتَهُ ، وتؤيد دعوَته ، وتتحدَّى مَن كان في شكٍّ منه أن يأتي بسورةٍ مثله .

مراحل التحدي بالقرآن:

١- لقد تحدى الله سبحانه الإنس والجنَّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن إلى قيام الساعة .

قال تعالى: ﴿**قُل لَّئِنِ اجتمعتِ الإنسُ والجنُّ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا القُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرا**﴾ [الإسراء: ٨٨] .

٢- ثُمَّ إِنَّ الله سبحانه تحدَّى قريشاً عندما ادَّعَوا أَنَّ القرآن ليس من عند الله ، فطلب منهم الإتيان بعشر سُوَرٍ مفترياتٍ إن كان مُفترىً كما يزعمون ، بقوله تعالى: ﴿**أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَات وَّادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِين**﴾ [هود: ١٣] .

٣- وَكَرَّرَ سبحانه تحدي مَن كان في رَيْبٍ من هذا القرآن بالإتيان بسورةٍ واحدة ، وأكَّدَ عدم استطاعتهم على ذلك بقوله تعالى: ﴿**وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِين فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ والحِجَارَةُ أُعِدَّتْ**

﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ [سورة البقرة: ٢٣-٢٤] .

فسجَّلَ الله سبحانه عليهم العجزَ المؤبَّد ، فقالَ: ﴿ولن تفعلوا﴾ ، وهذه معجزةٌ أخرى ، وهو أنه سبحانه أخبر خبراً جازِماً قاطعاً أَنَّ هذا القرآن لا يُعارضُ بمثله ، أبدَ الآبِدين ، وكذلكَ كانَ الأمر كما أخبرَ سبحانه ، فإنه لَم يُعارَضْ إلى زماننا هذا .

ولا يزال التحدي قائماً ، ولا يزال الخلقُ عاجزين إلى أن تقوم الساعة .

۞۞۞

المناقشة

س١- أَيَّدَ الله نبيَّهُ محمداً ﷺ بكثيرٍ من الدلائل التي تثبتُ نبوَّته ، اذكر خمسةً منها؟

س٢- أَيَّدَ الله نبيَّهُ بالمعجزاتِ وخوارقِ العادات ، اذكر أربعةً منها ، وما أعظم تلك الآيات؟

س٣- شخصيةُ الرسول ﷺ تدلُّ على نبوَّته ، وضح ذلك؟

س٤- اذكر مراحل التحدي بالقرآن؟

س٥- اذكر دليلاً لكلٍّ مما يلي:

أ - بشارة الكُتُب السماوية بالرسول ﷺ .

ب- عجز الخَلق عن أن يأتوا بمثل هذا القرآن .

جـ- عجز الخلق عن أن يأتوا بسورةٍ واحدة .

س٦- أكمل الأدِلة الآتية ، ثُمَّ اذكر ما ترشد إليه؟

أ - ﴿وإذ قال عيسى بن مريمَ يا بني إسرائيل ....﴾

ب- "ما من نبيٍّ من الأنبياء قبل إلاَّ أوتيَ ...."

جـ- ﴿أم يقولونَ افتراه قل فأتوا ....﴾

الدرسُ الثالث والثلاثون

من وجوه الإعجاز في القرآن الكريم

القرآن هو المعجزةُ الخالدة ، وهو معجزٌ في كل ناحيةٍ من نواحيه ، ومن وجوه إعجازه:

١- **نظْمُه وأسلوبه الفريد:** الذي أدهش العرب وهم أرباب البلاغة وفرسان الفصاحة ، فهو كلامٌ ليس كسائر الكلام ، وأسلوبٌ لا كالأساليب ، ونمطٌ فريد في قوَّةِ البلاغة وإشراق البيان .

وقد لا نُدركُ نحنُ في هذا الزمان بلاغةَ القرآنِ وفصاحته كما كان يُدركها السابقون ، لبُعدِنا عنِ اللغةِ الفصحى ، ولكن مَن تعلَّمَ اللغةَ العربية وأجادَ فنونَها علِمَ أَنَّ بلاغةَ القرآنِ فوقَ كلامِ البشر ، وأنه لا يقدِرُ على تلك البلاغةِ إلاَّ خالقُ القُوى والقدَر .

٢- **صِدْق أخباره بأنباء الغيب:** عن الماضين ، كقَصَصِ الأوَّلِين ، ونبأ المرسَلين ، وعن غيب الحاضر كإخباره عن المنافقين والمشركين ، وعن الأمور المستقبلة كانتصار الروم

على الفرس بعد هزيمتهم[1] ، وانهزام جمع المشركين يـوم بـدر[2] ، وتمكـين ا لله للمؤمنـين[3] وقـد تَحَقَّقَـتْ أخبـاره الغَيْبِيَّـةِ المســتقبلة كما أخبر .

٣- **سلامتُه من التناقض** والخلل والاضطـراب ، فآياتـه يكمـل بَعْضُهَـا بعضاً ، ويَشرح بعضُها بعضا ، فلا تناقض ولا اختلاف ، وصــدقَ ا لله العظيمُ القائل: ﴿**وَلَـوْ كَـانَ مِـنْ عِنـدِ غَـيْرِ ا للهِ لَوَجَـدُوا فِيـهِ اخْتِلافاً كَثِيراً**﴾ [النساء: ٨٢] .

٤- **ما تضمَّنه من مبادئ وأحكام** لإصلاح النفـس البشـرية ، وإسـعاد الأسرة ، وتنظيم علاقات الأفراد والجماعات والأمـم على قواعـد الحق والعدل والإحسان .

وصدق ا لله العظيـم: ﴿**كِتَـابٌ أَنزَلْنَـاهُ إِلَيْـكَ لِتُخْـرِجَ النَّـاسَ مِـنَ**

---

(١) قال ا لله تعالى: ﴿**آلم . غُلبـتِ الـرومُ في أدنـى الأرضِ وهُـم مِّـن بعـدِ غَلَبِهِـمْ سيَغْلِبونَ في بِضعِ سنين للهِ الأمرُ من قبـلُ ومـن بعـد ويومئـذٍ يفـرحُ المؤمنـون بنصر ا لله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم**﴾ [سورة الروم: ١-٥] .

(٢) قال ا لله تعالى: ﴿**سَيُهزَمُ الـجَمعُ ويُوَلُّونَ الدُّبرَ**﴾ [القمر: ٤٥] .

(٣) قال ا لله تعالى: ﴿**وعدَ ا للهُ الذينَ آمنوا منكم وعمِلوا الصالحات لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم في الأرضِ كما استخلفَ الذين من قبلهم ولَيُمَكِّنَنَّ هم دِينَهُـمُ الـذي ارتضـى لَهُمْ**﴾ [سورة النور: ٥٥] .

الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾

[إبراهيم: ١] .

٥- **سلطانه العجيبُ على قلوبِ الناس:** فَإِنَّ مَن يسمعه بتدَبُّرٍ يتأثَّرُ به ، ويخشعُ قلبه ، وتذرفُ دموعه . وهذا السلطانُ العجيبُ لا يقتصرُ على مَن يُحسنُ العربية فقط ، بل يظهر فيمن لا يُحسنُ كلمةً عربيةً واحدةً عند سماعه لآياتٍ من القرآنِ الكريم .

٦- **جدَّتُهُ مهما كرَّرَهُ الإنسان وردَّدَه:** فهذا القرآنُ الكريم لا يَخلَقُ[1] عن كثرةِ الرَّد ، ولا يسأمُ الإنسانُ منه مهما كرَّرَهُ .

"إنَّ أيَّ قطعةٍ شعريةٍ أو نثريةٍ من كلامِ البشر لا تلبثُ أن تبلى إذا كُررَتْ على مسمعِ الإنسان مرَّتين أو ثلاثاً في اليوم ، وتصبح ممجوجةً مملَّةً إذا كُررَت عليه في كل يومٍ ثلاثَ مرّات لمدةِ شهرٍ مثلاً .

أمّا كلام الله سبحانه الَّذِي يتألَّفُ من نفس الأحرف التي يتكوَّنُ منها كلامُ الناس ، ويتركَّبُ من نفسِ الكلمات ، فَإِنَّ كلَّ مؤمنٍ يردد فاتحةَ الكتابِ كلَّ يومٍ -إذا صلّى الفروض فقط- سبع عشرةَ مرَّة ، ليس لمدةِ شهر بل طِوالَ العمرِ كلِّه ، فما شعرَ أَنَّ فاتحةَ الكتابِ قد أبلاها الترديد ، وأصبحت قديمةً كما هو الحالُ في

---

(١) **لا يَخلقُ:** لا يبلى ويصبح قديماً .

كلامِ البشر . وكذلك ما يكرره المسلمونَ من قصارِ السُّوَر مـرَّاتٍ ومرات ، فلا نشعرُ أبداً أنها قد بُلِيَت ، فلا يـزالُ كـلامُ ا لله غضّـاً طرِيّاً" [١] .

٧- **إعجازُهُ فيما احتوى من علـومٍ وحقـائق** ، كلَّمـا تقـدم الزمـان ، وتوسَّعَتْ آفاقُ العلوم ، وتطوَّرَت وسائله وأدواته كشف عـن دقَّـةِ وصدقِ ما قرره القرآن الحكيم ، ومن أمثلةِ ذلك:

أ - **الضغط الجوي:** لقد أشارَ القرآن الكريـم إلى حقـائق علميـة كثيرة ، لم يعرفها الناسُ من قبلُ فمن ذلك ما جاءَ في قولـه تعـالى عـن الضغـطِ الجَـوي : ﴿**فَمَـن يُـرِدِ ا للهُ أَن يَّهْدِيَـهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّـهُ يَجْعَـلْ صَـدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ**﴾ [الأنعام: ١٣٥] .

فقد ذكرتْ هذه الآيةُ ببيانٍ واضحٍ أَنَّ ضيقَ التنفُّسِ يحصـلُ في طبقاتِ الجو العليا حَتَّى يصل إلى درجةِ الاختناقِ بسبب تناقص الأكسجين . وهذه الناحية العلمية كُشـفت مؤخـراً وقام العلماءُ بدراساتٍ واسعةٍ عـن الغـلافِ الجَـوي ووزنـه وارتفاعه .

ب- **ظاهرةُ الزوجية:** ومن هـذه الحقـائق الـتي سـجَّلها القـرآنُ:

---

(١) كتابُ التوحيد ، للصف الأول من المرحلة الإعدادية في اليمن ، ص ٦٠-٦١ .

ظاهرةُ الزوجية في الكون كلِّه ، لا يقتصرُ ذلك على الذكورةِ والأُنوثةِ في الإنسانِ والحيوانِ ، وبعضِ النباتِ كالنخيل ، بل هو ظاهرةٌ كونية تشمل الإنسانَ والحيوانَ والنباتَ والجماد ، وهو ما ذكرهُ الله تعالى في قوله: ﴿سبحانَ الَّذِي خلقَ الأزواجَ كلَّها مما تُنبتُ الأرضُ ومن أنفُسِهِمْ وَمِمَّا لا يَعْلَمُونَ﴾ [يس: ٣٦] . وقوله تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات: ٤٩] .

جـ- **الحاجزُ بين البحرين**: اكتشفَ الباحثون مؤخراً أَنَّ مياهَ البحار والأنهارِ لا يمتزجُ بعضُها ببعض ، وهذا ما قرره القرآنُ الكريم في قوله تعالى: ﴿مَرَجَ البَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لاَّ يَبْغِيَانِ﴾ [الرحمن: ١٩-٢٠] . فهناك التقاءٌ ، ولكن هناك حاجزٌ ، وصدقَ الله سبحانه: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ البَحْرَيْنِ حَاجِزا﴾ [النمل: ٦١] .

د - **العظامُ واللحمُ في الجنين**: ذَكَرَ الله سبحانه وتعالى مراحلَ تكوينِ الجنين التي لَم يتوصَّلْ إليها العلمُ الحديث إِلاَّ بعد اكتشافِ آلاتِ التصويرِ الدقيقة التي تُصَور الجنين في رحمِ

الأم ، وبعد تقَدُّمِ علم الأجِنَّةِ التشريحي ، وتطوُّرِ وسائله ، عرفَ الأطِبَّاءُ أَنَّ الأصولَ الأولى للعظام تسبق في تكوينها العضلات (اللحم) وذلكَ ما ذكَرَهُ الله سبحانه في قوله: **﴿فَخَلَقْنَا المضْغَةَ عِظَاما فَكَسَوْنَا العِظَامَ لَحْما﴾** [المؤمنون: ١٤] .

وغير ذلك مما ذكره الله سبحانه في أطوارِ تكوينِ الجنينِ ، وهو تصويرٌ دقيقٌ لم يعرفه العلم والطبُّ إلاَّ منذ زمنٍ قريب .

فسبحانَ من أنزل القرآن ، وجعله مُعجِزاً ، ليكونَ دليلاً على أنه كلام الله حقّاً أنزله على قلبِ رسوله ﷺ .

فالقرآن الكريم هو المعجزةُ الباقيةُ الخالدةُ "حَتَّى قال بعضُ العلماء: لو أَنَّ هذا الكتابَ وُجِدَ مكتوباً في مصحفٍ في فلاةٍ من الأرض ، ولم يُعلمْ من وضعه لشهدت العقولُ السليمة أنه منزَّلٌ من عند الله ، وأنَّ البشر لا قدرةَ لهم على تأليفِ ذلك ، فكيف إذا جاء على يَدَيْ أصدقِ الخلق ﷺ ، وأبَرِهِم ، وأتقاهم ، وقال: إنه كلامُ الله ، وتحدَّى الخلقَ كلهم أن يأتوا بسورةٍ من مثله فعجزوا . فكيف يبقى مع هذا شكٌّ فيه ، ولهذا قال الله تعالى: **﴿أَوَ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾** [العنكبوت: ٥١] .

فلَوْ لم يكن لمحمدٍ ﷺ من المعجزاتِ الدالَّـةِ على صدقه غيرُ هـذا الكتابِ لكَفاه ، فكيف وله من المعجـزاتِ السـماويَّةِ والأرضِيَّـةِ مـا لا يُحصى؟ [1] .

❁❁❁

(١) لطائف المعارف ، للحافظ ابن رجب الحنبلي ، ص ١٦٧-١٦٨ .

المناقشة

س١- اذكر سبعةً من أوجُه الإعجاز في القرآن الكريم؟

س٢- من وجوه إعجازِ القرآن: نظمهُ وأسلوبه العجيب ، بين ذلك؟

س٣- مِن وجوه إعجاز القرآن: صِدق إخباره عن الغيب الماضي والحاضر والمستقبل ، اذكر مثالاً واحداً لكل نوع؟

س٤- من وجوهِ إعجازِ القرآن: جِدَّتُه مهما كرَّرَهُ الإنسان وردَّدَه ، وضح ذلك؟

س٥- تكلم عن ظاهرة الزوجِيَّة في الكون كما جاءت في كتاب الله عز وجل؟

س٦- من مظاهر الإعجاز العلمي في القرآن: مراحل تكوين الجنين ، بين ما تعرفه عن ذلك؟

س٧- اذكر دليلاً لكلٍّ مما يلي:

أ - ضيق التنفس يحصل في طبقات الجو العليا .

ب- وجود الحاجز بين مياه البحار والأنهار .

جـ- لو لم يكن لمحمد ﷺ من المعجزاتِ إِلاَّ القرآن لكَفاه .

الدرس الرابع والثلاثون

مميزاتُ الرسالة المحمَّدِيَّة

ميَّزَ الله الرسالة التي بَعَثَ بها محمداً ﷺ عن الرسالات السابقة بجملة من الخصائص والمزايا أذكرُ منها أمرَين:

١- أنها رسالةٌ عالميةٌ عامَّة ، فهي للناس جميعاً .

٢- أنها رسالةٌ خالدةٌ ، فليس بعدها رسالة تنسخها .

أمَّا عالميتها: فإنَّ الله تعالى كان يرسل إلى كل قومٍ رسولاً يدعوهم إلى توحيده تعالى ، وإلى إصلاح أمرهم ، كما أرسل نوحاً إلى قومه ، وهوداً إلى قومه عاد ، وصالحاً إلى قومه ثمود ، وإبراهيمَ إلى قومه ، وموسى إلى فرعون وملإه ، وإلى بني إسرائيل.. فكانت تلك الرسالات محدودة المكان موقوتة الزمان .

أمَّا محمدٌ ﷺ فكانت رسالتُهُ عَامَّةً لِلْجن والإنس حَتَّى قيام الساعة ، قال تعالى: **﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَّنَذِيرا﴾** [سبأ: ٢٨] .

وقالَ سبحانه: **﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعا﴾** [الأعراف: ١٥٨] .

وقال ﷺ : "كان النبيُّ يُبعَثُ إلى قومه خاصَّةً وبُعِثْتُ للنَّاسِ عامَّةً"(١).

وأمَّا خلودُها: فلأنَّ الله تعالى ضمَّنَها كلَّ ما تحتاج إليه البشرية في مختلف الأزمِنة والأمكنةِ ، من عقائدَ وعباداتٍ ومعاملات تفي بحاجاتها ، وتحقِّقُ إنسانيَّتها ، وأودع هذه المبادئ كتاباً تكفَّلَ بحفظه وخلوده .

قال تعالى: ﴿**إنَّا نحن نزَّلنا الذِّكرَ وإنَّا لَهُ لَحَافِظُون**﴾ [الحجر: ٩] .

فلا يحتاج الناس بعد محمد ﷺ إلى رسول ، ولا بعد القرآنِ إلى كتاب .

قال تعالى: ﴿**اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينا**﴾ [المائدة: ٣] .



خاتم النبيين

لقد كان طبيعيّاً بعدما أكمل الله هذا الدينَ وأتمَّ به النعمة على العالمين ، أن يختِم النُّبُوَّةَ ، وأن يكون محمدٌ ﷺ خاتَمَ النبيين ، وذلك ما

(١) رواه البخاري (٣٣٥) و (٤٣٨) و (٣١٢٢) ، ومسلم (٥٢١) من حديثِ جابرٍ ﷺ .

قامت عليه الأدِلَّةُ نقلاً ، وعقلاً ، وإجماعاً .

١- أمَّا النقل:

فقد صَرَّحَ الكتابُ والسُّنَّةُ بذلك:

أ - ففي القرآن: ﴿**مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ**﴾ [الأحزاب: ٤٠] .

ب - وأمَّا السُّنَّة: فقد جاءت الأحاديث الصريحة في ذلك ، ومنها ما رواه البخاري ومسلم: "إنَّ مَثَلي ومثَلَ الأنبياءِ من قبلي كَمَثَلِ رجلٍ بنى بنياناً فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ إلاَّ موضعَ لبِنَةٍ في زاويةٍ من زواياه ، فجعل الناسُ يطوفُونَ ويتعجَّبون له ويقولون: هلاَّ وُضِعَت اللَّبِنَة؟ فأنا اللَّبِنَةُ وأنا خاتَمُ النبيين" (١).

"فلا ننتظر من بعده رسولاً ، ولا نلتمس وراءه هَدْياً ، لأنه خاتم النبيين ، وهو اللَّبِنَةُ التي أكملَ الله بها بناءَ الشرائع ، فلم يبقَ في بنيانها بعد وضع هذه اللبِنَةِ مطمحٌ لمستزيد . ومَن التمسَ علاجاً لأمراض المجتمع في غير شريعته ، أو طلبَ حاجةً من حوائج الإصلاح لأمر المعاش أو المعادِ على غير

(١) رواه البخاري (٣٢٧١) في كتاب المناقب ، ومسلم (٢٢٨٦) في كتاب الفضائل من حديث أبي هريرة .

قواعد دينه فقد ضلَّ ضلالاً بعيدا"[1] .

٢- وأمَّا العقل:

فقد درَّج ا لله الشريعة لبَني البشر بدءاً بآدم والأنبياء والمرسلين من بعده إلى أن استكملت الشرائِعُ عِدَّتَها واستوفت مناهجها في تربية بني البشر ، واستوعبت تجاربهم في النصح لهم والتعليم ، حَتَّى وصلت إلى خاتَمِ الأنبياء والمرسلين ، فكان بذلك تمام الشريعة ، وختام التنزيل والتشريع .

فلم تعد هناك حاجةٌ إلى رسالةٍ بعد رسالةِ سيدنا محمد ﷺ العامَّة الخالدة التي تضمَّنت هداية البشر ، وكفلت لهم السعادَةَ في الدنيا والآخرة .

٣- وأمَّا الإجماع:

فقد أجمع المسلمون على خَتْمِ النبوَّةِ ، وأنه لا نَبيَّ بعد محمد ﷺ ، ولا رسالة بعد رسالة الإسلام ، وأصبح ذلك معلوماً من الدين بالضرورة ، فكل مَن ادَّعى النبوة أو صدَّق دعواها -بعد سيدنا محمدﷺ- فهو كافر كذَّاب .

(١) المختار من كنوز السُّنَّة ، للدكتور محمد عبدا لله دراز ، ص١٢٦ .

تحذير من مدَّعي النبوة[1] :

وقد حذَّرَنا النبي ﷺ من أدعياء النبوة الدجَّالين ، ووصفهم بالكَذِبِ فقال: "لا تقومُ الساعةُ حَتَّى يُبعثَ دجَّالونَ كذَّابون ، قريبٌ من ثلاثين ، كُلُّهم يزعُمُ أنه رسولُ الله " [2] .

۞۞۞

(١) ظَهَرَ قديماً متنبئون كذَّابون مثل: مسيلمة الكذاب ، والأسود العَنَسي ، وقد افتضح كذبهم ، وبادَ ذِكْرُهُم ، وانتهى أمرهم .
وظهر حديثاً متنبئون كذَّابون ، منهم غلام أحمد مؤسس طائفة "القاديانية" التي ظهرت في جزء من الهند ، لخدمة الاستعمار بالدعوة لإبطال الجهاد ، وقد زعم مؤسس الطائفة أنه نبيٌّ مجدد ، وقد أفتى علماء المسلمين بكفرهم وارتدادهم .

(٢) رواه مسلمٌ في صحيحه ٤:٢٢٣٩ (١٥٧) ، كتاب الفِتَن وأشراط الساعة .

المناقشة

س١- ميَّزَ الله الرسالة المحمدِيَّةَ بعدد من المزايا ، اذكر منها مَزِيَّتين؟

س٢- الرسالات السابقة كانت محدودة المكان موقوتة الزمان ، وضح ذلك؟

س٣- ما سِرُّ خلود الرسالة المحمدية ؟

س٤- ما حكم مَن ادَّعى النبوة أو صدَّق مدَّعيها بعد نبينا محمد ﷺ ؟

س٥- اذكر دليلاً من القرآن لكلٍّ مما يلي:

أ - عموم الرسالة المحمدية .

ب- حفظ القرآن الكريم من التغيير والتبديل .

جـ- محمد ﷺ خاتم النبيين .

س٦- أكمل الأدِلَّة الآتية ثُمَّ اذكر ما ترشد إليه:

أ - "إنَّ مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى ....
...."

ب- "لا تقومُ الساعةُ حَتَّى يُبعث ....
................................"

جـ- "كانَ النبيُّ يُبْعَثُ إلى ....
...................."

الدرس الثالث والثلاثون

أفضلُ الأنبياءِ والمرسَلين (١)

اصطفى الله تعالى نبيَّهُ محمداً ﷺ ، وفضَّلَهُ على العالَمين ، وأكرمه بخصائصَ لم يُعطها غيرَه من الأنبياءِ والمرسلين ، مما يدُلُّ على عظيمِ قدرِهِ ورِفعةِ منزلته عند ربه سبحانه .

وقد ذكرتُ في الدرس السابق بعضَ مميِّزاتِ رسالته ﷺ ، فهي الرسالة العالمية العامة ، والرسالة الباقيةُ الخالدة .

وأذكرُ لكَ الآن بعضَ ما أكرمَ الله تعالى بهِ سَيِّدَ الأوَّلين والآخرين في الدنيا:

أ - رَفْعُ ذِكْرِهِ وعُلُوُّ قدرِهِ على جميع المخلوقات[1]:

قال تعالى مخاطِباً نبيه ﷺ : ﴿ورَفَعْنا لكَ ذِكْـرَكَ﴾ [الشرح:٢] أي إذا ذُكِرَ الله تعالى ذُكِرَ معه رسوله ﷺ [2] .

---

(١) "شهادةُ لا إله إلاّ الله محمدٌ رسولُ الله" ، للشيخ عبدالله سراج الدين ، ص ٨٣-٨٤ .

(٢) قال رسول الله ﷺ : "أتاني جبريل فقال: إنَّ ربي وربَّكَ يقول: كيف رفعتُ ذِكْرَكَ قال: "الله أعلم" قال: "إذا ذُكِرتُ ذُكِرْتَ معي" رواه أبو يعلى في مسنده (١٣٨٠)

ولقد قَرَنَ الله تعالى ذِكرَ حبيبه ﷺ بذِكرِه سبحانه في مواضعَ كثيرةٍ من القرآن:

١ - في الإيمان: قال تعالى: ﴿آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ [الحديد:٧] .

٢ - وفي الطاعة: قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٢] .

٣ - وفي المحبَّة: قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤] .

٤ - وفي الأدب: قال تعالى: ﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمنوا لا تُقَدموا بينَ يَدَيِ اللهِ ورسوله﴾ [الحجرات: ١] .

٥ - وفي الإرضاء: قال تعالى: ﴿والله ورسولُهُ أحقُّ أن يُرْضوه إن كانوا مؤمنين﴾ [التوبة: ٦٢] .

= والطبري في تفسيره ٣٠:٢٣٥ من حديث أبي سعيد الخُدْريّ . وقال الهيثمي في "المجمع" ٨:٢٥٤ : رواه أبو يعلى وإسناده حسن .

٦ – وفي النصرة: قال تعالى: ﴿وينصرونَ ا للهَ وَرَسُولَه أولئك هم الصادقون﴾ [الحشر: ٨] .

٧ – وفي الهجرة: قال تعالى: ﴿وَمَن يَّخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِراً إلى ا للهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الموتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى ا للهِ﴾ [النساء: ١٠٠] .

٨ – وفي القضاء والحكم: قال تعالى: ﴿إنَّمَا كَانَ قَوْلَ المؤمنينَ إذا دُعُوا إِلى ا للهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَّقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [النور: ٥١] .

وقال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَّلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ا للهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَّكُونَ لَهُمُ الخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦] .

٩ – وفي تحريمِ المعصية: قال تعالى: ﴿وَمَن يَّعْصِ ا للهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالا مُّبينا﴾ [الأحزاب: ٣٦] .

١٠– وفي تحريمِ المشاقَّة: قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا ا للهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُّشَاقِقِ ا للهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ ا للهَ شَدِيدُ العِقابِ[1]﴾ [الأنفال: ١٣] .

---

(١) **شاقُّوا:** خالَفوا ، وهي مشتقَّةٌ من الشِّقِّ ، لأن كِلا المَتعادِيَيْنِ في شِقٍّ خلافِ شقِّ صاحبه .

١١- **وفي التحذيرِ من المحادَّة:** قال تعالى: ﴿إنَّ الَّذِينَ يُحادُّونَ اللهَ ورسولهُ كُبِتوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ[1]﴾ [المجادلة: ٥].

١٢- **وفي التحذيرِ من الإيذاء:** قال تعالى: ﴿إنَّ الَّذِينَ يؤذونَ اللهَ ورسولهُ لعَنَهُمُ اللهُ في الدُّنيا والآخرة﴾ [الأحزاب: ٥٧].

١٣- **وفي التهديد بالمحاربة:** قال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنوا بِحَرْبٍ مِنَ اللهِ وَرَسُولِه﴾ [البقرة: ٢٧٩] .

١٤- **وفي الشهادة:** الأذان ، والإقامة ، والتحيَّات في الصلوات ، وغير ذلك .

ب- أخذُ العهدِ له ﷺ على جميعِ الأنبياءِ والرُّسُل:

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم من كِتاب وَّحِكمة ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُول مُّصَدق لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِنَ الشَّاهِدِين[2]﴾

(١) **يحادُّون:** أي يعادون ، **كبِتوا:** أي ذُلّوا وأُخزُوا وأُهلِكوا .

(٢) **الميثاق:** عقدٌ مؤكَّدٌ بيمين ، **لتؤمِنُنَّ:** اللام لام القسَم ، وتقديره: واللهِ لتؤمِنُنَّ به . **إصري:** عهدي ، والإصرُ العهد الثقيل .

[آل عمران: ٨١] .

ومعنى ميثاقَ النبيين: ما وثَّقوا به على أنفسهم من الإيمانِ برسولِ الله ﷺ ، والإقرارِ بفضله ، والبشارةِ بمبعثِهِ ﷺ .

وهذا تكريمٌ كبيرٌ لنبيِّهِ لأخذِ الميثاقِ على الأنبياءِ أن يؤمنوا به وينصروهُ إن ظهرَ في زمنهم[1] .

جـ- إمامتهُ ﷺ في الأنبياءِ ببيتِ المقدس:

ومما يدلُّ على تقديمه وفضله ، وعلوِّ مقامه ، وعِظَمِ شأنه: صلاته بالأنبياء ليلةَ أُسرِيَ به إذ لا يؤُمُّ القومَ إلاَّ الأفضلُ والأعلمُ والأكمل .

د - وهو ﷺ إمامُ المرسَلينَ في الآخرةِ أيضاً:

قال ﷺ : "إذا كانَ يومُ القيامةِ كنتُ إمامَ النَّبيين وخَطِيبَهُمْ ، وصاحبَ شفاعتهم غير فخر" [2] .

فهُوَ ﷺ خِيرةُ الخلقِ أجمعين ، وأكرمُ الأوَّلين والآخرين على ربٍّ

---

(١) وآيةُ الميثاقِ نصٌّ في نبيِّنا ﷺ لا تحتملُ غيرهُ . ويُنظرُ: "دلالةُ القرآن المبين على أنَّ النبيَّ ﷺ أفضلُ العالمين" ، للشيخ عبدالله بن الصديق الغماري رحمهُ الله تعالى ، ص ٢٥-٢٨.

(٢) رواهُ أحمد ٥:١٣٧ ، والترمذي في المناقب (٣٦١٣) .

العالمين كما قال ﷺ : "أنا سَيِّدُ ولدِ آدمَ ولا فخر" [1] .

---

(١) أخرجه أحمد ٣:٢ ، والترمذي (٣٦١٥) ، وابن ماجه (٤٣٠٨) من حديث أبي سعيدٍ الخدري ، وأخرجه أحمد ١:٢٨١ و ٢٨٢ و ٢٩٥ و ٢٩٦ من حديث ابن عباس ، وأخرجه أحمد ٣:١٤٤ من حديثِ أنس بن مالك ، وسنده صحيح ، وآخر من حديث عبدا لله بن سلام عند ابن حبان (٢١٢٧) ، وسنده صحيح .

المناقشة

س١- اذكر ثلاث فضائل خصَّ الله تعالى بها رسوله ﷺ في الدنيا؟

س٢- أخذَ الله سبحانه الميثاقَ لرسوله ﷺ على جميعِ الأنبياء والمرسلين ، فما معنى ميثاق النبيين ، وما الدليل عليه؟

س٣- قرَنَ الله تعالى ذِكْرَ رسوله ﷺ بذِكْرِهِ في الشهادة: اذكر ثلاثة مواضع تدلُّ على ذلك؟

س٤- قرَنَ الله تعالى ذِكْرَ رسوله ﷺ بذِكْرِهِ سبحانه في مواضعَ كثيرة ، اذكر دليلاً لكلٍّ مما يلي:

١- الإيمان . ٢- الطاعة . ٣- الأدب .

٤- الإرضاء . ٥- النصرة .

س٥- أكمل الأدِلَّة الآتية ، ثُمَّ اذكر ما ترشد إليه؟

أ - ﴿قل إن كانَ آباؤُكم وأبناؤكم ....

................﴾ .

ب- ﴿ومَن يَّخرج من بيتِهِ مهاجراً ....

.............﴾ .

جـ- ﴿إنَّما كانَ قولَ المؤمنين ....

.............﴾ .

الدرس السادس والثلاثون

أفضلُ الأنبياءِ والمرسلين (٢)

ذكرتُ لكَ في الدرسِ السابقِ بعضَ ما أكرمَ الله تعالى به سَيِّد الأولين والآخرين في الدنيا ، وأذكر لك الآن بعض ما أكرمَ الله تعالى به نبيَّهُ ﷺ في الآخِرةِ:

١- الشهادة:

قال تعالى: ﴿**فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمةٍ بِشَهِيد وَّجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاءِ شَهِيدا**[1]﴾ [النساء: ٤١] .

فأُمَّتُهُ ﷺ تشهَدُ للأنبياءِ السابقين على أُمَمِهِمْ ، بأنهم أبلغوا رسالاتِ ربهم ، وهو ﷺ يشهدُ لهذه الأُمَّةِ كذلك[2] .

٢- المقامُ المحمود:

قال الله تعالى: ﴿**وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَّبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُودا**﴾ [الإسراء: ٧٩] .

---

(١) **شهيداً**: أي شاهداً على مَن آمنَ بالإيمان ، وعلى من كفر بالكفر ، وعلى من نافقَ بالنفاق .

(٢) يعني أنه ﷺ يزكّي أمّتَه المتّبعين له ، ويُعَدّلهم ويشهد لهم بالثقة والعدالة حتّى تقبل شهادتهم .

وهذا هو مقامُ الشفاعةِ العُظمى العامَّة لجميعِ أهل الموقف ، فإنَّهُ يشفَّع بهم ﷺ ، وينقذُهمْ من طولِ الموقفِ وكُرُباتِه بعد أن طلبوا من الرُّسُلِ الشفاعةَ فلم يستجيبوا لهم ، حتَّى انتهوا إلى إمامِ المرسَلين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين فقال: "أنا لها أنا لها" ، فيشفعُ ويُشفَّع ، وينفضُّ أمرُ الموقفِ وكلُّهم يحمدونه ﷺ ويُثْنونَ عليه بقِيامه هذا المقامَ المحمود .

٣- لِواءُ الحمد:

إذا كانَ يومُ القيامةِ كانَ الناسُ بما فيهم الأنبياءُ صلواتُ اللهِ عليه وعليهم أجمعين تحت لِوائه ﷺ .

قال ﷺ : "أناْ سَيّدُ ولدِ آدمَ يوم القِيامة[1] ولا فخر ، وبيَدي لواءُ الحمدِ ولا فخر ، وما مِن نبيٍّ يومئذٍ آدمُ فمن سِواهُ إلاَّ تحتَ لِوائي"[2].

---

(١) إنما خصَّ يومَ القِيامةِ بالذِّكر مع أنَّ له السيادةَ في الدُّنيا والآخرة ، لأن الناسَ كلَّهُمْ على مختلفِ مِلَلِهِمْ يُقِرُّون له بالسيادة يومَ القيامة ، ويشهدون له بذلك ، وأما في الدنيا فمنهم ومنهم ، ومعنى قوله: "ولا فخر" أي أنه لَم يقُلْ ذلك فخراً وكِبْراً ، وإنّما قال ذلك تحدُّثاً بنعمةِ الله تعالى وشكراً له.

(٢) رواه أحمد ٣:٢ ، والترمذي في كتاب المناقب (٣٦١٥) .

٤- الوسيلة:

الوسيلةُ في اللغةِ: هي التي يُتَوَصَّلُ بها إلى تحصيل المقصودِ المحمود .

وأما الوسيلةُ التي خصَّ الله تعالى بها سيدَنا محمداً ﷺ فهي منزلةٌ في أعلى الجنة ليس فوقها منزِلة .

وقد أمرَ النَّبِيُّ ﷺ أمَّتَهُ أن يسألوا الله تعالى له الوسيلةَ لينالوا الأجرَ العظيم ، والفضلَ الكبير ، فقال: "إذا سمعتم المؤذِّنَ فقولوا مثل ما يقول ، ثُمَّ صلُّوا عَلَيَّ ، فَإِنَّهُ مَن صَلَّى عَلَيَّ صَلاةً ، صَلَّى الله عَلَيْهِ عَشْرا ، ثُمَّ سَلوا الله لِيَ الوسيلة ، فإنَّها منزلةٌ في الجنَّةِ لا تنبغي إلاَّ لعبدٍ من عبادِ الله ، وأرجو أن أكونَ أنا هو ، فمن سألَ الله لِيَ الوسيلةَ: حَلَّتْ عليه الشفاعة" (١) .

٥- الكوثر:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الكَوْثَرَ فَصَل لِرَبكَ وَانْحَرْ إِنَّ

---

(١) رواهُ مسلم (٣٨٤)، وأبو داود (٥٢٣) كلاهما في الصلاة ، والترمذي (٣٦١٩) في المناقب ، والنسائي (٦٧٨) في الأذان ، **حلّت عليه:** أي نزلت عليه ، **شفاعتي:** المراد بها شفاعة مخصوصة .

شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَر[(1)]﴾ [الكوثر] .

قال ﷺ : "بينا أناْ أسيرُ في الجنَّـة ، إذ أنـاْ بنهـرٍ حافَّتـاهُ قِبـابُ الـدُّر المجوَّف ، فقلت: ما هذا يا جبريل؟ فقال: هذا الكوثر الَّذِي أعطـاكَ ربُّك ، فإذا طينُهُ مِسْكٌ أذفر" [(2)] .

فذلك النهر العظيم في الجنة يسمَّى كوثراً ، ويصبُّ نهـر الكوثـرِ في حوضِ الموقف ، وهو الَّذِي تَرِدُ عليه أمَّةُ محمدٍ ﷺ .

٦- إكرامُ ا للهِ تعالى نبيَّهُ محمداً ﷺ بأوَّلِيَّاتِ المعالي في الآخرة:

لقـد اختـصَّ ا للهُ نَبِيَّـهُ محمـداً ﷺ بأوَّلِيَّـاتِ المعــالي والكمــالاتِ في الآخرةِ ، أذكرُ لك بعضها:

أولاً : فهو ﷺ أوَّلُ من تنشقُّ عنه الأرض .

---

(١) **الكوثرُ**: صيغةٌ مبالغة على وزن فَوْعَل تدلُّ على الكثرة ، مثل: نَوْفَل من النَّفـل ، وجَوْهرٌ من الجهر ، والعربُ تسَمي كلَّ شـيءٍ كثـيرٍ في العـدد والقـدرِ كوثـراً . **والنحر**: أي انحرِ الإبلَ وتصدَّق بها على المحتاجين . **شانئكَ**: الشانئ هو المبغض . **الأبتر**: المنقطع عن كل خير . وإذا كانَ مبغضُ رسول ا لله ﷺ منقطعاً عن كـل خير ، فمعنى ذلك أنَّ محبَّهُ ﷺ متَّصِلٌ بكل خير .

(٢) رواه البخاري (٦٥٨١) في كتاب الرقاق من حديث أنس بـن مـالك ، وقولـه: **بينا أناْ أسير في الجنة**: أي ليلةَ الإسراء ، **ومسكٌ أذفر**: شديد الرائحة ، جيدٌ إلى الغاية .

ثانياً : وهو ﷺ أوَّلُ من يُؤْذَنُ له بالكلام فيُثني على الله تعالى .

ثالثاً : وهو ﷺ أوَّلُ من يُؤْذَنُ له بالسجود .

رابعاً : وهو ﷺ أَوَّلُ شافعٍ وَأَوَّلُ مشفَّعٍ .

خامساً : وهو ﷺ أَوَّلُ مَن يُقضى بينَ أمَّتِهِ قبل الخلائق .

سادساً : وهو ﷺ أَوَّلُ مَن يجوزُ الصراط بأُمَّتِه .

سابعاً : وهو ﷺ أَوَّلُ مَن يأخذُ بحلقةِ بابِ الجنة .

ثامناً : وهو ﷺ أَوَّلُ من يُفتحُ له بابُ الجنة .

تاسعاً : وهو ﷺ أَوَّلُ من يدخل الجنة [١] .

۞۞۞

(١) انظر أدِلَّة هذه الأوَّلِيَّات في كتاب "شهادةِ لا إله إلاَّ الله محمدٌ رسولُ الله" للشيخ عبدالله سراج الدين حفظه الله ، ص ١٤٤ -١٤٨.

المناقشة

س١- اذكر خَمْسَ فضائل مما أكرم الله تعالى نبيَّهُ ﷺ في الآخرة ؟

س٢- اذكر سبعة أوليَّات خصَّ الله بها نبيَّهُ ﷺ في الآخرة؟

س٣- ما الوسيلة في اللغة والشرع؟

س٤- اذكر دليلاً لكلٍّ مما يلي:

أ - إعطاء الله تعالى الكوثر لنبيِّهِ ﷺ .

ب- لواء الحمد .

جـ- شهادته ﷺ لأمَّتِه .

س٥- أكمل الأدِلَّة الآتية ثُمَّ اذكر ما ترشد إليه؟

أ - ﴿ومنَ الليل فتهجَّد به ....
.... ﴾ .

ب- "إذا سمعتم المؤذِّن فقولوا مثلَ ما يقول ثُمَّ ....
..................." .

جـ- "بينا أنا أسيرُ في الجنة ، إذ أنا بنهر ....
..................." .

الدرس السابع والثلاثون

أمَّةُ الرسول ﷺ (١)

فضَّلَ ا للهُ الأُمَّةَ المحمَّدِية على غيرها مـن الأُمَـم ، إكراماً لنبيّهـا ﷺ لأنَّ شرفَ التابعِ إنما هو لشرفِ المتبوع ﷺ .

معنى الأُمَّة:

"الأُمَّةُ: كلُّ جماعةٍ أُرسِلَ إليهم رسول ، سواءٌ آمنوا أو كفـروا"[(١)]، ومحمدٌ ﷺ بعثَ إلى الناسِ كافَّةً: ﴿**قُـل يـا أيُّهـا النـاسُ إنـي رسـولُ ا للهِ إليكم جميعـا**﴾ [الأعـراف: ١٥٨] ، فالعـالم كُلُّـه -بشَـرقِهِ وغَربـهِ وعجمـه وعرَبه- أُمَّةُ الدعوةِ لمحمدٍ ﷺ .

وأمَّةُ محمدٍ ﷺ تنقسم إلى قسمين:

الأول: أمة الدعوة: وتشملُ سائرَ العالم .

والثاني: أمة الإجابة: والمقصود بها كل مـن استجابَ لدعـوةِ محمـد ﷺ وآمنَ به ودخل في دينه .

---

(١) القاموسُ المحيط ، مادة "أ م م" ، وقـال الراغـب في "مفـرداتِ القـرآن" ص ٨٦: "الأمة كل جماعة يجمعهم أمر ما ، إما دين واحد ، أو زمـانٌ واحـد ، أو مكـانٌ واحد" .

وأمَّةُ الإجابة هي المقصـودة إذا قيـل: أُمَّـةُ الإسـلام ، أو أمَّـةُ محمـد ﷺ ، بل هي المقصودة بكلمة "الأمة" عند الإطلاق[1].

بناءُ الأمَّةِ الصالحة:

من أهدافِ بعثةِ الرسول ﷺ تكوينُ أمَّةٍ متميزةٍ ، تحمل رسـالتَهُ إلى العالم كلِّه ، فتحمل معها الرحمةَ والنورَ والخيرَ للبشرية ، كمـا قـال تعـالى لرسوله: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**﴾ [الأنبياء: ١٠٧] .

و لم يكن تكوين هذه الأمة بالأمر السهل ، فقد نشأ رسولُ ا لله ﷺ في جزيرةِ العرب ، وهـي قائمـةٌ علـى القَبَلِيَّـة ، والعصبيَّـة ، فالقَبَلِيَّـة هـي أساسُ الولاء ، ومصدرُ الاعتزاز والانتماء .

فلَمَّا بُعِثَ رسولُ ا لله ﷺ نقلهم نقلـةً كبـيرةً مـن سـجن القَبَلِيَّـة ، الضيّقة إلى ساحة الأمة الواسعة ، وبنى أمةً على أسـاسِ الإيمـان ، فهـي لا تقومُ على رابطة عِرقيَّةٍ ولا لَوْنِيَّةٍ ، ولا طبَقِيَّةٍ ، بل هي أمَّةُ عقيدةٍ ورسـالة قبل كل شيء[2] .

---

(١) الأمة الإسلامية حقيقة لا وهم ، للدكتور القرضاوي ، ص٩ .

(٢) مدخل لمعرفة الإسلام ، للدكتور القرضاوي ص ٢٤٦-٢٤٨ باختصار .

فضائل الأُمَّةِ المسلمة:

أبرز ما يُمَيزُ هذه الأمة عن غيرها من الأمَمِ أوصافٌ أربعةٌ ذَكَرَها القرآن ، وهذه الأوصاف هي خصائص وفضائل لهذه الأمَّة ، وهي:

١- الربَّانِيَّة:

فهي أمَّةٌ أنشأها الله تعالى واجتَباها ، ولهذا يقولُ الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣] ، فهذا التعبير "جعلناكم" يفيد أَنَّ الله تعالى هو جاعلُ هذه الأمَّةِ وصانِعُها .

ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاس﴾ [آل عمران: ١١٠] ، فتعبير "أُخرجت" يدُلُّ على أَنَّ هناكَ مُخرِجاً أخرج هذه الأمة ، وهيَّأها لرسالته ، كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨] .

فهي أمَّةٌ مصدرها ربَّانيٌّ ، ووجهتها ربَّانية ، لأنها تعيش لله ، ولتحقيق منهج الله .

٢- الوسَطِيَّة:

فهي الأُمَّةُ التي تُمَثِّلُ "الصراطَ المستقيم" بين السُّبُلِ المنعرجة والملتوِيَة ، صراط الذينَ أنعمَ الله عليهم من النَّبيينَ والصديقينَ والشُّهَداء

والصالحين ، لا صراط المغضوب عليهم -وهمُ اليهود- ولا الضالين -وهمُ النصارى-.

وهذه الوسطية هي التي تؤهّلُ الأمَّةَ للشهادةِ على الناس ، وتُبَوّئها مكانَ الأستاذِيَّةِ للبشرية ، قال تعالى: ﴿**وكذلكَ جعلناكم أمَّةً وسطاً لتكونوا شُهَداءَ على النَّاسِ ويكونَ الرَّسولُ عليكم شهيداً**[1]﴾ [البقرة: ١٤٣] .

٣- الدعوة:

فهي أُمَّةُ دعوةٍ ورسالةٍ ، ليست أُمَّةً مُنكفِئَةً على نفسها ، تحتكر الحقَّ والخير والهدايةَ لذَاتِها ، ولا تعمل على نشرها في الناس ، بل الدعوة فريضةٌ عليها ، والأمر بالمعروفِ والنهي عن المنكر مع الإيمان با لله أساسُ تفضيلها على كل الأمم ، كما قال تعالى: ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالمعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ المنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِا للهِ**﴾ [آل عمران: ١١٠] .

فهيَ لَم ترجح على سائر الأُمم لسببٍ ماديٍّ أو عُنصُريّ ، إنما رَجَحَتْ في ميزان الحق لأنها تأمرُ بالمعروفِ وتنهى عن المنكر ،

---

(١) **وسَطاً**: خِياراً عُدولاً . **لتكونوا**: أي يومَ القيامة . **شهداءَ على الناس**: أي على الأُمَمِ السابقة أَنَّ رسلَهم بلَّغتهُمُ الدعوة .

وتؤمن با لله .

٤- الوحـــدة:

فهي أمَّةٌ واحدة ، وإن تكوَّنَتْ مـن عـروقٍ وألـوانٍ ولُغـاتٍ ، فقـد صَهَرَها الإسلامُ في بوتقةٍ واحدة ، وأذابَ الفوارقَ بينها ، وربطها بالعروة الوُثقى لا انفصامَ لها .

يقـولُ الله تعـالى: ﴿**إنَّ هَـذِهِ أمَّتُكُـمْ أُمَّـةً واحِـدَةً وَأَنـاْ رَبُّكُـمْ فَاعْبُدُون**﴾ [الأنبياء: ٩٢] .

ويقـولُ سبحانه: ﴿**وإنَّ هـذِهِ أمَّتُكُمْ أُمَّـةً واحـدةً وأنـاْ ربُّكُـمْ فاتّقون**﴾ [المؤمنون: ٥٢] .

أمَّةٌ ربُّها واحـدٌ هـو الله سبحانه ، ونبيُّهـا واحـدٌ هـو محمـدٌ ﷺ ، وكتابها واحدٌ هو القرآن ، وقِبلَتُها واحدةٌ هي الكعبة ، وشريعَتُها واحـدةٌ هي الإسلام ، ووطنُها واحدٌ هو "دارُ الإسلام" [(١)] .

۞۞۞

---

(١) المصدر السابق ، ص ٢٤٨-٢٥٢ باختصار .

المناقشة

س١- ما معنى الأمة ، وإلى كم قسم تنقسم أمَّـةُ محمـد ﷺ ، ومـا المـراد بأمته ﷺ ؟

س٢- من أهدافِ بعثة الرسول ﷺ تكويـن أمـة تحمـل رسـالةَ الإسـلام ، وضح ذلك؟

س٣- من خصائص الأمة المسلمة: الرَّبَّانِيَّة ، بيّن ذلك ، مع الأدلة؟

س٤- من خصائص الأمة المسلمة: الوسَطِيَّة ، اشرح ذلك؟

س٥- بمَ رجحت أُمَّة الرسول ﷺ على سائر الأمم؟

س٦- الأُمَّة المسلمة أمَّةٌ واحدة ، وضّح ذلك؟

س٧-اذكر دليلاً لما يلي:

أ - وسطِيَّةُ الأمة المسلمة هي التي تؤهِّلُها للشهادة على الناس .

ب- الأُمَّة المسلمة أخرجها الله واجتباها .

جـ- الأُمَّة المسلمة أمَّةُ دعوةٍ ورسالة .

الدرس الثامن والثلاثون

أُمَّةُ الرَّسولِ ﷺ (٢)

ذكرتُ لك في الدرس السابق بعضَ الفضائل الكبرى والمزايا العُظمى لأُمَّةِ الرسول ﷺ في القرآنِ الكريم .

وفي السُّنَّةِ النبوية أحاديثُ جمَّةٌ تتحدَّثُ عن الأُمَّـةِ وفضائلها ، وما أكرمَ ا للهُ تعالى نبيَّهُ في أُمَّتِهِ في الدنيا والآخرةِ ، وأذكر لك بعضها:

قال ﷺ : "إنكم تتِمُّونَ سبعينَ أُمَّـةً ، أنتـم خيرُها وأكرَمُها على ا للهِ" [١] .

وعن عليٍّ ﷺ قال: قال رسولُ ا للهِ ﷺ : "وجُعلت أمتي خير الأمم" [٢] ، وعن حذيفة ﷺ: "فُضلت هذه الأمة على سائر الأمم" [٣] .

فهي الأُمَّةُ الوحيدة التي تؤمنُ با لله سبحانه الإيمانَ الصحيح ، والتي ورثت رسالاتِ الأنبياء ، وتؤمنُ بهم جميعاً صلواتُ ا للهِ وسلامه عليهم .

---

(١) رواه أحمد ٤٤٦:٤ ، والترمذي في كتاب التفسير (٣٠٠١) من حديثِ عبد ا لله ابن عمرو بن العاص .

(٢) رواهُ أحمد ١٥٨:١ .

(٣) رواهُ أحمد عن حذيفةَ موقوفاً ٣٨٢:٥ .

أ – ومن مظاهر هذه الخيرية والتفضيل في الدنيا:

١و٢و٣– عن حذيفة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : "فُضلنا على الناسِ بثلاث: جُعِلَتْ صفوفُنا كصفوفِ الملائكة ، وجُعلت لنا الأرض كلُّها مسجداً ، وجُعِلَتْ تُربَتُها طَهوراً إذا لم نجد الماء" [١] .

٤– يوم الجمعة: عن حذيفة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : "هُدينا إلى الجمعة ، وأضَلَّ الله عنها مَن كانَ قبلنا" [٢] .

٥– لا تزالُ طائفةٌ منها على الحق: ومما خصَّ الله به هذه الأُمَّةَ أن لا يجمعها على ضلالة ، وأنه ستبقى منها طائفةٌ على الحق ظاهِرين حَتَّى قيام الساعة ، قال ﷺ : "لا تزالُ طائفةٌ من أُمَّتي ظاهرين على الحق ، لا يضرُّهم مَنْ خذَلَهُم حَتَّى يأتيَ أمرُ الله" [٣] .

---

(١) رواه مسلم (٦٤٢) في كتاب المساجد .

(٢) رواه مسلم برقم (٨٥٦) في كتاب الجمعة .

(٣) رواهُ البخاري ومسلم عن عددٍ من الصحابة ، والحديثُ متواتر ، أما هذه الطائفة فقال البخاري في "صحيحه": هم أهل العلم ، وقال الإمام النووي: يجوز أن تكون الطائفة جماعةً متعددة من أنواعِ المؤمنين ما بين شجاعٍ وبصيرٍ بالحرب ، وفقيهٍ ومحدّثٍ ومفسرٍ وقائمٍ بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وزاهدٍ وعابدٍ . انظر "شرح مسلم" ١٣ : ٦٦–٦٧.

وقال ﷺ : "إنَّ الله لا يجمعُ أمَّتي ضلالة" (١)

ب- ومن مظاهر الخيرية والتكريم في الآخرة:

١- أنها شاهدةٌ للأنبياء عليهم السلام على أممهم:

بأنهم قد بلَّغوا الرسالة عندما تَدَّعِي الأمم أنهم ما جاءهم بشيرٌ ولا نذير ، قال تعالى: ﴿**وكذلك جعلْناكُمْ أُمَّةً وَّسَطا لّتكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدا**﴾ [البقرة: ١٤٣] .

وقال عزَّ وجلّ: ﴿**هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدينِ مِنْ حَرَج مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ المسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ**﴾(٢) [الحج: ٧٨].

---

(١) رواه الترمذي (٢١٦٧) في أبوابِ الفتن ، وقال: غريبٌ من هذا الوجه ، ورواه الحاكم في "المستدرك" في كتاب العلم ١١٥:١ من حديث ابن عمر ، ورواه ابن ماجه (٣٩٥٠) في كتاب الفتن ، وابن أبي عاصم في كتاب "السنة" ٤:١ من حديث أنس .

(٢) **اجْتَبَاكُم**: اختارَكم . **حرج**: ضيق . **من قبلُ**: أي من قبل هذا الكتاب في الكتبِ السابقة .**وفي هذا**: أي القرآن .

يعني أنه ﷺ يزكّي أمَّتَهُ المتَّبعين له ، ويعدلُهُمْ ، ويشهد لهم بالثِّقَةِ والعدالة حَتَّى تقبل شهادتهم .

٢- الآخِرون السَّابقون:

ومما خُصَّت به هذه الأمة أنها آخِرُ الأُمم في الوجود ، وهي أوَّلُ الأمم في البعث والحساب ودخولِ الجنة .

قال ﷺ: "نحنُ الآخِرونَ السابقونَ يومَ القيامة ، بيدَ أنهم أوتوا الكتابَ من قبلنا ، وأوتيناهُ من بعدهم..." [١] .

٣- الغُرُّ المحجَّلون:

ومما خُصَّتْ به هذه الأمة أنها تأتي يوم القيامة غُرّاً محجَّلين من آثارِ الوضوء .

قال ﷺ : "إنَّ أُمَّتي يأتون يوم القيامة غُرّاً محجَّلين من أثرِ الوضوء ، فمن استطاعَ منكم أن يُطيلَ غُرَّتَهُ فليفعل"[٢] .

---

(١) رواه البخاري (٨٧٦) ، ومسلم (٨٥٥) كلاهما في كتاب الجمعة .

(٢) رواه البخاري (١٣٦) في كتاب الوضوء ، ومسلم (٢٤٦) في كتاب الطهارة ، **الغُرُّ**: جمع الأغَر ، من الغَرَّة ، وأصل الغُرَّة: البياض الَّذِي يكون في وجه الفرس ، والمرادُ به: بياضُ وجوههم بنورِ الوضوء يوم القيامة ، **ومحجَّلون**: جمع محجَّل ، وهو الفرس الَّذِي يرتفع البياض في قوائمه إلى موضع القيد ، والمراد=

٤- هُم أكثر أهلِ الجنة:

ومما خُصَّتْ به هذه الأمَّة أنها ستكونُ أكثر الأمم في الجنة .

قال ﷺ : "والذي نفسي بيده إني لأطمع في أن تكونوا شَطْرَ أهل الجنة.." [1] .

وقد ورد في الحديثِ ما يفيد أنهم أكثر من النصف: فهم ثلثا أهل الجنة ، والثلث الباقي من سائر الأمم .

قال ﷺ : "أهلُ الجنة عشرون ومائة صنف ، ثمانون منها من هذه الأمة ، وأربعون من سائر الأمم" [2] .

۞۞۞

= بالحديث: بيض مواضع الوضوء من الأوجهِ والأيدي والأقدام ، استعارَ أثر الوضوء في الوجه واليدين والرجلين للإنسان من البياض الَّذِي يكون في وجه الفرس ويديه ورِجليه كما في "النهاية" ١:٣٤٦ و ٣:٣٥٤ .

(١) رواه البخاري في كتاب الرقاق (٦٥٢٨) ، ومسلمٌ في كتابِ الإيمان (٢٢٢) .

(٢) رواه الترمذي في كتاب صفة الجنة (٢٥٤٦) ، وقال: حديث حسن .

المناقشة

س١- اذكر خمساً من مظاهر الخيرية لهذه الأمة في الدنيا؟

س٢- اذكر أربعاً من مظاهر الخيرية لهذه الأمة في الآخرة؟

س٣- ما المراد بشهادةِ الأمة على الأمم يومَ القيامة؟

س٤- ما معنى قوله ﷺ : "نحنُ الآخِرون السابقون"؟

س٥- اذكر دليلاً لكلٍّ مما يلي:

أ - أمَّةُ الرسول ﷺ خيرُ الأمم .

ب- لا تزالُ طائفةٌ منها على الحق .

جـ- تأتي يومَ القيامةِ غراً محجَّلين .

س٦- أكمل الأدلَّة الآتية ، ثُمَّ اذكر ما ترشد إليه:

أ - ﴿هو اجتباكم وما جعلَ عليكم في الدين ....
..........﴾ .

ب- "فُضلْنا على الناس بثلاث: ....
................" .

جـ- "أهلُ الجنة عشرونَ ومائة صنف ....
................" .

الدرسُ التاسع والثلاثون

من حقوقِ الرسول ﷺ

لقد قامت الدلائل بإثباتِ نبوَّةِ سَيّدنا محمد ﷺ وصِحَّةِ رسالته ، وتميَّزت الرسالة المحمدِيَّةُ بأنَّها رسالةٌ عالمية لجميع البشرية ، وأنها رسالةٌ خالدةٌ نسخَ الله بها جميعَ الرسائل السابقة ، وخصَّ اللهُ نبيَّهُ ﷺ وفضَّلَهُ على الخلقِ أجمَعين ، كما خصَّ أُمَّةَ الإجابةِ وفضَّلَها على جميعِ الأُمم ، ولذلك أوجبَ اللهُ تعالى لنبيِّهِ ﷺ على أُمَّتِهِ كثيراً من الحقوق ، أهَمُّهَا:

محبَّة رسولِ الله ﷺ

معنى محبَّة رسول الله ﷺ :

أن يميل قلبُ المسلم إليه ﷺ مَيْلاً يتجلَّى فيه إيثارُه ﷺ على كل محبوبٍ من نفسٍ ووالدٍ وولدٍ ومال ، ومن الناسِ أجمعين .

وجوبُ محبةِ الرسول ﷺ :

ومحبة الرسول من أصولِ الإيمان ، فلا يتحقق الإيمان إلاَّ بها ، دلَّ على ذلك القرآنُ والسنَّة .

أ - فمِن القرآن قوله تعالى: ﴿**قُلْ إن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ**

تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ا للهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ ا للهُ بِأَمْرِهِ وَا للهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ[1]﴾ [التوبة: ٢٤] .

ب- ومن السُّنَّةِ قولهُ ﷺ : "لا يؤمنُ أحدُكُمْ حَتَّى أكونَ أحبَّ إليه من والدِهِ وولَدِهِ والناسِ أجمعين" [2] .

علاماتُ محبةِ الرسول ﷺ :

إنَّ محبة النبي ﷺ لها علاماتٌ تدلُّ عليها ، وهذه العلامات كثيرةٌ ، سأذكر لك أهمَّها:

١- التَّمَسُّكُ بشريعته واتِّباعُ سُنَّتِه:

قال تعالى: **﴿قُل إن كُنتُمْ تحِبُّونَ ا للهَ فاتَّبِعوني يُحبِبْكُمُ ا للهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُم وا للهُ غفورٌ رَّحيم﴾** [آل عمران: ٣١] .

فجعل ا لله سبحانه متابعةَ الرسولِ علامةً على محبة العبد لربه ، وجعل جزاءَ العبد على حسنِ متابعته لرسول ا لله ﷺ: محبة ا لله إيَّاهُ ، وغفرانه سبحانه له .

---

(١) **عشيرتكم:** العشيرةُ همُ الأدنَون من أهل الإنسان الَّذِينَ يعاشرونه دون غيرهم . **اقترفتموها:** اكتسبتموها . **فتربَّصوا:** فانتظروا ، وهذا تهديدٌ بسوء العواقب .

(٢) رواه البخاري في كتاب الإيمان (١٥) ، ومسلمٌ في كتاب الإيمان (٤٤) من حديثِ أنسٍ ﷺ .

٢- **تعظيمه ﷺ وتوقيرُه والأدبُ معه:**

قال ا لله تعالى: ﴿**إنَّا أرسَلناكَ شاهِداً وَّمُبَشِّراً وَّنذيرا لتُؤمنوا بـا لله وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّروهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكرَة وَّأَصِيلا**﴾ [الفتح: ٩] ، فالتسبيحُ لله عزَّ وجلَّ ، والتعزيزُ والتوقيرُ للنبي ﷺ ، والتعزيرُ: نصرٌ مع تعظيم ، والتوقير: التبجيلُ والاحترام .

وقال تعالى: ﴿**فَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُون**[1]﴾ [الأعراف: ١٥٧] .

٣- **كثرة تذكُّرِهِ ﷺ وتَمَنّي رؤيته والشوق إلى لقائه:**

ذلكَ أَنَّ مَن أحَبَّ شيئاً أكثرَ من ذِكْرِهِ ، ولا يكونُ ذلك إلاَّ إذا شغلت المحبةُ قلبَ المحِب وفِكره ، ويدخل في هذا الشوق إلى لقائه ﷺ ، إذ كُلُّ حبيبٍ يحبُّ لقاءَ حبيبه ، وفي الحديث: "مِنْ أشَد أمَّتي لي حُبّاً ، ناسٌ يكونون بعدي يَوَدُّ أحدهم لو رآني بأهله وماله" [2].

٤- **الإكثارُ من الصلاةِ والسلامِ عليه ﷺ :**

قال تعالى: ﴿**إنَّ ا للهَ وملائكتَهُ يُصلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ**

---

(١) **عَزَّرُوه:** أصل التعزير: المنع والنصرة ، وتعزير النبي ﷺ : تعظيمه وإجلاله ودفع الأعداء عنه . **النُّور:** القرآن ، وسُميَ القرآنُ نوراً لأنه ينير قلبَ المؤمن ؛ فيخرج به من ظلماتِ الشك والجهالة إلى نورِ اليقينِ والعلم .

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٢٨٣٢) ، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيما﴾ [الأحزاب: ٥٦] .

والصلاةُ مِنَ اللهِ تعالى: ثناءُ اللهِ على نبيِّهِ ﷺ عند الملائكة ، **والصلاةُ من الملائكةِ:** الدُّعاءُ لهُ ﷺ ، **والصلاةُ من المؤمنين:** الطلبُ من الله تعالى أن يُعليَ ذِكرَه ، ويزيدَه تعظيماً وتشريفاً .

وقد رغَّبَ رسول الله ﷺ بالصلاةِ والسلام عليه في أحاديثَ كثيرة ، منها قوله ﷺ : "مَن صلَّى عليَّ واحدةً صلَّى الله عليه عشرا" [(١)] .

اللهمَّ صلّ على عبدِكَ ونَبِيّكَ محمدٍ وأزواجه وذُرِّيَّتِهِ ، وسَلّمْ تسليماً كثيراً .

٥- محبَّةُ آلِ بيته وقرابتِه وأزواجِه وأصحابِه ﷺ :

مِن مظاهر حُبِّهِ ﷺ: محبةُ أهلِ بيته ، وتوقيرهم ، ومعرفة فضلهم ، وحفظُ حرمتهم ، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرجْسَ أَهْلَ البَيْتِ وَيُطَهرَكُمْ تَطْهِيرا﴾ [الأحزاب: ٣٣] .

وقد أوصى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بآلِ بيته فقال: "أُذَكِّرُكُمْ اللهَ في أهلِ بيتي"[(٢)].

---

(١) رواهُ مسلمٌ في صحيحه (٤٠٨) في كتاب الصلاة.

(٢) رواه مسلم (٢٤٠٨) في كتاب فضائل الصحابة .

وقد جاءَ عن الصديقِ ﷺ أنه قال: "ارقُبوا محمداً في أهلِ بيته" [1] .

ومِن مظاهر حبه ﷺ : حبُّ أصحابه ، ومعرفةُ فضلهم وقدرهم ، والدفاعُ عنهم ، وصونُ حرمتهم ، فهُم خيرُ هذه الأمَّةِ بعد نَبيّها ، ويكفيهم شَرَفاً أنهم فازوا بشرفِ الصُّحبة التي لا تعادلُها أيُّ منزلةٍ سواها .

وقد أعلن الله تعالى شهادتَه بأَنَّ محمداً رسول الله ، وأثنى سبحانه على أصحابه فقال: ﴿**مُحَمَّدٌ رسولُ الله والذينَ معه أشِدَّاءُ على الكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّدا يَبْتَغُونَ فَضْلا مِّنَ الله وَرِضْوَانا سِيمَاهُمْ في وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ في التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ في الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الكُفَّارَ وَعَدَ الله الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَة وَأَجْراً**

---

(١) رواهُ البخاري في المناقب (٣٧١٣) . **والمراقبة للشيء:** المحافظةُ عليه ، ومعناه: احفظوهُ فيهم ، فلاَ تؤذوهم ، ولا تسيئوا إليهم .

عَظِيما﴾ [الفتح: ٢٩] [١].

ثمراتُ المحبة:

١- **حلاوةُ الإيمان:** إنَّ أعظمَ ثمراتِ المحبة أن يجدَ المؤمنُ في قلبه حلاوةَ الإيمان ، كما في الحديث: "ثلاثٌ مَن كُنَّ فيه وجد حلاوةَ الإيمان: أن يكونَ الله ورسُولُهُ أحبَّ إليه مما سِواهما ، وأن يحبَّ المرء لا يحبه إلاَّ لله ، وأن يكره أن يعودَ في الكفر كما يكره أن يُقذَفَ في النار" [٢] . وكلَّما ازدادَ المؤمن محبةً لله ورسوله ﷺ ازدادَ ذوقُهُ لحلاوةِ الإيمان .

٢- **المرءُ مع من أحب:** ومن ثمراتِ المحبة أن يكونَ المرءُ معَ من أحبَّ ، فمن أحبَّ رسول الله ﷺ كان معه في الجنة ، وسَعِدَ بمرافقته ، وتنعَّمَ برؤيته ، قال ﷺ : "المرءُ مع من أحب" [٣] .

---

(١) **يبتغونَ فضلاً من الله ورضوانا:** أي يطلبونَ فضلاً من الله ويطلبونَ رضوانه سبحانه ، وفي هذا شهادة لهم بكمالِ صدقهم وإخلاصهم . **سيماهم:** السيما هي العلامة ، وهي النور الّذِي يبدو ظاهراً على وجوههم من كثرةِ السجودِ والصلاة . **شَطْأَهُ:** الشَّطْأُ فراخ الزرع ، وهو ما خرجَ منه وتفرَّعَ عنه . **فآزَرَهُ:** أي: قوَّاهُ وشدَّهُ . **فاستغلظَ:** أي شبَّ وقويَ . **فاستوى على سوقِهِ:** جمع ساق ، أي: فاستقامَ على أصوله . **منهم:** "من" هنا للبيان لا للتبعيض .

(٢) رواهُ البخاري في كتابِ الإيمان (١٦) ، ومسلمٌ في كتابِ الإيمان (٦٧) .

(٣) رواه البخاري في كتابِ الأدب (٦١٦٨) ، ومسلمٌ في كتابِ البرّ (٢٦٤٠) .

المناقشة

س١- ما معنى محبة رسول ا لله ﷺ ؟

س٢- ما الدليلُ على وجوبِ محبة الرسول ﷺ من القرآن والسنة؟

س٣- اذكر علامات محبة الرسول ﷺ ؟

س٤- ما هي ثمراتُ المحبة للرسول ﷺ ، مع الدليل؟

س٥- اذكر دليلاً لكلٍّ مما يلي:

أ - وجوبُ تعظيمه ﷺ وتوقيره .

ب- الإكثار من الصلاةِ والسلام عليه ﷺ .

جـ- ثناءُ ا لله سبحانه على صحابةِ رسولِ ا لله ﷺ .

س٦- أكمل الأدِلة التالية ، ثُمَّ اذكر ما ترشد إليه؟

أ - ﴿قل إن كنتم تحبـون ا لله ....

....﴾ .

ب- ﴿إنما يريدُ ا لله لِيُذْهِبَ ....﴾ .

جـ- "مِن أشدّ أمَّتي لي حُباً ...." .

الدرسُ الأربعون

طاعةُ الرسولِ ﷺ

وجوب طاعته ﷺ واتّباعه:

من حقوقِ الرسول ﷺ على أمَّتِهِ: امتثال أمرِه ﷺ والاقتداءُ به في أقواله وأفعاله ، لأنه مرسَلٌ من ربه ، هادٍ إلى صراطه ، كما قال سبحانه: **﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ، صِرَاطِ اللهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ أَلا إِلَى اللهِ تَصِيرُ الأُمُورُ﴾** [الشورى: ٥٢-٥٣]، وقال تعالى: **﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الهَوَى إِنْ هُوَ إِلاَّ وحيٌ يوحى﴾** [النجم: ٣-٤] .

ومَن كانَ شأنه كذلك كانت طاعتُه من طاعةِ الله تعالى ، لأنَّ الآمِرَ في الحقيقةِ هو اللهُ تعالى ، والرَّسولُ مُبَلِّغٌ عنه .

قال تعالى: **﴿مَن يُطِعِ الرَّسولَ فقد أطاعَ الله﴾** [النساء: ٨٠] .

وقد أفردَ اللهُ تعالى الأمرَ بطاعة محمد ﷺ في آياتٍ كثيرةٍ منها قوله سبحانه: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾** [محمد: ٣٣] .

كما قَرَنَ سبحانه طاعته بطاعة رسوله في آياتٍ كثيرةٍ منها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَوَلَّوا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ(1)﴾ [الأنفال: ٢٠] .

من علاماتِ الطاعة والاتباع:

١- **تحكيم السنة والتحاكم إليها:** قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً(2)﴾ [النساء: ٥٩].

فأمرَ الله تعالى المؤمنين بردّ ما تنازعوا فيه إلى كتابه وسنَّةِ نبيّهِ ﷺ وجعل ذلك علامةَ الإيمان .

وأقسم سبحانه بذَاتِهِ على أنه لا يثبت للمؤمنين الإيمان حَتَّى يحكِّموا رسول الله ﷺ في أنواعِ النزاع كَافَّةً مع الرِّضا بحكمه

(١) **لا تولَّوا عنه:** يعني عن رسوله ، وإنما أفرد الضمير لأن الإعراض عن سنَّته وهديه ﷺ إعراضٌ عن طاعة الله سبحانه لتلازم الطاعَتين ، وتداوم الحالتين .

(٢) **فإن تنازعتم:** أي اختلفتم ، والتنازع: اختلاف الآراء . **فرُدُّوهُ إلى الله والرسول:** أي ردُّوا ذلكَ الأمر الَّذِي تنازعتم فيه إلى كتابِ الله عزَّ وجلَّ ، وإلى رسوله ﷺ ما دام حيّاً ، وبعد وفاته فرُدُّوهُ إلى سنّتِهِ ﷺ .

والتسليم لأمره ﷺ .

وقال تعالى: ﴿**فلا وربكَ لا يؤمنون حتَّى يحكِّموكَ فيما شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا في أَنفُسِهِمْ حَرَجاً ممَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّموا تَسْلِيما**[(1)]﴾ [النساء: ٦٥] .

٢- **الرضَا بحكم رسول الله ﷺ وشرعه:** من علاماتِ طاعة الرسول ﷺ الرِّضَا بحكمه وشَرعه ، ولا يتحقق الرِّضَا إلاَّ بالتسليم المطلق ، والانقياد ظاهراً وباطناً لِما جاء به الرسول ﷺ ، وكلُّ التفاتٍ عن الوحيِ أو اعتراضٍ عليه فهو مناقض للرِّضا ، ودليلٌ على النِّفاق .

٣- **الاقتداء بالنبي ﷺ والتأسي به:** قال تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ في رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللهَ وَاليَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرا**﴾ [الأحزاب: ٢١] .

والتأسِّي بالنبي ﷺ هو: أن نفعلَ مثلما فعلَ على الوجهِ الَّذِي فعله من وجوبٍ أو ندبٍ ، وأن نترك ما تركه ، أو نهى عنه من محرَّمٍ

---

(١) **فلا وربِّكَ:** أي فوربِّك ، و (لا) لتأكيد معنى القسَم ، أو (لا) رد لكلامٍ سبق ، كأنه قال: ليسَ الأمر كما يزعمون أنهم آمنوا وهُمْ يخالفون حكمك . **شَجَرَ بينهم:** أي فيما اختلفوا فيه من الأمور ، وأشكل عليهم حكمه ، وأصله التداخل والاختلاط ، ومنه الشجر لتداخل أغصانه . **حَرَجاً:** ضِيقاً . **يسلِّموا تسليماً:** ينقادوا لأمرك انقياداً .

من وجوبٍ أو ندبٍ ، وأن نترك ما تركه ، أو نهى عنه من محرَّمٍ أو مكروه ، كما يشمل التأسّي به: التأدُّبَ بآدابه والتخلُّقَ بأخلاقه ﷺ.

من ثمراتِ الطاعة والاتباع:

ثَمَّةَ ثِمَارٌ جليلة يجتني قطافها الَّذِينَ يتحققون بطاعة الرسول ﷺ واتباعه ، ومن تلك الثمرات:

١- **الهداية إلى الحق:** قال تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ البَلاَغُ المبِين﴾ [النور: ٥٤] .

٢- **رحمة الله:** قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا الله وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرحَمُون﴾ [آل عمران: ١٣٢] .

٣- **حبُّ الله ومغفرةُ الذنوب:** قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ الله فَاتَّبِعوني يُحبِبْكُمْ الله وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَالله غَفُور رَّحِيم﴾ [آل عمران: ٣١] .

٤- **دخولُ الجنة:** إنَّ مَن نالَ هدايةَ اللهِ ورحمته وحبه وغفرانه فقد سلكَ سبيلَ السعادة والنجاةِ ، وفاز الفوزَ العظيم .

قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ الله وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيما﴾ [الأحزاب: ٧١] .

وقال سبحانه: ﴿وَمَن يُطِعِ ا للهَ وَرَسُولَهُ يُدخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْـرِي مِـن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الفَوْزُ العَظِيم﴾ [النساء: ١٣] .
وقال رسول ا لله ﷺ : "كلُّ أمَّتي يدخلونَ الجَنَّةَ إلاَّ مَن أبى ، قالوا: يا رسولَ ا لله ، ومن يأبى؟ ، قال: مَن أطـاعني دخـلَ الجنـة ، ومـن عَصَاني فقد أبى" [١] .
وبيَّـنَ ﷺ أَنَّ مثلـه : "كمثـل رجـلٍ بنـى داراً وجعـل فيهـا مأدبـةً ، وبعثَ داعياً ، فمن أجابَ الداعيَ دخلَ الـدارَ وأكـلَ مـن المأدُبَـةِ ، ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار و لم يأكل من المأدبة . . فـالدار الجنة ، والداعي محمدٌ ﷺ ، فمن أطاع محمداً فقد أطاعَ ا لله ، ومن عصى محمداً فقد عصى ا لله ، ومحمدٌ ﷺ فَرْقٌ بين الناس" [٢] .

٥- معيَّةُ الرسولِ ﷺ : قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ا للهَ وَالرَّسُـولَ فَـأُولَئِكَ مَـعَ الَّذِيـنَ أَنْعَـمَ ا للهُ عَلَيْهِـم مِّـنَ النَّبِيِّـينَ والصِّدِّيقـين والشُّــهَداءِ

---

(١) رواه البخاري في كتـاب الاعتصـام بالسـنة (٧٢٨٠) ، والمراد بالإباء هنا هـو الامتناع عن التزامِ سنة الرسول ﷺ وعصيان أمره ، والموصوفُ بالإباء إن كـان كافراً فلا يدخل الجنة أبداً ، وإن كانَ مسلماً مُنِعَ من دخولها مع أول داخـل إلاَّ مَن شاء ا لله تعالى (فتح الباري ١٣:٢٥٤) .

(٢) رواه البخاري في سياقٍ طويل في كتاب الاعتصام بالسنة (٧٢٨١) ، وقوله ﷺ: "ومحمد فَرْقٌ بين الناس": أي يفرقُ بين المؤمنين والكافرين بتصديقـه وتكذيبـه ، وقد جاء في صفته في الكُتُب السابقة: "فارِق ليطا" أي يفرّقُ بين الحقّ والباطل .

والصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقا ذَلِكَ الفَضْلُ مِنَ ا للهِ وَكَفَى با للهِ عَلِيما﴾ [النساء: ٦٩-٧٠] .

وأيُّ شرفٍ أعظم من هذا الشرف ، أن ينال المؤمن ذاكَ المقام الرفيع في صحبةِ النبيّ ﷺ والأخيارِ في دار الخلد والقرار .

ومن ذا الَّذِي يزهد في تلك الثمرات ويعزف عن هذه المكرمات؟!! .

٭٭٭

المناقشة

س١- لماذا أمرَنا ا لله سبحانه بطاعةِ الرسول ﷺ ؟

س٢- اذكر أهم علامات الطاعة والاتباع لرسول ا لله ﷺ ؟

س٣- اذكر أهم ثمرات الطاعة والاتباع للرسولِ ﷺ ؟

س٤- ما موقف المؤمنين عند التنازع واختلاف الآراء؟

س٥- كيف يتحقق الرِّضَا بحكم رسول ا لله ﷺ ؟

س٦- كيف يتحقق الاقتداء بالنبي ﷺ والتأَسّي به؟

س٧- اذكر دليلاً لكلٍّ مما يلي:

أ - الرسول ﷺ هادٍ إلى صراطِ ا للهِ المستقيم .

ب- طاعةُ الرسولِ ﷺ من طاعةِ ا لله .

جـ- مَعِيَّةُ الرسولِ ﷺ .

س٨- أكمل الأدلّة الآتية ، ثُمَّ اذكر ما ترشد إليه:

أ - ﴿قل إن كنتم تحبُّون ا لله ....

..............................﴾ .

ب- ﴿فلا وربِّكَ لا يؤمِنون ....

..............................﴾ .

جـ- "كلُّ أمَّتي يدخلونَ الجنةَ إِلاَّ مَن ...." .



الفصل الخامس

الإيمان باليوم الآخر

١- تعريفه وأسماؤه .

٢- عنايةُ القرآنِ باليومِ الآخر .

٣- أدِلَّةُ إثباتِ اليومِ الآخر .

٤- ثمراتُ الإيمان باليومِ الآخر .

٥- أوَّلُ منازلِ الآخرة .

٦- أشراطُ الساعة .

٧- البعث والحشر .

٨- الحوض والشفاعة .

٩- الحساب .

١٠- الشهود وصحفُ الأعمال .

١١- وزنُ الأعمال .

١٢- الصراط .

١٣- الجنةُ والنار .

الدرسُ الحادي والأربعون

الإيمانُ باليومِ الآخر

اليومُ الآخر:

هو اليومُ الذي يحيي الله فيه الخلقَ بعد موتهم ، ويبعثهم من قبورهم ثُمَّ يحاسبهم ويجزيهم على أعمالهم[1] .

والإيمانُ باليوم الآخر وما فيه من بعثٍ وحسابٍ وثوابٍ وعقابٍ وجَنَّةٍ ونارٍ ركنٌ من أركان الإيمان ، وأصلٌ من أصول الدين .

أسماؤه:

وهو يسمَّى بأسماء كثيرة[2] ، وهذه الأسماء تصف اليوم الآخر

---

(١) قال ابن حجرٍ في سببِ تسميته باليومِ الآخر في "الفتح" ١:١١٨ : "لأنه آخر أيّامِ الدنيا ، أو آخرُ الأزمنةِ المحدودة" .

(٢) اقتصرت على سبعة أسماء فقط ، وذكر الحافظ ابن حجر في "الفتح" ١١:٣٩٦ أنَّ بعض العلماء جمعوا أسماء اليوم الآخر فبلغت ثمانين اسماً ، ثم عَقَّبَ الحافظ بقوله: "ولو تتبع مثل هذا من القرآن زاد على ما ذُكِر" انتهى .ويقول القرطبي في "التذكرة" ص ٢٦٠: "كل ما عظُم شأنه تعددت صِفاته ، وكثُرَت أسماؤه.. فالقيامة لَمَّا عظُمَ أمرها ، وكثُرَت أهوالها سمَّاها الله تعالى في كتابه بأسماء عديدة ، ووصفها بأوصاف كثيرة" .

وتبيّن ما يقع فيه ؛ لإيقاظ القلوب النائمة ، وتنبيه النفوس الغافلة ، ومن أشهر تلك الأسماء:

١- يوم القيامة:

ففيه يقوم الناسُ لرَب العالمين . قال تعالى: ﴿**وَيَوْمَ القِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلى أَشَدِّ العذابِ وَمَا ا للهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُون**﴾ [البقرة: ٨٥] .

٢- يوم الدين:

أي يوم الجزاء ، فيه تُجزى كلُّ نفسٍ بما كَسَبَتْ . قال تعالى: ﴿**مَالِكِ يَوْمِ الدِّين**﴾ [الفاتحة: ٣] ، وقال سبحانه: ﴿**يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ا للهُ دِينَهُمُ الحَقّ**﴾ [سورة النور: ٢٥] . أي جزاءهم العادل .

٣- يوم البعث:

حيث يخرج الناس من قبورهم سِراعاً ليُوَفَّوْا جزاء أعمالهم ، قال تعالى: ﴿**يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ا للهُ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ ا للهُ وَنَسُوه**﴾ [المجادلة: ٦] ، ﴿**فَهَـذَا يَوْمُ البَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُون**﴾ [الروم: ٥٦] .

٤- يوم الجمع:

حيث يَجمعُ ا لله فيه الأوَّلين والآخرين. ﴿وَتُنـذِرَ يَــوْمَ الجَمْــعِ لا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ في الجَنَّةِ وَفَرِيقٌ في السَّعِيرِ﴾ [الشورى: ٧] .

٥- يوم التغابن:

ذلك يومٌ يتبيَّنُ فيه الناس أنهم غبنوا أنفسهم.

﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ[1]﴾ [التغابن: ٩] .

٦- يوم الحَسْرة:

حيث تتقطع قلوب أهل النـار مـن حسـراتها بعـد فصـل القضـاء ، وحين ينادي المنادي: يا أهل الجنة خلودٌ بلا موت ، ويا أهل النـار خلودٌ بلا موت .

قال تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُـمْ في غَفْلَـة وَّهُمْ لا يُؤْمِنُون﴾ [مريم: ٣٩] .

---

(١) **التغابن**: من الغبن وهو فوتُ الحـظ ، فيظهـر غـبن كـل كـافر بتركـه الإيمـان ، ويظهرُ غبن كل مؤمنٍ بتقصيره في الإحسان .

٧- يوم التلاق:

حيث تتقابل تلك الحشود الهائلة من الخلق ، ويلتقي أهل الأرض وأهل السماء بخالقهم في موقف الحساب بلا ستر ولا خفاء ، ليستقبل كلٌّ عاملٍ عملَه ، ويقرأ كتابَه .

قال تعالى: ﴿**يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلاقِ يَوْمَ هُم بَارِزُونَ لا يَخْفَى عَلَى اللهِ مِنْهُمْ شَيءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ للهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ**﴾ (١) [غافر: ١٥-١٦] .

ومن أسمائه أيضاً:

الحاقَّة ، والقارعة ، والواقعة ، والغاشية ، والطامَّة الكبرى والصَّاخَّة .

مِحورُ الإيمان:

الإيمانُ با لله واليوم الآخر هما محور الإيمان وأساسُ العمل الصالح ، فالإيمانُ با لله: إيمانٌ بمصدرِ هذا الوجود ، خالقِهِ ومدبِّره .

والإيمانُ باليوم الآخر: إيمانٌ بغايةِ هذا الوجود ونهايته ، وأنَّ إلى ربك المنتهى ، وإلى ا لله المصير .

---

(١) **يُلقِي الروح:** يُنزل الوحي ، وسمَّاه روحاً لأنَّ بِهِ تحيا الأرواح.

المناقشة

س١- ما اليوم الآخر؟ وما حكم الإيمان به؟

س٢- لماذا سمَّى ا لله سبحانه اليوم الآخر بأسماء كثيرة؟

س٣- اذكر خمسة من أسماء اليوم الآخر؟

س٤- بيّن معاني الأسماء الآتية:

يوم الدين - يوم الجَمع - يوم التغابن .

س٥- الإيمان با لله واليوم الآخر هما محوَر الإيمان ، وأساس العمل الصالح ، وضّح ذلك؟

س٦- اذكر دليلاً لكلٍّ من الأسماء الآتية:

١- يوم البعث .

٢- يوم الحسرة .

٣- يوم التلاق .

الدرسُ الثاني والأربعون

عنايةُ القرآن باليوم الآخر

الإيمانُ باليومِ الآخرِ ركنٌ من أركـان الإيمـان ، وأصـلٌ مـن أصـول الدين ، وقد عُنِيَ القرآنُ بتقريره ، وتأكيد أهميَّته ، كعنايته بتقرير الإيمـان با لله وتوحيده .

وتبدو هذه العنايةُ والاهتمام من وجوهٍ كثيرةٍ أهمها:

أولاً: ربطُه بالإيمان با للهِ تعـالى: فيـأتي ذِكْـرُ الإيمـان بـاليومِ الآخـر – غالباً– بعد الإيمان با لله تعالى ، تأكيداً لأهميته ، وبياناً لمنزلتـه ، ولنقرأ هذه الآيات:

﴿وَلَكِنَّ البِرَّ مَنْ آمَنَ با للهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ﴾ [البقرة: ١٧٧].

﴿ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِـنُ بِـا للهِ وَاليَـوْمِ الآخِـرِ﴾ [البقرة: ٢٣٢] .

﴿إِنَّمَـا يَعْمُـرُ مَسَـاجِدَ ا للهِ مَـنْ آمَـنَ بِـا للهِ وَاليَــوْمِ الآخِــرِ﴾ [التوبة: ١٨] .

ثـانيـاً: إكثارُ القرآن من ذِكْرِه ليقربَه إلى الأذهان ، ويثبتَه في القلوب ، كـلُّ ذلـك بشُـمُولِيَّةٍ واسـعةٍ ، فقـد ذَكَـرَ القـرآن: المـوتَ ، والبعثَ ، والحشرَ ، والصحفَ ، والصراطَ ، والميزانَ ، والجنَّةَ ،

والنارَ.. ولا تكاد تخلو سورةٌ من سوَرِ القرآن من ذِكْرِ لهذا اليومِ ، وما فيه من ثوابٍ وعِقاب .

ثالثاً: تصويرُ القرآنِ الكريم هذا اليومَ بآياتِهِ تصويراً يَخْلَعُ القلوب ، وَلْنقرأ هذه الآيات:

قال تعالى: ﴿**يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالفَرَاشِ المبْثُوثِ وَتكُونُ الجبالُ كَالعِهْنِ المنفُوش**[1]﴾ [القارعة: ٤-٥] .

وقال الله تعالى: ﴿**يَوْمَ يَنظُرُ المرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا**﴾ [النبأ: ٤٠] .

وقال سبحانه: ﴿**إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيءٌ عَظِيم يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كلُّ مُرضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكارَى وَمَا هُم بِسُكارى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيد**﴾ [الحج: ١-٢] .

وقال عزَّ وجَلّ: ﴿**يَوْمَ يَفِرُّ المرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيه**﴾ [عبس: ٣٤-٣٧] .

رابعاً: تسمية كثير من السُّوَرِ القرآنية بأسماء اليوم الآخر مثل سُوَرِ: (القيامة ، الواقعة ، الحاقَّة ، الغاشية ، القارعة..) .

---

(١) **المبثوث:** المتفرّق . **كالعهن المنفوش:** أي الصوف المتطاير عند الندف .

وتارةً تُسَمَّى السور بشيء من المظاهر الكونية الهائلة التي تقع في ذلك اليوم ، مثل سُوَرِ: (الدخان ، التكوير ، الانفطار ، الانشقاق ، الزلزلة) .

وتارةً تسَمّى السور ببعض مشاهد اليوم الآخر مثل سُوَرِ: (الأعراف ، الزمر ، الجاثية) حَتّى لا تغيب دلالتها وتذكرتها عن القلوب المؤمنة الواعية .

خامساً: عنايةُ القرآنِ بتقرير وقوعه ، وإقامةِ الأدِلَّةَ عليه ببراهين عقلية ، وحججٍ ملزِمة ، مثلما عُنِيَ بتقرير التوحيد وإثباته ، كما عُنِيَ بالرد على المنكرين لهذا اليوم العظيم ، وكشف شبهاتهم بما يدحضها .

سادساً: أنه اعتبر الإيمان باليومِ الآخر أساساً للإيمان بالقرآن ، وأصلاً للانتفاع بهدايته واتِّباع أوامره .

قال تعالى: **﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾** [الأنعام: ٩٢] .

﴿وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوا إِلى رَبِّهِمْ﴾ [الأنعام: ٥١] .

﴿فذَكِّرْ بِالقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [سورة ق: ٤٥] .

وأخيراً: كان آخر ما خُتِمَ به الوحي من آياتِ الكتاب العزيز التذكير

باليوم الآخر وما فيه من حسابٍ وجزاء .

قال تعالى: ﴿**واتَّقوا يوماً تُرجَعونَ فيهِ إلى اللهِ ثُمَّ توَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُون**﴾ [سورة البقرة: ٢٨١] .

ويرجعُ اهتمام القرآنِ باليومِ الآخر لأسبابٍ منها:

١- أَنَّ مشركي العرب كانوا ينكرونه ، لأنَّ الإقرار باليوم الآخر يعني تحمُّلَ المسؤولية ، ووجوبَ الاستعداد للحسابِ والجزاء ، وهذا ما يتهرَّب منه الكافرون ، لأنهم يريدون أن يطلِقوا لأهوائهم وشهواتهم العَنان .

قال تعالى: ﴿**وَقَالُوا مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنا الدُّنيا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْر**﴾ [الجاثية: ٢٤] .

وقد أطال القرآنُ في الردّ على شُبَهِ المشركين المستبعِدين للبعثِ بعد الموتِ ، كما سنُبيِّنُ ذلك .

٢- أَنَّ أهل الكتاب -اليهود والنَّصارى- قد بلغوا منتهى الفساد في تصوُّرِهم لليومِ الآخر ، وتحوَّل إلى وهمٍ من أوهامهم ، وأمنيةٍ زائفةٍ من أمانيهم يخدعون بها أنفسهم .

فقالوا: ﴿**لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاما مَّعْدُودَات وَّغَرَّهُمْ في دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُون**﴾ [آل عمران: ٢٤] .

وقالوا أيضاً: ﴿لَن يَّدخُلَ الجنَّةَ إلاَّ مَـن كَـانَ هُـوداً أَوْ نَصَـارَى﴾ [البقرة:١١١].

ولهذا أهدروا تكـاليف الشـريعة ، واسـتحَلُّوا محارمهـا ، وَوَلَغُـوا في الفُجـور إلى أقصـى الحـدود ، إذ أوهمـوا أنفسـهم أنهـم بمجـرَّدِ انتسابهم إلى اليهودية أو النصرانية فإنَّهُم يضمنونَ "الخـلاص" كمـا يسَمُّونه ، واستحقاق الجَنَّة .

ولهذا هدَّدَهم الله تعالى بقوله: ﴿قُلْ إن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآخِـرَةُ عِندَ الله خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوا الموْتَ إن كُنتُـمْ صَـادِقِينَ وَلَـن يَّتَمَنَّـوْهُ أبـدا بِمَـا قَدَّمَـتْ أَيْدِيهِـمْ وَالله عَلِيـمٌ بالظَّـالِمِينَ﴾ [البقرة: ٩٤-٩٥] .

وكان نتيجةُ ذلك أن عبَدوا الحياةَ الدنيا بعد أن أسقطوا الآخرة من حسـابهم: ﴿ولَتَجِدَنَّهُـمْ أَحْـرَصَ النَّـاسِ عَلَـى حَيَـاة وَّمِـنَ الَّذِيـنَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَـنَة وَّمَـا هُـوَ بِمُزَحْزِحِـهِ مِـنَ العَذَابِ أَن يُّعمَّر وَالله بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُون﴾ [البقرة: ٩٦] .

٣- ومِن حكمةِ الاهتمام البالغ بالتذكير بـاليومِ الآخـر ، كـثرةُ نسـيان البشر له ، وغفلتهم عنه ، بسبب حبّهم لمتاع الحياة الدنيا ، فيكون الإيمان به وبما فيه من عذابٍ ونعيم ، وخلودٍ في الجنـة أو خلـودٍ في

النار -والعياذ با لله- مخفِّفاً من الغلوّ في حــبّ الدنيـا ، ودافعـاً إلى التنافس في فعل الطاعات.

وما أهونَ هذه الدنيا وأقصرَ عمرَها في جانبِ ذلـك الخلـود الـذي ليس له نهاية .



المناقشة

س١- صوَّرَ القرآن اليومَ الآخر تصويراً يخلع القلوب ، اذكر ثلاث آياتٍ تدلُّ على ذلك؟

س٢- ما أساس الانتفاع بهداية القرآن واتّباع أوامره ، اذكر الدليل؟

س٣- لماذا أنكر مشركو العرب اليومَ الآخر؟

س٤- كيف تصوَّرَ أهلُ الكتابِ اليومَ الآخر ، وماذا نتج عن هذا التصوُّر؟

س٥- اذكر دليلاً لكلٍّ مما يلي:

أ - ربط القرآنُ بينَ الإيمانِ با لله تعالى واليوم الآخر .

ب- آخر الآيات التي خُتم بها القرآن .

جـ- تهديد ا لله سبحانه لليهود بِتَمَنِّي الموت .

س٦- اذكر ثلاثة أمثلة لكلٍّ مما يلي:

أ - تسمية بعضِ السور القرآنية بأسماء اليوم الآخر .

ب- تسمية بعض السُّوَر بالمظاهر الكونية التي تقع في اليوم الآخر .

جـ- تسمية بعض السُّوَر ببعض مشاهد اليوم الآخر.

الدرسُ الثالث والأربعون

أدِلَّةُ إثباتِ اليومِ الآخر

الأدلة على ثبوت اليوم الآخر كثيرةٌ ينطق بها كل مـا في الوجـود ، وتقضي بها شهادة النقل والعقل.

١ – أمَّا النقل:

فقد ثبت بالكتابِ والسُّنَّةِ أَنَّ اليومَ الآخر حقٌّ واقعٌ لا ريبَ فيه .

أما الكتاب فمنه قوله تعالى: ﴿**وَلَكِنَّ البِرَّ مَـنْ آمَـنَ بِـا للهِ وَاليَـوْمِ الآخِرِ**﴾ [البقرة: ١٧٧] .

وقوله تعالى: ﴿**قُـلْ بَلَـى وَرَبـي لَتُبْعَثُـنَّ ثُـمَّ لَتُنَبَّـؤُنَّ بِمَـا عَمِلْتُـمْ**﴾ [التغابن: ٧] .

وأمَّا السُّنَّة ، فمنها مـا ورد في حديـث جـبريل: "الإيمـان أن تؤمـن با لله وملائكَتِهِ وكُتُبِهِ ورُسُلِهِ واليومِ الآخِرِ" .

٢– وأمَّا العقل:

فَإِنَّهُ يقضي بِأَنَّ ا لله سُبْحَانَهُ بقدرتِهِ الفائقة وحكمتـه البالغـة القـائِم على تدبيرِ هذا الوجود بهذه الدقة التامَّةِ والعنايةِ الكاملة ، لا يمكن

أن يُسَوّيَ بين المحسنِ والمسيء ، وبين الظالم والمظلـوم ، وبـين مَـن عاش عُمُرَهُ لفعلِ الخيرات وعمـلِ الصالحـاتِ ، و لم يلـقَ إلاَّ التنكُّـرَ والاضطهاد ، ومَـن عـاش عمـره في ارتكـابِ المحرَّمَـات ، وإشـاعة المنكرات ، ومع هذا لم يلق جزاءه العادل في الدنيا .

إننا نرى في حياتنا هذه بأعيننا جُنـاةً طـاغين ؛ يعيشـونَ نـاعمين ، ويموتـون ظـالمين ، ونـرى مؤمنـين مظلومـين ؛ يعيشـون بائسـين ، ويموتون مقهورين ، فهل ينتهي الأمر بهذا؟

إنه إذا لم يكن هناك يوم يُنْصَفُ فيه المظلومُ من ظالِمِـه ، ويسـتوفى له الحق منه ، كان خالق الكون ظالماً وعابثاً ، تعالى الله عـن ذلـك عُلُوّاً كبيراً .

قال الله تعالى: **﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُون فَتَعَالَى اللهُ المَلِكُ الحَقّ﴾** [المؤمنون: ١١٥-١١٦] .

فلا بُدَّ من يومٍ يظهر فيه الحق ، ويتحقَّقَ فيه العدل .

إنَّ العدالة الإلهية تقضي أن ينـال الصـالحون ثـوابَ أعمـالهم الـذي حُرِموه في الدنيا ، وأن لا يفلت الأشرار العصاة من العقـاب الـذي يستحقُّونه جزاء ما ارتكبوه من منكرات في حياتهم .

قـال الله تعـالى: **﴿أَفَنَجْعَلُ المسْلِمِينَ كَالمجْرِمِينَ مَالَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُون﴾** [القلم: ٣٥-٣٦] .

وقال سبحانه: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالمفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ المتَّقِين كَالفُجَّار﴾ [سورة ص: ٢٨].

❀❀❀

ثمراتُ الإيمان باليومِ الآخر

إنَّ للإيمانِ باليومِ الآخر ثمراتٍ طيّبَةً ، وآثاراً حسنةً في حياة البشر ، ومن أظهر آثارِه ، وأطيَبِ ثِماره:

١- أَنَّ الإيمان باليوم الآخر يجعلُ لحياةِ الإنسان هدفاً ، ولوجوده غاية ، فالله سبحانه لم يخلق الإنسان عبثاً ، ولم يتركه سُدىً ، وإنما خلقه لهدفٍ وغاية .

قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الموْتَ وَالحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ [سورة تبارك: ٢].

وأمَّا إنكار هذا اليوم وجحودُه ، والاعتقاد بِأَنَّ حياة الإنسان على الأرض لا يعقبها حياةٌ أخرى ، فهو يجعل حياةَ الإنسان أشبه بحياة الأنعام ؛ فيعيش بلا هدف ، ولا يدرك سرَّ وجوده .

قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُترَكَ سُدَى﴾ [القيامة: ٣٦].

٢- أنه يَحُدُّ كثيراً من شرور الإنسان ، ويمنعه من الاسترسال في

ظُلْمِه ، لأنه يعتقد أنـه محاسَـبٌ علـى عملـه ، مَجْـزِيٌّ عنـه ، ولـن يُفلـتَ مـن عـذاب ا لله وانتقامـه ، ولـولاه لكـانَ الإنسـانُ أشـبهَ بالوحش المفترس .

٣- أنَّ الإيمانَ باليوم الآخر أكبرُ باعثٍ علـى فعـل الخـير والإكثـارِ منـه والمسابقةِ فيه ، ولو كلَّفَهُ نفسَهُ وولـدَهُ ومالَـهُ ، لأنـه ينتظـر الجـزاء والمثوبة من ا لله سبحانه .

وإليكَ بعضَ الأمثلة التي تدلُّ على أثَرِ الإيمانِ باليومِ الآخـر في بـذل المالِ والنفس في مرضاةِ ا لله عزَّ وجَلّ:

أ - فهذا الصحابيُّ الجليل أبو طلحة زيد بن سـهل الأنصـاري يَقْدُمُ إلى رسول ا لله ﷺ فيقول له: يا رسـولَ ا لله ، إنَّ ا لله تعالى يقول: **﴿لَن تَنـالُوا الـبِرَّ حَتَّـى تُنفِقـوا ممـا تُحِبُّـون﴾** [آل عمران: ٩٢] اللهم إنَّ أحَبَّ أموالي إليَّ بَيْرُحَاء ، وإنَّهـا صدقةٌ أرجو برَّها وذُخْرَهَا عند ا لله ، فضَعْها يا رسولَ ا لله حيثُ أراكَ ا لله فقال ﷺ "بَخٍ بخٍ ذاكَ مالٌ رابح" (١) .

إنَّ الَّذِي دفعَ أبا طلحـة لأن يتنـازلَ عـن بسـتانه الجميـل ، وهو أحبُّ أمواله إليه: إيمانه باليومِ الآخـر ، ويقينـه بثـوابِ ا لله تعالى في ذلكَ اليوم .

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٦١) ومسلم (٩٩٨) ، كلاهما في كتاب الزكاة .

ب - وهذا عُمَيْرُ بن الحُمَام الأنصاري يستعجلُ المـوتَ طلباً لِما عندَ اللهِ تعالى ، لَمَّا سمعَ رسـولَ الله ﷺ يقـول يـوم بـدر: "قوموا إلى جنَّةٍ عرضها السمواتُ والأرض" قال: بَخٍ بَخٍ يا رسول الله ، قال رسول الله ﷺ: "ما يحملكُ على قولِ بَخٍ بَخٍ؟ قال: لا واللهِ يـا رسـولَ اللهِ إلاَّ رجـاءَ أن أكـونَ مـن أهلها ، قال: "فإنَّكَ من أهلها" ، قال: فاخترجَ تمـراتٍ مـن قرنه ، فجعل يأكلُ منها ، ثُـمَّ قـال: لئن أنـا حَييـتُ حَتَّـى آكلَ تمراتي هذه إنها لحَياةٌ طويلة ، قال: فرَمى ما كان معه من التمر ، ثُمَّ قاتلهم حَتَّى قُتِل" [١] .

٤- أنَّ الإيمان باليوم الآخر أكبر معـينٍ للإنسـانِ علـى تخفيـف الآلام ، وتهوين المصائب الـتي تـنزل بـالمرء في حياتـه ، وجَعْلِهِ قـادراً علـى احتمالها ، فـلا ينهـار تحـت وطأتهـا ، ولا يحطِّمـه اليـأس عنـد وقوعها .

وهـذِهِ الخنسـاء الـتي مـلأتِ الدنيـا في جاهِلِيَّتِهـا بكـاءً وعويـلاً علـى أخيهـا صخـر ، تقـول في إسـلامها حـين قُتِـلَ أولادهـا

(١) أخرجه مسلم (١٩٠١) ، وكلمـة: بَـخٍ بَـخٍ تقـالُ للتعجُّـبِ مـن الشـيء لمدحِهِ واستعظامه ، وتُكَرَّرُ للمبالغة ، **فاخترج**: أي أخرج ، **قرنه**: أي جعبة تتخذ مـن جلدٍ تخزنُ فيها السهام .

جميعاً: "الحمـــد لله الَّـذِي شرَّفَني بقتلهـم وأرجـو أن يجمعَـني بهـم يومَ القيامة" .

فمـا أطيـبَ ثمـراتِ الإيمـان بـاليومِ الآخـر ، ومـا أعظـمَ تأثـــيره في النفوس .



المناقشة

س١- اذكر الدليل النقلي على ثبوت اليوم الآخر؟

س٢- اذكر الدليل العقلي على ثبوت اليوم الآخر؟

س٣- لماذا يحدُّ اليوم الآخر من شرّ الإنسانِ وظلمه؟

س٤- الإيمانُ باليومِ الآخر يجعل للإنسان هدفاً ، ولوجوده غايــةً ، وضّح ذلك ؟

س٥- الإيمان باليوم الآخر أكبر باعثٍ على بذلِ المالِ والنفــس في مرضـاةِ الله ، اذكر مثالين يدلاَّنِ على ذلك؟

س٦- اذكر دليلاً لكلٍّ مما يلي:

أ - تنزُّه الله عن العبث في خلقه .

ب- عدم المساواة بين المؤمنين والمفسدين .

جـ- خَلَقَ الله الإنسانَ لهدفٍ وغاية .

الدرسُ الرابع والأربعون

أوَّلُ منازلِ الآخرة

الموت:

يبدأ اليـوم الآخـر بالنسـبة للإنسـان بـالموت ، والمـوتُ هـو مفارقـةُ الروحِ للجسـد ، وهـو أولُ مـنزلٍ مـن منـازل الآخـرة ، والمـوتُ حقيقـةٌ مشاهَدَةٌ محسوسة ، وكلُّ إنسانٍ يوقِن أنه سيموت ، فهذا الإنسـانُ الـذي يَتَحَرَّكُ ويعمـل ، ويـأكل ويشـرب ، ويكتـب ويقـرأ.. تـأتي عليـه لحظـة ينقلب إلى جثَّةٍ هامدة لا حِراكَ فيها..

والإنسانُ ينسى الموت فيشقى ويَطْغى ، لكنه إذا ذَكَرَ الموتَ اتَّعـظَ واعتبر .

وفي الحديث أَنَّ عثمانَ بن عفَّان ﷺ كانت تُذْكَرُ أمامه الجَنَّةُ والنار فلا يبكي ، فإذا ذُكِرَ القبر بكـى ، ثُـمَّ لا يكـون لبكائـه حـدٌّ ، فسُئِل في ذلك فقال: سمعت رسول ا لله ﷺ يقول: "إنَّ القبرَ أوَّلُ مـنزلٍ مـن منـازل الآخرة ، فإن نجا منه فما بعدَهُ أيسرُ منه ، وإن لم ينجُ منه فما بعـده أشَـدُّ منه"[1].

---

(١) رواه الترمذي (٢٣٠٨) في كتاب الزهد ، وقال: هَذَا حديثٌ غريب .

وكان يتمثل بقول الشاعر:

فإن تَنْجُ منها تَنْجُ من ذي عظيمةٍ وإلاَّ فإنـــي لا إخالُكَ ناجيـــا

القبرُ والبَرْزَخ:

وهي المرحلة التي تأتي بعد الموت مباشـرة ، وفيهـا يُحْجَـبُ جسَـدُ الميت ويُحالُ بينه وبين الدنيا ؛ فلا يرجع إليها ، وهذا الحائل ، هـو الـذي يسمَّى (البرزخ) .

قـال تعـالى: ﴿وَمِـن وَرَائِهِـم بَـرْزَخٌ إِلَى يَـوْمِ يُبعَثـون﴾ [المؤمنــون: ١٠٠].

وعـالَم الـبرزخ هـو المـدة الواقعـة بـين مـوتِ الإنســان وخروجــه من القبر .

فتنةُ القبر:

وعندما يُوضع الإنسان في القبر يجري سؤالُه بعد دفنه عن ربّه ودينه ونَبيّه ، فيثبّتُ الله الَّذِينَ آمنوا بالقولِ الثابت ، فيقول المؤمـن: ربـيَ الله ، وديني الإسلام ، ونبيي محمد ﷺ .

ويُضِلُّ الله الكافرين والمنافقين ، فيقول الكافر: هَاهْ هَـاهْ لا أدري ،

ويقول المنافق أو المرتاب: لا أَدْرِي ، سمعت الناس يقولون شيئاً فقُلْتُه .

عذابُ القبر ونعيمُه:

فأمَّا عذاب القبر فيكون للكافرين والمنافقين والعاصين .

قال تعالى في قومِ نوح: ﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَاراً فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ ا للهِ أَنصَارًا﴾ (١) [سورة نوح: ٢٥] .

وَقال تعالى في آلِ فرعون: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَّعَشِيّا وَّيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ العَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦] .

فالعرضُ على النار في عالم البرزخ قبل قيامِ الساعة .

وأمَّا نعيم القبر فللمؤمنين الصالحين .

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قالوا رَبُّنا ا للهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الملائِكَةُ أَلاَّ تخَافُوا وَلاَ تحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالجنَّةِ التي كُنتُمْ تُوعَدُون﴾ [فصلت: ٣٠] .

وعن البراء بن عازبٍ أَنَّ النبي ﷺ قال في المؤمن إذا أجابَ المَلَكين

---

(١) **أُغرِقوا فأُدخِلوا:** عُطِفَ إدخالُ النار على الإغراق بالفاء التي تفيد الترتيب والتعقيب بلا مهلة ، وهذا يدل على أنَّ ذلك في القبر .

في قبره: "فينادِي منادٍ من السماء: أَنْ صَدَقَ عبدي ، فافرُشوهُ من الجنَّـةِ ، وألبِسوه من الجنَّة ، وافتحوا لـه باباً إلى الجنـة . قـال: فيأتيـه مـن رَوْحِهـا وطِيبِها ، ويُفسَحُ له في قبره مَدَّ بصَرِه" (١).

۞۞۞

(١) رواه أحمد ٤:٢٨٧ و ٢٩٥-٢٩٦ وأبو داود (٤٧٥٣) في كتاب السنَّة من حديث البراء بن عازب . **والمدُّ:** القدرُ والغاية ، أي يُفسَحُ له في قبره إلى منتهى مَد بصَرِه .

المناقشة

س١- ما أول منزل من منازل الآخرة ؟

س٢- ما فائدة ذِكر الموت؟

س٣- ما سرُّ بكاء عثمان رضي ا لله عنه إذا ذُكرَ أمامه القبر؟

س٤- ما المرحلة التي تأتي بعد الموت مباشرةً؟

س٥- ماذا يجري على الإنسان بعد وضعه في القبر ، وما حال المؤمنين والكافرين؟

س٦- لمن يكون عذاب القبر ونعيمه؟

س٧- اذكر دليلاً لكلٍّ مما يلي:

أ - يحالُ بين الميت وبين خروجه من القبر بحاجزٍ يسَمَّى البرزخ .

ب- يعرض الكفار على النار في عالم البرزخ قبل قيام الساعة .

جـ- يُنَعَّمُ المؤمنون الصالحون في قبورهم .

الدرسُ الخامس والأربعون

أشراطُ السَّاعة

ما معنى الساعة؟:

"الساعةُ: في الأصل هي الجزء من الليـل أو النهـار . ويُقـالُ أيضـاً: ساعةُ كلّ شيءٍ هي أوان زواله وبطلانه .

وهي بهذا المعنى نوعان:

ساعةٌ خاصة: لكـلّ كـائنٍ . فالنبـاتُ حـينَ تذهـبُ نضارتُـه ، والإنسان إذا حانت مَنِيَّته ، والأُمَّةُ إذا جاءَ أجَلُها . كلُّ أولئـك يُقـالُ لـه: قد أتت ساعته .

وساعةٌ عامة: للدنيا كلِّها حـين يُنفَـخُ في الصُّـورِ ، فيُصْعَـقُ مَـن في السموات ومن في الأرض ، ثُمَّ يُنفَخُ فيه أخرى فـإذا هُـم قيـامٌ ينظـرون ، وتُبَدَّلُ الأرضُ غير الأرض ، والسموات ، وبَرَزُوا للهِ الواحدِ القهار" [1] .

متى تقوم السَّاعة؟

إنَّ قيام الساعة من الأمور الغيْبِيَّةِ التي لا يعلمُها إلاَّ الله ، ولم يُطْلِـع

---

(١) المختار من كنوز السُّنة – ص٢٩١ .

عليها أحداً من خلقه ، لا نبيّاً مُرسَلاً ولا مَلَكاً مقرَّباً .

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤] .

ولقد كان الناسُ يسألون رسولَ الله ﷺ عنها ، فأمره الله أن يرُدَّ عِلْمَها إليه وحدَه .

قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ [فصلت: ٤٧] .

وقال سبحانه: ﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبا﴾ [الأحزاب: ٦٣] .

وقد قال النبيُّ ﷺ لجبريلَ حين سأله عن الساعة متى هي؟: "ما المسؤول عنها بأعلمَ من السائل" .

ما أشراطُ السَّاعة؟

لقد أخفى اللهُ علمَ الساعة عنِ الناس ، وبيَّنَ أنها تقع فَجْأَةً ، وتأتي بَغْتَةً فقال سبحانه: ﴿لا تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَة﴾ [الأعراف: ١٨٧] .

ومع هذا فَإِنَّ الله تعالى برحمته قد جعل لها علاماتٍ تدُلُّ عليها وأماراتٍ ترشد إليها .

قال سبحانه: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ

أَشْرَاطُهَا﴾ [محمد: ١٨] .

فأشراط الساعة هي علاماتها التي تدلُّ عليها ، وهذه الأشراطُ أو العلاماتُ نوعان: علاماتٌ صُغْرى ، وعلاماتٌ كُبرى .

النوع الأول: علاماتٌ صُغْرى

مثل:

١- **بِعْثَةُ رسول الله ﷺ** ، فعن أنسٍ رضي الله عنه أَنَّ النبيَّ ﷺ قال: "بُعِثْتُ أنا والساعةُ كهاتين" -وأشار بالسَّبَّابةِ والوُسْطى-[(١)] .

والمعنى: أنه ﷺ ليس بينه وبين الساعة نبيٌّ آخر ، فهي تليه وتأتي بعده .

٢- **أن تضيع الأمانة ، فتكون ولاية أمور الناس بأيدٍ غير أمينة .**

روى البخاري عن أبي هريرة أَنَّ رجُلاً جاء يسأل النبيَّ ﷺ عن الساعة ، فقال له: "إذا ضُيعَتِ الأمانةُ فانتظر الساعة" ، قال: وكيف إضاعتُها؟ قال: "إذا وُسِّدَ الأمرُ إلى غيرِ أهله

(١) رواه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة (٢٩٥١) عن أنس ﷺ .

فانتظر الساعة"[1] .

٣- أن يصبح رُعاةُ الغنم من أصحاب الثروة والقصور العالية .

ففي حديث جبريل المشهور أنه سأل الرسولَ ﷺ عن الساعة فقال: "ما المسؤولُ عنها بأعلمَ من السائل" .

قال: فأخبرني عن أماراتها .

قال: "أن تَلِدَ الأمَـةُ ربَّتَهـا ، وأن تَـرَى الحُفَـاةَ العُـراةَ العالَـةَ رِعاءَ الشَّاء يَتطَاوَلُونَ في البُنيان" [2] .

"وهذا كُلُّه من انقـلاب الحقـائق في آخـرِ الزَّمـانِ وانعكـاسِ الأمور" [3].

---

(١) رواه البخاري في كتاب ا لعلـم (٥٩) وكتـاب الرقـاق (٦٤٩٦) . **وُسِّدَ**: أي أُسنِدَ وجُعِلَ في غيرِ أهلـه ، يعـني إذا سُوِّدَ وشُرِّفَ غـيرُ المستحقِّ للسِّـيادةِ والشرف . كما في "النهاية" ٥:١٨٣ .

(٢) رواه مسلم في كتاب الإيمان (٨) من حديـث عمـر بـن الخطـاب ﷺ . ومعنـى **ربَّتَها**: سيِّدَتَها ومالِكَتَها ، وفي رواية: ربَّها ، أي: سَيِّدها ومالكها ، والمـراد أن يكثرَ العقوقُ في الأولادِ ، فيُعامِلَ الولـدُ أُمَّـهُ معاملـةَ السـيِّدِ أمَتَـهُ ، مـن الإهانـةِ بالسَّبِّ والضرب والاستخدام ، **والعالة**: جمعُ عائلٍ ، وهو الفقير كثـيرُ العيـال ، و **رعاء**: جمع راعٍ ، و **الشاء**: جمع شاة .

(٣) جامع العلوم والحِكَم ١:١٤٠ .

ومعنى هذا: "انقلابٌ في القِيَمِ الاجتماعية ، حَتَّـى إِنَّ المـرأة لا تلد أولاداً يبَرُّونها ، بل سادةً يتسلَّطون ويتعالَوْن عليها .

وانقلابٌ في القِيَمِ الاقتصادية ، حَتَّى يصبحَ أهـل البـداوةِ والجفاء والعُري من أصحاب القصور نتيجةَ الثرواتِ المفاجئـة الـتي تُصَبُّ عليهم صبّاً دون جُهْدٍ يُذْكَرُ منهم كما هو حادِثٌ في بعض الأقطار اليوم" [١] .

۞۞۞

(١) السُّنّة مصدراً للمعرفة والحضارة ، للدكتور القرضاوي ص ١٤٤ .

المناقشة

س١- ما معنى الساعة؟ وما أنواعها؟

س٢- متى تقوم الساعة؟

س٣- كيف تقع الساعة؟

س٤- ما معنى أشراط الساعة ، وما أنواعها؟

س٥- اذكر ثلاثاً من علامات الساعة الصغرى؟

س٦- اذكر دليلاً لكلٍّ مما يلي:

أ - لا يعلمُ أحدٌ بموعدِ الساعة .

ب- للساعة علاماتٌ تدلُّ عليها .

جـ- بعثة الرسول ﷺ من أشراطِ الساعة .

د - ضياعُ الأمانة من أشراطِ الساعة .

الدرسُ السادس والأربعون

النوع الثاني: علاماتُ السَّاعةِ الكُبرى

حين يأذنُ الله بنهاية العالم وفناءِ الكون: تَحْدُثُ أحداثٌ عجيبةٌ خارجةٌ عن مألوفِ الناسِ تكون نذيراً لهم بقيام الساعة ، ومن تلك العلاماتِ الكبرى:

١- **خروج المسيح الدَّجَّال:** وهو رَجُلٌ أعور مَمْسُوحُ العَين اليُمنى ، مكتوبٌ بين عينيه كافر ، يدَّعي الإلَهِيَّة ، ويَفتِنُ الناسَ عن دينهم بما يظهر على يديه من خوارق العادات التي تَبْهَرُ العقول وتُحَيِّر الألباب ، ويَتَمَكَّنُ من إضلال ضعافِ الإيمان ، ويُثَبِّتُ الله الَّذِينَ آمنوا ، فلا يُخدَعون بأضاليله ، ويزدادون بصيرةً بأمره .

وقد تكاثَرتِ الأحاديث في التحذير من فتنته وغَوايته .

٢- **نزول عيسى عليه السلام من السماء:** أثناء وجود الدجال ، ويكون على يديه هلاكه ، ويحكم بين الناس بشريعة الإسلام ، ويَكْسِرُ الصليبَ ، ويَقْتُلُ الخنزير ، فتمتلئ الأرض أمناً وعدلاً بعد أن مُلِئَت ظُلماً وجَوْراً ، ويَعُمُّ الخير ، وتُنزَعُ العداوة من قلوب الناس فلا يوجد بين اثنين عداوة .

قال الله تعالى في عيسى عليه السلام: ﴿**وإنَّهُ لَعِلْمٌ للسَّاعةِ فلا**

﴿تَمْتَرُنَّ بِها﴾[1] [الزخرف: ٦١] .

وقال سبحانه: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الكِتابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ القِيامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً﴾[2] [النساء: ١٥٩] .

وعن أبي هريرة أَنَّ النبي ﷺ قال: "والذي نفسي بيده ، لَيُوشِكَنَّ أن ينزلَ فيكم ابنُ مريم حَكَماً مُقسِطاً ، فيكسِرُ الصليبَ ، ويقتُلُ الخنزيرَ ، وَيَضَعُ الجِزيةَ ، ويَفيضُ المال ، حَتَّى لا يقبلَهُ أحدٌ ، وَحَتَّى تكونَ السجدةُ الواحدةُ خيراً من الدنيا وما فيها" [3].

٣- خروج يأجوج ومأجوج:

قال الله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ وَاقْتَرَبَ الوَعْدُ الحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ

---

(١) يعني أَنَّ نزول عيسى عليه السلام من أشراط الساعة ، **فلا تمترُنَّ بها**: أي لا تشكُّون فيها .

(٢) أي ما من أحدٍ من أهل الكتاب إِلاَّ لَيُؤمِنَنَّ بعيسى قبل موت عيسى ، وذلك عند نزوله من السماء في آخر الزمان ، وانظر: "تفسير الخازن" ١:٤١٤.

(٣) رواه البخاري (٢٢٢٢) و (٢٤٧٦) و (٣٤٤٨) و (٣٤٤٩) ، ومسلم (١٥٥) عن أبي هريرة ﷺ .

الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[1] [الأنبياء: ٩٦-٩٧] .

والقرآن وصَفَ لنا هؤلاء القوم في قِصَّةِ ذي القرنين في سورة الكهف: **﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّين وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْماً لاَّ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً قَالُوا يَا ذَا القَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً عَلَى أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا..﴾**[2] [الكهف: ٩٣-٩٤].

فيأجوجُ ومأجوجُ أقوامٌ جاهلون مفسدون ، وقد جعل ذو القرنينِ أمامهم سَدّاً ، وهذا السَّدُّ سيُدَكُّ ، وسيموجُ الناسُ بعضهم في بعض إيذاناً بقرب الساعة: **﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَان وَعْدُ رَبِّي حَقّاً وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذ يَمُوجُ فِي بَعْض وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعاً﴾**[3] [الكهف: ٩٨-٩٩].

ووجودهم الآن غيبٌ لا يعلمُهُ إِلاَّ الله سبحانه .

---

(١) **حدبٍ:** نَشْز من الأرض ، أي ارتفاع ، **ينسِلون:** يسرعون النزول منَ الآكامِ والتِّلال ، والمراد بهم يأجوج ومأجوج ، **الوعدُ الحقُّ:** القيامة ، **شاخِصَةٌ:** أي مرتفعة الأجفان لا تكاد تطرف من هولِ ذلك اليوم .

(٢) **خَرجاً:** أي أجراً من المال .

(٣) **جعله دكّاء:** أي أرضاً ملساء ، **يموجُ في بعض:** أي يدخل بعضهم في بعض كموج الماء ، ويختلط بعضهم ببعض لكثرتهم .

٤- خروجُ دابَّةٍ من الأرض تكلِّمُ الناس:

قـال الله تعـالى: ﴿وَإِذَا وَقَـعَ القَـوْلُ عَلَيْهِـمْ أَخْرَجْنَـا لَهُـمْ دَابَّـةً مِّـنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُـم أَنَّ النَّـاسَ كَـانُوا بِآيَاتِنَـا لاَ يُوقِنُـونَ﴾[1] [النَّمل: ٨٢].

وخروج تلك الدابَّةِ غيبٌ من الغُيوب ، نؤمـنُ بـه ، وليـس لنـا أن نبحثَ عمَّا وراءه من الغرائب والعجائب التي لَمْ تَرِدْ في القـرآن أو السُّنَّةِ الصحيحة.

وخروجُ الدابَّةِ أولُ الآياتِ الأرضية ، كما أَنَّ طلوعَ الشـمسِ مـن مغربِها على خلافِ عادتها المألوفة أولُ الآياتِ السماوية .

روى مسلمٌ عن عبدالله بـن عمـرو قـال: سمعـتُ رسـولَ الله ﷺ يقـول: "إنَّ أولَ الآيـاتِ خروجـاً طلـوعُ الشـمسِ مـن مغربهـا ، وخروجُ الدابةِ على الناسِ ضحىً ، وأيُّهما ما كانت قبل صاحبتهـا فالأخرى على إثرِها قريباً"[2] .

"أي أول الآيات التي ليست مألوفة ، وإن كـان الدجَّـالُ ، ونـزول

---

(١) **وإذا وقـعَ القـولُ عليهـم**: إذا وجـب عليهـم العـذاب ، **تُكَلِّمُهُـمْ**: أي بكـلامٍ فصيحٍ ، وقُرِئ: تَكْلِمُهُم بتخفيف اللام ، من الكَلْم وهـو الجـرح ، فهـي تكَلِّـمُ المؤمن ، وتَكْلِمُ الكافر .

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٤١) ، وأبو داود (٤٣١٠) ، وابن ماجه (٤٠٦٩) .

عيسى عليه السلام من السماء قبل ذلك ، وكذلك خروجُ يأجوجَ ومأجوجَ ، كلُّ ذلك أمورٌ مألوفةٌ ، لأنهم بشــرٌ ، مشـاهدةُ مثلهـم مألوفة ، بخلافِ خروجِ الدابة ، على شكلٍ غريـبٍ غـير مـألوف ، ثُمَّ مخاطبتها النـاس ، ووسمهـا إِيَّـاهم بالإيمـانِ أو الكفـر ، وكذلـك طلوعُ الشمس من مغربها فأمرٌ خارجٌ عن مجاري العادات" [1].

٥- طلوعُ الشَّمسِ من المغرب:

فعندما تَقْتَرِبُ الساعةُ يتغيَّرُ نظامُ الكـون ، وتظهـر فيـه آيـاتٌ غـير مألوفة للبشر على خلاف ما اعتادوه ، فَالشمسُ التي كـانت تطلـع من المشرق يراها الناس طالعةً مـن المغـرب ، فيبـادرون إلى الإيمـان ولكن بعد فوات الأوان، فعن أبي هريرة رضي ا لله عنه أَنَّ رســول ا لله ﷺ قال: "لا تقومُ الساعةُ حَتَّـى تَطْلُـعَ الشَّـمسُ مـن مَغْرِبِهَـا ، فإذا طَلَعَتْ ورآها النَّاسُ آمنوا أجمعون ، فذلك حين لا يَنْفَعُ نفسـاً إيمانُها لم تكن آمَنَتْ من قَبْلُ أو كَسَبَتْ في إيمانها خيراً" [2].

وهناك علاماتٌ أخرى غير ما ذُكر ، كظهورِ المهدي ، والدخان ،

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ٢:٧٥٨ .

(٢) رواه البخـاري (٥٣٦٤) و (٤٦٣٦) و (٦٥٠٦) ، ومسـلم (١٥٧) في كتـابِ الإيمان من حديثِ أبي هريرة .

وثلاثةُ خسوف: خسفٌ بالمشرقِ ، وخسفٌ بالمغرب ، وخسفٌ في جزيرةِ العرب ، وظهورُ نارٍ تحشر الناس[1] ، وهي متقاربةٌ جداً يعقِبُها نهايةُ الدنيا ، وموتُ جميعِ الخلائق .

۞۞۞

---

(١) كما جاءَ في حديث حذيفة بن أسيد ﷺ في صحيح مسلمٍ كتاب الفتن وأشراط الساعة (٢٩٠١) قال: اطَّلعَ النبيُّ ﷺ علينا ونحن نتذاكر الساعة ، فقال: "ما تذكرون"؟ قالوا: نذكرُ الساعة ، فقال: "إنها لن تقومَ حَتَّى ترونَ قبلها عشرَ آياتٍ: الدخان ، والدَّجّال ، والدَّابَّة ، وطلوعُ الشمس من مغربها ، ونزولُ عيسى ابن مريم ، ويأجوجُ ومأجوج ، وثلاثة خسوفٍ: خسفٌ بالمشرق، وخسفٌ بالمغرب ، وخسفٌ بجزيرةِ العرب ، وآخرُ ذلك نارٌ تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم" .

المناقشة

س١- اذكر خمساً من علامات الساعة الكبرى؟

س٢- ما صفات المسيح الدجال؟ وما أعماله؟

س٣- متى يكون نزول عيسى عليه السلام ؟ وما أهم أعماله؟

س٤- مَن هم يأجوج ومأجوج؟ ومن الذي جعل أمامهم السَّدَّ ، ومتى يُدَكُّ هذا السَّد؟

س٥- ما أوَّلُ الآياتِ الأرضية؟ وأوَّلُ الآياتِ السَّماوية؟

س٦- هل ينفع الإيمان صاحبه عند طلوع الشمس من مغربها؟

س٧- اذكر دليلاً لكلٍّ مما يلي:

أ - نزول عيسى عليه السلام .

ب- خروج يأجوج ومأجوج .

جـ- خروج دابةٍ من الأرض تكلم الناس .

الدرس السابع والأربعون

البعث

يبدأُ اليومُ الآخر بالبعث ، وهو إخراجُ ا للهِ تعالى الموتى من قبورهم بعد إعادة الحياة إليهم ، حيث يُنشِئُهُمُ ا للهُ النَّشْأَةَ الأُخْرَى .

النفخُ في الصُّور:

ويبدأُ البعث بالنفخِ في الصُّور نفخة البعث ، فيخرج الناسُ من قبورهم لموقفِ الحساب وفَصْلِ القضاء .

يقول ا لله تعالى: ﴿**وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِنَ الأَجْدَاثِ إِلَى رَبِهِمْ يَنْسِلُونَ قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُون**﴾[1] [يس: ٥١-٥٢] .

والصُّور:

قرنٌ يَنفُخُ فيه إسرافيل النفخةَ الأولى فَتَموتُ الخلائق جميعاً ، ثُمَّ

---

(١) **وَنُفِخَ فِي الصُّورِ:** هذه هي النفخة الثانية ، وهي نفخة البعث . **الأَجْدَاث:** القبور . **يَنسِلُونَ:** يخرجون منها أحياء .

يَنفُخُ فيه مَرَّةً أخرى فيكون البعثُ وإحياءُ الخلائق من جديد .

يقول سبحانه: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾[1] [الزُّمَر: ٦٨].

استِبْعَادُ المشركينَ للبعث

وقد استبعد المشركون إعادةَ الحياةِ إلى الأجسادِ مرَّةً أخرى ، وأنكروا أن تُبعَثَ من جديدٍ بعد أن تحلَّلَتْ الأجسام ، وبَلِيَتِ العِظامُ ، وتحوَّلَتْ إلى تراب ، كما أخبر الله تعالى عنهم: ﴿وَقَالُوا أَءِذَا كُنَّا عِظَاماً وَرُفَاتاً أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً﴾[2] [الإسراء: ٤٩] .

بل أقسموا على إنكارِ البعث: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لا يَبْعَثُ اللهُ مَن يَمُوتُ﴾ [النحل: ٣٨] .

وقد بلغ الاستبعاد والإنكار بأحدِهِم أن ذهب إلى رسول الله ﷺ وبيده عَظْمٌ قد بليَ وتفتَّتَ ، وقال: يا محمد أترى أَنَّ الله يحيي هذا بعد ما

---

(١) **فصعِقَ**: ماتوا من الفزع ، وهي النفخة الأولى .

(٢) **رُفاتاً**: أي تُراباً . وقيل الرفات الأجزاء المتبقية من كل شيءٍ تكسَّر .

رُمَّ؟ فقال له النبي ﷺ : "نعم ويبعثك ويُدخِلُكَ النار" [1] .

فنزل قول الله تعالى: ﴿**وَضَرَبَ لَنَا مَثَلا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي العِظَامَ وَهِيَ رَمِيم قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّة وَهُوَ بِكُل خَلْقٍ عَلِيم**[2]﴾ [يس: ٧٨-٧٩] .

وردَّ الله سبحانه عليه بإحاطة علمه بهم ، وقدرته على خلقهم: ﴿**قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظ**﴾ [ق: ٤].

أدِلَّةُ البعث:

١- استدلَّ القرآن بالنشأةِ الأولى على النشأةِ الأخرى ، وبخلق الإنسان من العدم أول مرة على إعادته مرَّةً أخرى .

قال تعالى:﴿**وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْه**﴾ [الروم:٢٧].

٢- واستدلَّ القرآن الكريم على البعث كذلك بخلق السموات والأرض

---

(١) أخرجه الحاكم ٤٢٩:٢ وصححه عن ابن عباس ، **رُمَّ الميِّتُ**: إذا بَلِيَ ، **والرِّمَّةُ**: العظمُ البالي .

(٢) **نَسِيَ خَلْقَه**: أي بَدْءَ أمرِه ، **رميم**: بالية .

-وهما أكبر من خلق الناس- كما قال تعالى: ﴿**لَخَلْقُ السَّموَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُون**﴾ [غافر: ٥٧].

وإنَّ كُلَّ عاقلٍ يعلمُ أَنَّ مَن قدَرَ على العظيم الكبير فهو على ما دونه بكثيرٍ أقدر ، وأنَّ الله سبحانه وتعالى قد أبدع السموات والأرض على عِظَمِ شأنهما وسَعتِهما ، وعجيبِ خلقِهما ، ومن ثَمَّ فهو أقدر على أن يحيي عظاماً قد صارت رميماً .

قال تعالى: ﴿**أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّموات والأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَن يَّخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الخلاَّقُ العَلِيم**﴾ [يس: ٨١] .

٣- واستدلَّ القرآن على البعث بإحياء الأرض الميتة الهامِدة ، ينزل عليها المطر ، فتهتز خضراءَ حَيَّةً ، فيها من كل زوجٍ بهيج ، فالقادرُ على إحيائها بعد موتها قادرٌ على إحياءِ الموتى .

قال تعالى: ﴿**وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَة فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا المَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُل زَوْج بَهِيج ذَلِكَ بِأَنَّ الله هُوَ الحقُّ وَأَنَّهُ**

﴿يُحْيِي المَوْتَى وَأَنَّهُۥ عَلَى كُل شَيء قَدِير﴾ (١) [سورة الحج: ٥-٦].

اختلافُ أحوالِ النَّاسِ عند البعث:

والناسُ عند البعث يختلفون في أحوالِهِمْ حسب أعمالهم .

عن جابرٍ ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "يُبعَثُ كلُّ عبدٍ على ما مات عليه" (٢).

فالذين صَلَحَت عقائِدُهم ، وحَسُنَتْ أَعْمَالُهُمْ ، وزَكَتْ نفوسُهم يكونون على حالٍ سارَّةٍ ، والذين فسَدَتْ عقائدُهم ، وَسَاءَتْ أَعْمَالُهُمْ ، وَخَبُثَتْ نُفُوسُهُمْ يكونون على حالٍ كريهة شنيعة .

۞۞۞

---

(١) **هامدة:** يابسة لا نباتَ فيها . **اهتزَّت:** تحرَّكَتْ بالنبات . **رَبَت:** ارتفعت .**زوجٍ بهيج:** صنف حسن نضير .

(٢) رواه مسلم (٢٨٧٨) في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

المناقشة

س١- متى يبدأ اليومُ الآخر؟

س٢- ما الصُّور؟ وماذا يحدث في النفخة الأولى ، وفي الثانية؟

س٣- لماذا استبعد المشركون البعث ، وبماذا ردَّ القرآن الكريم عليهم؟

س٤- استدلَّ القرآن على البعث بأدِلَّةٍ كثيرة ، اذكر ثلاثة منها؟

س٥- كيف يكون حال الناس عند البعث؟

س٦- اذكر دليلاً لكلٍّ مما يلي:

أ - نفخة الصُّور الأولى والثانية .

ب- الاستدلال على البعث بالنشأة الأولى على النشأة الأخرى .

جـ- الاستدلال على البعث بخلقِ السموات والأرض .

د - الاستدلال على البعث بإحياء الأرض الميتة .

الدرسُ الثامن والأربعون

الحَشْر

بعد البعثِ تُحشَرُ الخلائق وتُجْمَعُ في مكانٍ واحدٍ لموقف الحساب وفَصْلِ القضاء .

والحشرُ حقٌّ ثابت لا شكَّ فيه ، دلَّت على ذلك نصوص القرآن الكريم والسُّنَّة المطهرة .

قال تعالى: ﴿**وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ**﴾ [البقرة: ٢٠٣].

وقال تعالى: ﴿**وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا**﴾ [الكهف: ٤٧].

والدوابُّ والطيرُ وسائر العجماواتِ محشورةٌ ، لقوله تعالى: ﴿**وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ**﴾ [الأنعام: ٣٨] ، ليقتصَّ الله

لِبَعضِها من بعض[1] ، وليُقتصَّ لها من الإنسان الَّذِي قسا عليها بضـرب ، أو حمَّلها ما لا تطيق ، أو قتلها و لم تكـن مما أُذِنَ في قتلهـا . وبعـد انتهـاء القصاص يُقال لها: كوني تراباً ، فتكون . فهناك يقـول الكـافر: ﴿يَالَيْتَنِي كُنتُ تُرَابا﴾ [النبأ: ٤٠] .

حالةُ النَّاسِ في موقف الحشر:

يكون الناسُ في موقفِ الحشرِ كما وَلَدَتْهُم أُمَّهاتهم: حُفاةً ، عراةً ، رجالاً ونساءً ، لايسترهم شـيء ، والنـاس مـن هـول الموقـف مشـغولون ﴿لِكُل امْرِئٍ منْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُّغْنِيه﴾ [سورة عبس: ٣٧] .

ففي الصحيحين عن عائشة رضي ا لله عنها قالت: قال رســول ا لله ﷺ : "تُحشَرون حُفَاةً عُراةً غُرْلاً[2]" فقالت عائشة: فقلت يارســول ا لله:

---

(١) وفي الحديث الَّذِي رواهُ مسلم (١٩٩٧): "لتؤَدُّنَّ الحقوق إلى أهلها يوم القيامـة، حَتَّـى إنـه ليُقـادُ -أي يقتـصّ- للشـاةِ الجَمَّـاء -الـتي لا قـرونَ لهـا- مـن الشـاةِ القرناء" ، أي تُعطى قروناً تنطحُها بها كما نطحتها القرناءُ في الدنيا .

(٢) **غُرلاً**:جمع أغْرَل ، والغرلة: هي الجلدة التي يقطعها الخـاتن مـن الذَّكَـر ، ومعنـى غُرلاً: أي غير مختونين كما ولدتهم أمَّهاتهم ، والمقصـود: أنهـم يُحشَـرون كمـا خُلِقوا لا شيءَ معهم ولا يفقد منهم شيء حَتَّى الغُرلة تكونُ معهم .

"الرجالُ والنساءُ ينظر بعضهم إلى بعض؟ فقال: "الأمرُ أشدُّ من أن يُهِمَّهُمْ ذلك" [١] .

حَشرُ الكافرين:

ويُحشَرُ الكافر أعمى ، لأنه عمي في الدُّنيا عن الإيمان ، والجزاءُ من جنسِ العمل ، قال تعالى: ﴿ومَن أعرضَ عن ذِكْرِي فَإنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكا وَّنَحْشُرُهُ يَوْمَ القِيامَةِ أعْمَى قَالَ رَب لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمى وَقَدْ كُنتُ بصيرا قالَ كذلكَ أتَتْكَ آياتُنا فنَسيتَها وَكَذَلِكَ اليوْمَ تُنسَى[٢]﴾ .

ويحشر الكفار -إضافةً إلى العمى- بُكماً وصُمّاً ، قال تعالى: ﴿ونَحْشُرُهُمْ يومَ القِيامةِ على وجوهِهِمْ عُمْيا وَّ بُكْما وَّصُمًّا مَّأواهُمْ جهنَّمُ كلَّما خَبَتْ زِدْناهُمْ سعيرا[٣]﴾ [الإسراء: ٨٧] .

---

(١) رواه البخاري في كتاب الرقاق (٦٥٢٧) ، ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٥٩) .

(٢) **عن ذِكري**: يعني القرآن فلم يؤمن به و لم يتبعه ، **ضنكاً**: ضيقاً وشقاءً ، **فنسيتها**: فتركتها وأعرضتَ عنها ، **تُنسى**: تُتْرك في النار .

(٣) **عُمياً وبُكماً وصُمّاً**: أي لا يبصرونَ ولا ينطقون ولا يسمعون ، **خَبَت**: سكنَ لهيبُها وهدأتْ من غير أن يوجد نقصانٌ في إيلام الكفار ، لأن الله سبحانه قال: ﴿لا يُفَتَّرُ عنهم﴾ . **سعيراً**: وقوداً .

ويُسحَبُ الكافرونَ على وجوههم في المحشر ، كَما جاءَ في الحديث عن أنس بن مالك أَنَّ رجلاً قال: يا نبيَّ الله ؛ كيفَ يُحشرُ الكافرُ على وجهه؟ قال: "أليسَ الَّذِي أمشاهُ على رِجْلَيْهِ في الدُّنيا قادراً على أن يُمشِيَهُ على وجهه يوم القيامة؟" [1] .

حَشْرُ المتكبرين:

ويُحشَرُ المتكَبّرونَ في أحقرِ صِفَةٍ وأهونِ حال . قال ﷺ : "يُحشرُ المتكَبّرُونَ يومَ القيامةِ أمثال الذَّر في صُوَرِ الرجال ، يغشاهم الذُّلُّ من كُلّ مكان"[2] .



(١) رواهُ البخاري (٦٥٢٣) في كتاب الرِّقاق ، ومسلم (٢٨٠٦) في كتاب صفات المنافقين .

(٢) رواهَ الترمذي (٢٤٩٤) في كتابِ صفةِ القِيامة ، وقال: حسنٌ صحيح ، **والذرُّ:** النمل الأحمرُ الصّغير ، واحدَتُها ذرَّة .

من أهوال الموقف[1]

إنَّ لِمَوقِفِ الحسابِ وفصل القضاء لأَهوالاً وشدائدَ ، ومن صُوَرِ الهول والكَرْبِ يوم القيامة:

١- **دُنُوُّ الشَّمْسِ من رؤوس الخلائق:** ويغوص الناس في عرَقِهِم حَتَّى يُلجِمَ العرقُ بعضهم إلجاماً .

عن المِقداد بن الأسود ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "تُدْنَى الشمسُ يومَ القيامة من الخلق ، حَتَّى تكونَ منهم كمقدارِ ميل[2] ، فيكونُ النَّاسُ على قَدْرِ أعمالهم في العَرَقِ ؛ فمنهم من يكون إلى كَعْبَيْهِ ، ومنهم من يكون إلى رُكْبَتَيْهِ ، ومنهم من يكون إلى حَقْوَيه[3] ، ومنهم من

(١) **الموقف:** المكانُ الَّذِي يقفُ فيهِ الإنسان ، **والمراد به:** المكان الخاص الَّذِي أعدَّهُ الله تباركَ وتعالى لحشرِ الناسِ لحسابهم وفصل القضاءِ بينهم .

(٢) قال سُلَيْم بن عامر الحِمصي راوي الحديث عن المقداد: فوالله ما أدري ما يعني بالميل؟ أَمَسافةَ الأرض أم الميل الَّذِي تكتحل به العين ؟ "شرح النووي على مسلم" ١٨:١٩٦.

(٣) **حَقويه:** تثنية حقو ، وهو مَعقِدُ الإزارِ عند الخاصرة .

يُلْجِمُهُ[1] العرقُ إلجاما" ، وأشار رسول الله ﷺ بيَدِهِ إلى فيه[2].

٢- **طولُ الموقف:** ومما يزيدُ الموقف هَـوْلاً وفَزَعـاً ، وضِيقـاً وحَرَجـاً: أنه يطول حَتَّى يتمنى الناس انصرافهم ولو إلى النار .

وفي هذا الكرب الشديد يتجلَّى اللهُ على عباده المؤمنين الصادقين ، فيخفف عليهم هول الموقف وشدَّته .

ولَمَّا ذَكَرَ النبيُّ ﷺ طول الموقف "في يومٍ كان مقداره خمسين ألف سنة قـالوا: يارسـول الله مـا أَطْـوَلَ هـذا اليـومَ! فقـال النبيُّ ﷺ : **"والذي نفسي بيده: إنه لَيُخَفَّفُ على المؤمن ، حَتَّى يكون أخفَّ عليه من صلاةٍ مكتوبة يصَلِّيها في الدنيا"** [3] .

وكُلَّما طـالَ قيـامُ المؤمـن للهِ عـزَّ وجـلَّ قـلَّ قيامـه وتعبـه في ذلـك اليوم ، وكلَّما قصر إقباله وقيامه في طاعة الله طالَ قيامـه وتعبـه في

---

(١) **يُلجمه العرق:** أي يصلُ إلى أفواههم ، فيصيرُ لهم بمنزلةِ اللجام الَّذِي يوضـعُ في فم الدابة ، يمنعهم من الكلام .

(٢) رواه مسلم (٢٨٦٤) في كتاب الجنة وصفة نعيمها .

(٣) رواه أحمد ٣:٧٥ ، وأبو يعلى (١٣٩٠) من حديث أبي سعيد الخـدري ، وقـال الحافظ الهيثمي ١٠:٣٣٧ : رواهُ أحمد وأبو يعلى وإسناده حسنٌ على ضعـفٍ في راويه .

ذلك اليوم .

ويُنَجي الله سبحانه من هولِ ذلك الموقف أُناساً صَدَقوا الله سبحانه ، فيظلهم في ظل عرشِه .

قال ﷺ : "سبعةٌ يُظِلُّهُمُ الله في ظِلِّهِ يومَ لا ظِلَّ إلاَّ ظلُّه: إمامٌ عادل ، وشابٌّ نشأَ في عبادة الله عزَّ وجلَّ ، ورجلٌ قلبُهُ معلَّقٌ في المساجد ، ورجلان تحابّا في الله اجتمعا عليه ، وتفرَّقَا عليه ، ورجلٌ دَعَتْهُ امرأةٌ ذات منصبٍ وجمالٍ فقال: إني أخاف الله ربَّ العالمين ، ورجلٌ تصدَّقَ بصدقَةٍ فأخفاها حَتَّى لا تعلمَ شِمالُه ما تنفقُ يمينه ، ورجلٌ ذَكَرَ الله خالِياً ففاضَتْ عيناه" [1] .

۞۞۞

---

(١) رواهُ البخاري في كتاب الأذان (٦٦٠) ، والزكاة (١٤٢٣) ، والحدود (٦٨٠٦) ، ومسلم في كتاب الزكاة (١٠٣١) من حديثِ أبي هريرة ﷺ .

في ظلّهِ: الإضافةُ إضافةُ تشريفٍ كما قيل للكعبةِ:بيتُ الله ، وقيلَ: المرادُ ظِلُّ عرشِه ، **دعته:** أي إلى الفاحشة .

المناقشة

س١- أين يُجمَعُ الناسُ بعد البعث ؟ ولماذا؟

س٢- ما حكم الإيمان بالحشر؟ وما الأدِلَّةُ عليه؟

س٣- هل الحشرُ يقتصرُ على الإِنْسِ والجِن؟

س٤- ما الحكمةُ من حشرِ الدَّواب والطيرِ والعَجْماوات؟ وما مصيرها بعد ذلك؟

س٥- كيف تكونُ حالةُ الناسِ في موقفِ الحشر؟

س٦- اذكر دليلاً لكلٍّ مما يلي:

أ - حشر الكفار بُكماً وصُمًّا .

ب- دُنُوُّ الشمس من رؤوس الخلائق .

جـ- حَشْرُ الناس حُفاةً عُراةً .

س٧- أكمل الأدلة الآتية ، ثُمَّ اذكر ما ترشد إليه؟

أ - ﴿وما من دابة في الأرض ....﴾ .

ب- ﴿ومَن أعرضَ عن ذِكري ....﴾ .

جـ- "سبعةٌ يُظِلُّهُم الله في ظِلِّه ...." .

الدرسُ التاسعُ والأربعون

الحَوْض والشفاعةُ العُظْمى

الحوض:

الحوض في اللغةِ: مجمعُ الماء ، والمـراد به حـوضُ نبينـا محمـد ﷺ ، وهو حقٌّ وثابت[1] ؛ فقد أعطى الله نبيَّنا محمداً ﷺ نهراً في الجنـة يسـمى (الكوثر) ، ويصبُّ ميزابان منه على أرضٍ في الموقف فيسمى ذلك المكـان الحوض .

والحوضُ هو أولُ ما يتَّجهُ إليه الخلق بعد البعث ، لأنهم خرجوا من قبورهم عِطَاشاً ، فيَرِدونَ حياضَ الأنبياء ، لأنَّ لكل نبيٍّ حوضاً كمـا قـال ﷺ : "إنَّ لكل نبيٍّ حوضاً ، وإنهم يتباهونَ أيُّهُم أكثرُ واردةً ، وإني أرجو أن أكونَ أكثرهم وَارِدَةً"[2] .

---

(١) وردَ من رواية بضعة وخمسين صحابياً منهم: الخلفاء الأربعة وحفَّاظ الصحابـة ، فأحاديث الحوض متواترة ، والإيمان به فرض ، والتصديق به من الإيمان .

(٢) رواهُ الترمذيُّ (٢٤٤٥) مـن حديـثِ سَـمُرَةَ بـنُ جُنـدب ، وقـال: هَـذَا حديـثٌ غريب . **الواردةُ:** القومُ يَرِدونَ الماء .

صِفَةُ الحوض:

ورد في وصفه أحاديثُ كثيرة منها قوله ﷺ: "حَوْضي مسيرةُ شهر ، ماؤُهُ أبيضُ من اللبن ، وريحُهُ أَطْيَبُ من المِسْك ، وكيزانُهُ كَنُجُومِ السماء ، مَن شَرِبَ منه لا يظمأ أبداً" [1] .

مَنْ يَرِدُ الحوض ، ومَن يُحْرَمُ من وروده:

وَرَدَ أَنَّ الذين يَرِدونَ الحوض هم المؤمنون الصادقون ، السائرون على نهج رسول الله ﷺ ، الذين لَم يغيروا ، ولم يبدلوا ، ولم يحدِثوا في دين الله ما ليس منه .

وأنَّ الذين يُحرَمون من ورود الحوض هم الذين أحدَثوا بعدَ رسول الله ﷺ واتَّبَعوا نهجاً غير نهجه ، وأبعدوا الدين عن واقع الحياة ، كالمنافقين والمرتَدين .

قال رسول الله ﷺ: "إني فَرَطُكُمْ[2] على الحوض ، من مرَّ عليَّ

(١) رواه البخاري في كتاب الرقاق (٦٠٩٣) ، ومسلم في الفضائل (٢٢٩٢)، ومعنى **كيزانه:** جمع كوز ، وهو إناء بعروة يُشرب به الماء .

(٢) **فَرَطُكُم:** الفَرَطُ هو الذي يتقدَّم على الواردين ليصلح لهم الحياض والدِّلاء ونحوها من آلات الاستقاء ، والمعنى: أنا سابقكم إلى الحوض كالمهيِّئ له .

شَرِبَ ، ومن شَرِبَ لم يَظْمَأ أبداً ، لَيَرِدَنَّ عليَّ أقوامٌ أعرِفُهُمْ ويعرِفُوني ، ثُمَّ يُحَالُ بيني وبينهم ، فأقول: إنهم أُمَّتي ، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بَعْدَكَ ، فأقول: سُحْقاً سُحْقاً[1] لِمَن غيَّرَ بعدي" [2] .

"فمن كان يرجو أن يكونَ من الوارِدين على حوضِ النبي ﷺ فعَلَيه أن يتَّبع رسول الله ﷺ فيما جاءَ به ، وليعمل بشريعَته ﷺ ، وعلى قدرِ ورود الإنسان شريعة رسول الله ﷺ وتحقُّقِهِ بها ، وعمله بمقتضاها سوف يكونُ ورودُه على حوضه ﷺ يوم القيامة" [3] .



الشفاعة

معنى الشفاعة:

"الشفاعة في الأمرِ: هي أن تلتمسه ممن هو في يده ، لا لنفسك ، بل لشخصٍ ثالث ، وهي مأخوذةٌ من الشَّفعِ[4] بمعنى الضَّم ، لأنَّ الشفيعَ

(١) قوله: **سُحقاً سُحقاً**: أي بُعْداً بُعداً . **ومكان سحيق**: بعيد .

(٢) رواه البخاري في كتاب الرقاق (٦٥٨٣) ، وفي كتاب الفتن (٧٠٥٠) .

(٣) الإيمانُ بعوالِمِ الآخرة ، للعلامة الشيخ عبدالله سراج الدين ص ١٧٨ .

(٤) وأمَّا طلبُهُ للنفس فيُسَمَّى شُفْعَة -بالضَّمِّ- .

يضُمُّ صوته في الطلب إلى صوتِ صاحب الحاجة ، معونةً له على تحصيل مرغوبه .

وليس كلُّ أحدٍ ينتهضُ لهذه المطالبة ، بل لا ينتدب لهذا الموقفِ عادةً إلاَّ مَن له عند المسؤول وسيلةٌ أو عهدٌ عنده ، ليستطيعَ تغيير إرادته ، وتبديل حكمه .

أما الشفاعة عند الله تعالى يوم القيامة فإنها وإن لم يقُم بها إلاَّ المقرَّبون إليه ، لكنها لا تَرُدُّ من قَدَرِ الله شيئاً ، وإنما هي مظهر تكريمٍ للشافعين بإجراء الإحسان على أيديهم لمن أراد الله الإحسان إليه ، فلا يشفعون إلاَّ لمن ارتضى ، ولا يتكلمون إلاَّ لمن أذن له الرحمن ، ورضي له قولاً" (١) .

ولكل نبيٍّ شفاعةٌ في أمَّته ، وللرسول الأكرم ﷺ نوعٌ من الشفاعة اختصَّهُ الله به من بين الرُّسُلِ إكراماً وإعلاءً لقدره ، وهي:

الشفاعةُ العُظْمَى:

هي شفاعة النبيِّ ﷺ التي أكرمه الله بها لانصراف الناسِ جميعاً من

---

(١) المختار من كنوز السنة ، للدكتور محمد عبد الله دراز ، ص ١٧٣ .

زِحامِ المحشر وشدائده ، وإراحتهم من هَوْلِ الموقف وطولِ الانتظار ، حين يصيبُ الناسَ من الكرب والبلاء ما يصيبهم ، وتدنو الشمسُ من رؤوسهم ، ويُلْجمهم العرقُ حتَّى يبلغ أفواهَهُم ، فيَتَمَنَّوْنَ الانصرافَ ولو إلى النار ، حينذاك ينطلقُ الناس إلى الأنبياء ، يطلبون منهم أن يشفعوا لهم عند الله ، ليريحوهم من موقفهم ويفصلوا بينهم: فيتدافعونها ، آدم عليه السلام وأولو العزم من الرُّسُل ، كلٌّ منهم يقول: "لستُ هناكم[1] " إلى أن يصلوا إلى نبينا محمد ﷺ فيقول: **"أنا لها ، أنا لها"** ، ويخرُّ ساجداً تحت العرش ، فيقال له: "يا محمد ارفعْ رأْسَكَ ، وقُل يُسْمَع لك ، وسَلْ تُعطَه ، واشفع تُشَفَّع" ، فتلك هي الشفاعة العُظْمى[2]، والمقامُ المحمود[3] الذي يغبطه عليه الأوَّلون والآخِرون .

---

(١) كناية عن أنَّ منزلته دون المنزلة المطلوبة ، يقولون ذلك تواضُعاً وإكباراً لما يُسألونه .

(٢) تواتر حديث الشفاعة عن النبي ﷺ فرواه عددٌ جَمٌّ كبير ، وينظر فتح الباري ١١:٤٣٣ -٤٤١ ، و "شرح المواهب" للزرقاني ٨:٣٧٠ - ٣٨٢ .

(٣) قال تعالى: **﴿ومِنَ الليل فتهجَّدْ به نافلةً لك عسى أن يبعَثَكَ ربُّكَ مقاماً محموداً﴾** [الإسراء:٧٩] . والمقام المحمود: هو مقام الشفاعة العظمى ، لأنه يحمده فيه الأوَّلونَ والآخرون .

المناقشة

س١- ما المراد بالحوض؟ وما حكمُ الإيمان به؟

س٢- أينَ مكانُ الحوض؟ ومتى يتَّجِهُ الناسُ إليه؟

س٣- ما صفةُ الحَوْض؟

س٤- مَن الذين يَردون الحوض؟ ومن الذين يُحرَمون من وروده؟

س٥- ما المراد بالشفاعة؟ وما أعظم أنواعها؟

س٦- أكمل الأدلة الآتية ، ثُمَّ اذكر ما ترشدُ إليه؟

أ - "إِنَّ لكل نبيٍّ حوضا ، ...."

ب- "حوضي مسيرة شهر ، ...."

جـ- "إنِّي فرَطُكُمْ عَلَى الحَوض ...."

الدرس الخمسون

أنواعُ الشفاعة وشروطها

الشفاعة العظمى هي أولى الشفاعات ، وهي خاصَّة بنبينا محمد ﷺ ، وتكون لخلاصِ الناس مِمَّا هُم فيه من كربِ الموقف لفصل القضاء كما تقدَّم .

وهناك أنواع أخرى للشفاعاتِ الخاصة لرسول ا لله ﷺ ، وكلها تكونُ لأُمَّتِهِ ﷺ ، وهي:

١- شفاعته ﷺ في إدخال قومٍ من المؤمنين الجنة بغير حساب .

٢- شفاعته ﷺ في قومٍ استوجَبوا دخولَ النار فيشفعُ لهم عند ا لله فلا يدخلونها .

٣- شفاعته ﷺ في إخراج عُصاةِ المؤمنين من النار .

عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول ا لله ﷺ: "شفاعتي لأهل الكبائر من أمَّتي" [1] .

وعن عمران بن حُصين ﷺ عن النبي ﷺ قال: "يَخْرُجُ أقوامٌ من

(١) رواهُ الإمام أحمد ٣:٢١٣ ، وأبو داود (٤٧٣٩) ، والترمذي (٢٤٣٥) من حديث أنس ، والحديث صحيحٌ بطُرُقِه وشواهده .

النار بشفاعة محمدٍ ﷺ يُسَمَّون الجَهَنَّميين" [1].

٤- شفاعته ﷺ لقومٍ من أهل الجنة في زيادة ثوابهم ورفع درجاتهم .

أقسام الشفعاء:

لِغَيْرِ رسولِ الله ﷺ من النبيين والملائكة والصديقين والشهداء والصالحين شفاعاتٌ بقدر منزلتهم من ربهم سبحانه ، وقد ثبتت هذه الشفاعات بما جاءَ في الحديث الصحيح ، وفيه قوله ﷺ :"فيقول الله عزَّ وجلَّ: شَفَعَتِ الملائكةُ ، وشفَعَ النَّبيُّون ، وشَفَعَ المؤمنون ، ولم يبقَ إلاَّ أرحمُ الراحمين ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً من النَّار ، فَيُخْرِجُ منها قوماً لم يعملوا خيراً قط قد عادوا حمماً" [2] -أي صاروا فحماً- .

وأذكر بعض الشفعاء المقبولة شفاعتهم عند الله سبحانه:

١- شفاعة الأنبياء الآخرين غير نبينا محمد ﷺ ، كما دلَّ عليه الحديث السابق .

---

(١) رواه البخاري في الرقاق (٦٥٦٦) .

(٢) رواه البخاري (٧٤٣٩) ، ومسلم (١٨٣) ، وقوله: "لم يعملوا خيراً قط" أي: سوى الشهادتين ، ولولاهما لَما خرجوا من النار ، كشأنِ غيرهم من الكفار .

٢- شفاعة الملائكة: قال تعالى: ﴿**وَكَم من مَّلَكٍ في السَّمَوات لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إلاَّ مِن بَعْدِ أَن يَّأْذَنَ الله لِمَن يَّشَاءُ وَيَرْضَى**﴾ [النجم: ٢٦] .

٣- شفاعةُ الشهداء الَّذِينَ قُتِلوا في سبيلِ الله تعالى . قال ﷺ : "يشفعُ الشهيدُ في سبعين من أهلِ بيته" [١] .

٤- شفاعة الولدان في آبائهم وأُمَّهاتهم إذا احتسبوهم عند الله . قال ﷺ : "لا يموتُ لمسلمٍ ثلاثةٌ من الوَلَدِ فيَلِجَ النارَ إلاَّ تَحِلَّةَ القسَمِ"[٢].

٥- شفاعة القرآنِ العظيم . قال ﷺ : "القرآنُ شافعٌ مشفَّعٌ ، وماحِلٌ مُصَدَّقٌ ، من جعَلَهُ أمامه قاده إلى الجنةِ ، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار" [٣] .

---

(١) رواه أبو داود (٢٥٢٢) في الجهاد .

(٢) رواه البخاري (١٢٥١) في الجنائز ، ومسلم (٢٦٣٢) في البر . وقوله ﷺ : "**تَحِلَّةَ القسم**" أي ما ينحلُّ بِهِ القسم ، إشارة إلى القسَمِ المقدَّرِ في قوله تعالى: ﴿وإن منكم إلاَّ واردها﴾ أي النار .

(٣) رواهُ ابن حِبَّان في صحيحه ١: ٣٣١ (١٢٤) عن جابرٍ ﷺ ، وقال المنذِرِيُّ: إسنادُهُ جيِّد . ومعنى قوله: "**ماحِلٌ**" أي: مدافعٌ ومجادلٌ.

شروط الشفاعة: لا تتحقق الشفاعة إلاَّ بشرطين اثنين:

الأول: أن يأذنَ الله للشافع في أن يشفع، قال تعالى: ﴿**مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِه**﴾ [البقرة: ٢٥٥].

الثاني: أن يرضى الله عن المشفوعِ له، ولا يرضى إلاَّ لِمَن كان قد مات على التوحيد، قال تعالى: ﴿**وَلاَ يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى**﴾ [الأنبياء:٢٨].

ولا يرتضي الله الشفاعةَ لكافرٍ لقوله تعالى: ﴿**فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِين**﴾ [المدَّثر:٤٨].

وقد جمعَ الله سبحانه بينَ الشرطين: الإذن والرضَا، فقال تعالى: ﴿**يومئذٍ لا تنفعُ الشَّفاعَةُ إِلاَّ مَن أذِنَ لَهُ الرَّحْمنُ ورَضِيَ لَهُ قَوْلا**﴾ [طه:١٠٩].

۞۞۞

المناقشة

س١- اذكر ثلاثةً من أنواع الشفاعة الخاصة لرسول الله ﷺ ؟

س٢- اذكر أربعةً من الشفعاء المقبولةِ شفاعتهم عند الله سبحانه؟

س٣- ما شروطُ الشفاعةِ مَعَ الدليل؟

س٤- أكمل الأدِلَّةَ الآتية ثُمَّ اذكر ما ترشد إليه:

أ - "يخرجُ أقوامٌ من النار ...."

ب- "القرآنُ شافعٌ ...."

جـ- "لا يموتُ لمسلمٍ ثلاثة ...."

س٥- اذكر دليلاً لكلٍّ مما يلي:

أ - شفاعة الأنبياء .

ب- شفاعة الملائكة .

جـ- شفاعة الشهداء .

الدرسُ الحادي والخمسون

الحسَـــاب

وهو: محاسبةُ العبادِ قبل انصرافهم من الموقف على ما كان منهم في الدنيا خيراً كانَ أو شرّاً.

قال تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ [الغاشية: ٢٥-٢٦].

كيفية الحساب:

ا لله سبحانه وتعالى هو الذي يحاسبُ ويحكمُ في هذا اليوم .

قال تعالى: ﴿وَا للهُ يَحْكُمُ لا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الحِسَابِ﴾ [سورة الرعد: ٤١] .

فا للهُ تعالى هو الذي يحاسب الناسَ جميعاً بنفسه وبدون واسطة.

قال ﷺ : "ما منكم من أحدٍ إلاَّ سيكلِّمُهُ ربُّهُ ليس بينه وبينه تَرْجُمَان" (١).

---

(١) رواه البخاري في كتاب الرِّقاق (٦٥٣٩) عن عدِي بن حاتم الطَّائي ﷺ .

وقد حدَّث الإمام عليٌّ ﷺ بهذا الحديث فقيل له: يا أميرَ المؤمنينَ كيف يُحَاسِبُ اللهُ الناسَ كلَّهم في وقتٍ واحد؟ فقال: كما يرزقهم في آنٍ واحد.

والحساب على نوعين يوم القيامة:

١- حسابٌ يسير ، وهذا هو العَرْضُ ، وهو خاصٌّ بالمؤمنين الناجين ، وذلك بأن تُعرَضَ عليهم أعمالهم التي كانوا قد عملوها في الدنيا ، ويعرَّفُ المؤمن بالمعصية ، ويذَكَّرُ بالنِّعَم ، ثُمَّ يُتجاوَزُ عنه .

٢- حسابٌ عسيرٌ ، وهو حسابُ الشدَّةِ والمناقشة والتدقيق لِكُل صغيرٍ وكبير من العمل ، ولكل كثيرٍ وقليلٍ من النِّعَم ، وهذا النوعُ من الحسابِ للكافر والمنافق والفاجر .

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: "ليس أحدٌ يحاسَبُ يومَ القيامة إلاَّ هَلَكَ" ، فقلتُ: يارسول الله ، أليس قد قال الله تعالى: ﴿**فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيرا**﴾ [الانشقاق:٧-٨] ، فقال ﷺ : "إنما ذلك العَرْض ، ولَيْسَ أحدٌ يناقَشُ

الحسابَ إلاَّ عُذِّب" [1] .

الأَدِلَّةُ على دِقَّةِ الحساب

الله سبحانه متَّصِفٌ بالعدلِ المطلق ، منزَّهٌ عن الظلم ، وقد شاءَ سبحانه لكمالِ عدله أن يُظهر لكل شخصٍ عمله بما يقطع حجته ، كما قال تعالى: ﴿اليومَ تُجزَى كلُّ نفسٍ بِما كَسَبَتْ لا ظُلمَ اليوم إنَّ الله سريعُ الحِساب﴾ [غافر: ١٧] .

ومن الأدِلَّةِ على دقةِ الحساب: الشهود ، وصحفُ الأعمال ، ووزنها .

أ - الشهود

وهذا من تمامِ إظهارِ العدل الإلهي في هذا الموقفِ العظيم ، فَإنَّ الله عزَّ وجَلَّ يستشهدُ على المذنِبينَ قبل إدانَتِهم ، معَ عِلْمِهِ عزَّ وجلَّ القاطع بما عملوا .

---

(١) رواه البخاري (٦٥٣٧) ، ومسلمٌ (٢٨٧٦) . والمرادُ بالمناقشةِ: استقصاءُ الحساب .

ومِن هؤلاءِ الشهود:

١- الأنبياءُ عليهمُ السلام:

يشهدونَ على أُمَمِهِمْ بالبلاغ وإقامةِ الحجة ، ويشهدون لِمَن آمنَ بالإيمان ، وعلى مَن كفرَ بالكفر ، قال تعالى: ﴿**وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدا**﴾ [النحل: ٨٤] ، فيشهدُ كلُّ نبيٍّ على أمَّتِهِ ، وأمَّةُ محمد ﷺ يكونون شهداء للرُّسُلِ على أُمَمِهِم أنهم قد بَلَّغُوهم عن الله ما أُرسِلوا به .

٢- الملائكة:

الَّذِينَ سجَّلوا الأعمالَ وشهدوا المعاصي ، قال تعالى: ﴿**وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَّشَهِيدٌ**﴾ [ق: ٢١] أي: "مَلَكَان أحدهما يسوقه إلى الحشر ، والآخر يشهد عليه بعمله" [١].

٣- شهادة الأرض:

وفي موقف الحساب تشهد الأرض على كل مخلوق ما أحدث

---

(١) "تفسير النسَفي" ٤:١٧٦ .

عليها من خيرٍ أو شَرّ .

عن أبي هريرة ﷺ قال: قرأ رسـول ا لله ﷺ قوله تعـالى: ﴿يَوْمَئِـذٍ تُحَدثُ أَخْبَارَهَا﴾ [الزلزلة:٤] .

فقال: "أتدرون ما أَخْبَارُهَا"؟

قالوا: ا للهُ ورسولُه أعلم .

قال: "فَإِنَّ أخبارَها أن تشهدَ على كل عبـدٍ أو أمَـةٍ بما عَمِـلَ على ظهرها ، بأن تقول: عَمِـلَ كـذا وكـذا يـومَ كـذا وكـذا" . قـال: "فهـذه أخبارها"(١) .

٤- جوارحُ الإنسان:

وكما تحـدثُ الأرضُ عـن أخبـار النـاس وتشـهدُ عليهـم ، كذلـك تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهـم وأرجلُهـم وسمعُهُـم وأبصـارهم وجلودهـم عندما يماري الإنسانُ ولا يرضى إلاَّ شاهداً من نفسه.

قال تعالى: ﴿اليَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَـا أَيْدِيهِـمْ وَتَشْـهَدُ

(١) رواه أحمد ٢:٣٧٤ ، والترمذي في كتاب صفة القيامـة (٢٤٢٩) ، وقـال: هـذا حديث حسنٌ غريب .

أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يس: ٦٥] .

وقالَ سبحانه: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النور: ٢٤] .

۞۞۞

المناقشة

س١- ما الحساب؟ ، ومتى يكون؟ ، وما كيفيَّته؟

س٢- كم نوعاً يكونُ الحسابُ يومَ القيامة؟

س٣- اذكر ثلاثة أمور تدلُّ على دِقَّةِ الحسابِ يومَ القيامة؟

س٤- اذكر أربعة من الشهود الَّذِينَ يشهدونَ يومَ القيامة؟

س٥- بماذا يشهد الأنبياءُ عليهم السلام يوم القيامة؟

س٦- أكمل الأدلة الآتية ثُمَّ اذكر ما ترشد إليه:

أ - "ما منكم من أحدٍ ...." .

ب- "ليس أحدٌ يحاسَبُ يوم القيامة ...." .

جـ- "أتَدْرونَ ما أخبارها ...." .

س٧- اذكر دليلاً لكلٍّ مما يلي:

أ - شهادة الرُّسُل .

ب- شهادة الملائكة .

جـ- شهادة جوارح الإنسان .

الدرس الثاني والخمسون

ب- نشرُ الصحفِ وتناوُلُها

في موقفِ الحساب تُنشَرُ لِكل إنسانٍ صحائفُ عَمَلِهِ ويتناولها ، قد أُحصِيَ له أو عليه فيها كُلُّ صغيرة وكبيرة بواسطة الملائكة الكِرام الكاتبين ، كما يقول تعالى:

﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَاماً كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾

[الانفطار:١٠-١٢].

وهذه الصحائفُ التي دُونَت فيها الأعمالُ لا تترك شاردةً ولا واردةً منذُ بلوغِهِ إلى وفاته إلاَّ دُونَت فيها .

﴿وَوُضِعَ الكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَٰذَا الكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩] .

وحين يتناولُ الإنسانُ كتابهُ يُؤْمَرُ بقراءَته ، ويقرأ من لم يكن يقرأ في الدنيا. كَمَا يقولُ الله تعالى: **﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنْشُوراً اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ**

﴿اليَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبَا﴾[1] [الإسراء: ١٣-١٤] .

كيف يتناولون صحائفهم؟

توَزَّعُ الكُتُب على أصحابها ، أمَّا المؤمن فيأخذ كتابه بيمينه ، فيفرح ويستبْشر ، ويقول: ﴿هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيَهْ[2]﴾ [الحاقة: ١٩] .

وأمَّا الكافر فيأخذ كتابه بشماله ، أو من وراء ظهره ، فيحزن قلبُه ، وتذوب نفسُه حَسَرَاتٍ ، ويصيح: ﴿يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ القَاضِيَةَ﴾ [الحاقة: ٢٥-٢٧].

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحاسَبُ حِسَابا يَّسِيرا وَّيَنقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورا وَّأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورا وَّيَصْلَى سَعِيرا[3]﴾ [الانشقاق: ٧-١٢] .

---

(١) **طائِرَه:** أي عمله الذي طارَ عنه من خيرٍ وشر ، وإنما خُصَّ العُنُقُ من بين سائر الأعضاء لأنه موضع القلائد والأطواق والأغلال ، مما يَزين أو يَشين ، فإن كان عمله خيراً كان له كالقِلادة أو الحُلِيّ في العُنُقِ ، وهو مما يزينه ، وإن كان عمله شَرّاً كان له كالغِلِّ في عنقه ، وهو مما يَشينه .

(٢) **هاؤم:** اسم فعل أمر بمعنى خُذوا .

(٣) **الثبور:** الهلاك .

عن عائشة رضي ا لله عنها أنها ذكَرَتِ النار فبكت ، فقال رسول ا لله ﷺ : "ما يبكيكِ؟" فقالت: ذكرتُ النار فبَكَيْتُ ، فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة؟ فقال ﷺ : "أمَّا في ثلاثةِ مواطن فلا يذكر أحدٌ أحدا: عند الميزانِ حَتَّى يعلم أيخِفُّ ميزانه أم يثقل؟ وعند تطاير الصحف حَتَّى يعلم أين يقع كتابه في يمينه أم في شماله أم وراء ظهره؟ ، وعند الصراط إذا وُضِعَ بين ظهراني جهنم" [١] .

أحوالُ الخلقِ عند تناوُلِ الكُتُب:

والخلق عند تناول الكُتُب على ثلاثة أصناف:

الصنف الأول: هم الآخِذونَ كُتُبَهُمْ بأيمانهم ، وهمُ المؤمنون السُّعَداء .

الصنف الثاني: الآخِذونَ كُتُبَهُمْ بشَمائِلِهم ، وهمُ الذينَ لم يؤمنوا با للهِ العظيم ، ولم يحضُّوا على طعامِ المسكين ، ومِن هذا الصنف: الملاحِدة والمشركون ، والمتكبرون على ا لله تعالى ، والمنافقون الَّذِينَ أظهَروا الإسلام وأضمَروا الكفر .

---

(١) رواه أبو داود في كتاب السنّة (٤٧٥٥) .

الصنف الثالث: الَّذِينَ يؤتَونَ كُتُبَهُمْ بشمائِلهم من وراءِ ظهورهم ، وهمُ الَّذِينَ أوتوا كتاب ا لله تعالى في الدنيا فنبذوه وراء ظهورِهم ، واشتروا به ثمناً قليلاً ، فإذا كان يومُ القيامة قيل لأحدِهِمْ: خذ كتابكَ من وراءِ ظهرك[1].



(١) ينظر تفصيل ذلك في كتاب "الإيمان بعوالم الآخرة" ، للعلامة الشيخ عبدا لله سراج الدين حفظه ا لله تعالى ، ص٢٥٧-٢٥٩ .

المناقشة

س١- من الَّذِي يقوم بكتابة صحف الأعمال؟ مع الدليل .

س٢- ماذا دون في الصحف؟ مع الدليل .

س٣- بماذا يؤمرُ الإنسانُ عندما يتناول كتابه؟ مع الدليل .

س٤- كيف يتناول الناس صحف أعمالهم؟ مع الدليل .

س٥- ما المواطن الثلاثة التي لا يكلّم فيها أحدٌ أحداً؟ مع الدليل .

س٦- ما أحوال الخلق عند تناول الكتب؟

الدرس الثالث والخمسون

جـ- وزنُ الأعمال

في موقف الحساب يَنصُبُ الله سبحانه الموازين ، لِيَزِنَ أعمال العباد التي أحصاها عليهم ، حَتَّى يأخذَ كلٌّ واحدٍ جزاءَ ما عمل من خيرٍ أو شَرٍّ في دِقَّةٍ كاملة ، حَتَّى مقدار مثاقيل الذَّر والخردل ، وبذلك تتمُّ العدالة الإلهية(١) .

والموازين متعددَة كما ذَكَرَ الله تعالى في كتابه: ﴿**وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً**(٢)﴾ [الأنبياء: ٤٧] .

---

(١) ويكونُ الوزنُ بعد الحساب وتَسَلُّم الكتب ، وإنما كان الوزن بعد الحساب ، لأنَّ الحساب لتقرير الأعمال ، والوزن لإظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسَبِها "التذكرة" ص ٣٠٩ .

(٢) **الموازين:** جمع ميزان ، والذي عليه أئمة السلف أنَّ الله سبحانه يضع الموازين الحقيقية ، ويزِنُ بها أعمالَ العباد ، وأكثر الأقوال أنه ميزانٌ واحد له كفَّتان ولسان ، وإنما جُمِعَ لاعتبار تعدُّدِ الأعمال الموزونة به ، **القسطَ:** ذوات العدل فلا يقع منها ظلمٌ ولا نقْصٌ ولا بَخْس ، **ليوم القيامة:**أي لأهل يومِ القيامة .

وا لله سبحانه يحصي أعمال العباد فيحضرها للوزن والحساب .

قال تعالى: ﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ منْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾[1] [الأنبياء: ٤٧] .

وقال سبحانه: ﴿إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّموَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ا للهُ إِنَّ ا للهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ١٦] .

والمؤمن الصادق يحرصُ على ما يرجح ميزانَه من أقوالٍ طيبَةٍ ، وأعمالٍ صالحة ، وأخلاقٍ حسنة ، قال ﷺ : "كلِمَتان حبيبتان إلى الرحمن ، خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان في الميزان: سبحانَ ا لله وبحمده ، سبحانَ ا لله العظيم" [2] .

وقال ﷺ : "ما مِن شيءٍ أثقلُ في ميزانِ المؤمن يوم القيامة من خُلُقٍ

(١) أي لا ينقص من إحسانِ محسنٍ ، ولا يُزادُ في إساءة مسيء ، والمراد **بالحبة:** الجزء اليسير من الخردل ، ومعنى **أَتَيْنا بها:** أي أحضرناها .

(٢) رواهُ البخاري (٧٥٦٣) في كتابِ التوحيد، وهو آخر حديث في جامعه الصحيح ، ومسلم (٢٦٩٤) في كتاب الذِّكْر والدعاء .

حسن"[1].

أحوالُ الخَلْقِ في وزنِ الأعمال:

والخلق يكونون عند وزنِ الأعمال على ثلاثة أصناف:

الصنف الأول: هم الَّذِينَ ثَقُلَت موازينهم ، ورجَحَت حسناتهم على سيئاتِهم ، وهؤلاء هم أصحاب الجنة ، قال تعالى: ﴿**فأمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ**﴾ [القارعة: ٦] .

وقال سبحانه: ﴿**فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ المفْلِحُون**﴾ [الأعراف: ٨].

الصنف الثاني: هم الَّذِينَ خفَّتْ موازينهم ، ورجَحَت سَيِّئاتهم على حسناتهم ، وهؤلاءِ هم أصحاب النار .

قال تعالى: ﴿ **وَأَمَّا مَن خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ نَارٌ حَامِيَةٌ**﴾[2] [القارعة: ٦-١١] .

---

(١) رواه أبو داود (٤٧٩٩) في الأدب ، والترمذي (٢٠٠٣) في البر والصلة .

(٢) **فأمُّهُ هاوية:** أي مسكنه ومأواه النار ، وقيل معناه: أمّ رأسه ، **هاوية:** من أسماء النار ، وهي المِهْوَاةُ التي لا يُدرَكُ قَعرُها ، فيَهوونَ فيها على رؤوسهم ، وأصلُ (الهُوِيُّ) السقوطُ من عُلْوٍ إلى سُفْل .

وقال سبحانه: ﴿وَمَن خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: ٩] .

الصنف الثالث: هم الَّذِينَ استوَتْ حسناتهم وسيئاتهم ، وهؤلاء هم **أهل الأعراف** الَّذِينَ ينظرون إلى أهل الجنة ، ويطمعون أن يكونوا معهم ، وينظرونَ إلى أهل النار ، فترتجف أفئدتهم خوفاً من أن يؤولوا إليها .

قال تعالى: ﴿وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاً بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الجَنَّةِ أَن سَلامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا مَعَ القَوْمِ الظَّالِمِينَ[1]﴾.

۞۞۞

(١) **الأعراف:** مفردها عُرْف ، وهو ما ارتفع من الأرض ، والمراد به هنا الشُّرَفُ التي على السُّور الَّذِي يضربه الله بين الجنة والنار ، ثُمَّ يدخلهم الله الجنة بفضله ورحمته ، لأنه ليس في الآخرة دارٌ إلاَّ الجنة أو النار ، **يعرفون كلاً بسيماهم:** يعني أَنَّ أصحابَ الأعرافِ يعرفونَ أهلَ الجنة بسيماهم ، وذلك ببياضِ وجوههم ، ونضرة النعيم عليهم ، ويعرفون أهل النار بسيماهم وذلك بسوادِ وجوههم ، **والسيما:** العلامة الدالة على شيء ، وأصله من السِّمَة .

المناقشة

س١- لماذا ينصب الله سبحانه الموازين يوم القيامة؟

س٢- ما الأقوال والأعمال والأخلاق التي ترجّح ميزان المؤمن يوم القيامة؟

س٣- ما أحوالُ الخلق عند وزن الأعمال يوم القيامة؟

س٤- اذكر دليلاً لكلٍّ مما يلي:

أ - الله سبحانه يحصي أعمال العباد ويحضرها للوزن .

ب- الموازين متعددَةٌ يومَ القيامة .

جـ- الَّذِينَ خفَّت موازينهم هم أصحاب النار .

س٥- أكمل الأدلة الآتية ، ثُمَّ اذكر ما ترشد إليه:

أ - ﴿وعلى الأعرافِ رجالٌ ....﴾ .

ب - "كلمَتان حبيبَتان إلى الرحمن ...." .

جـ- "ما مِن شيءٍ أثقلُ في ميزان المؤمن ...."

الدرسُ الرابع والخمسون

الصِّرَاط

تعريفه:

هو جِسْرٌ ممدودٌ على ظهر جهنم ، أوَّلُـهُ في أرضِ المحشـر ، وآخِـرُهُ على باب الجنة ، يمرُّ عليه الأوَّلون والآخِرون ، بعد انصرافهم مـن موقـف الحساب ، فأهل الجنَّةِ يَمُرُّونَ عليه وهُم متَّجِهون إلى الجنـة ، وأهـل النـار يسقطون فيها .

قال تعالى: ﴿**وَإِن منكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبكَ حَتْمـاً مَّقْضِيّـا ثُمَّ نُنَجي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًا**﴾[1] [مريم: ٧١-٧٢] .

أوَّلُ مَن يمرُّ عليه:

وأوَّلُ مَن يَمُرُّ عليه سيدُ الخلائق محمدٌ ﷺ وأُمَّتُه ، بَرُّها وفاجرها.

---

(١) **وارِدُها:** الورد موافاةُ المكان ، ومعنى الورود هنا الدخـول ، والضمـير عـائد إلى النار ، فيدخلها البَرُّ والفاجر ، ثُمَّ ينجِّي الله الذين اتقوا منهـا ، **حتمـاً مقضِيّـا:** أي قضاءً لازِماً قضاهُ الله تعالى عليكم وأوجَبَه ، **جِثِيًا:** جاثين على الرُّكَب .

أما الأبرار المتَّقون: فينجيهم ا للهُ تعالى ويجوزون الصرَاطَ بسلام .

وأما الفُجَّارُ فيتهافتون في النار عن يمين وشمالٍ تهافُتَ الفَرَاش .

وفي الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: "ويُضرَبُ الصراطُ بين ظَهْرَيْ جهَنَّم ، فأكونُ أنا وأُمَّتي أوَّلَ مَن يُجيز[1] ، ولا يَتَكَلَّمُ يومئذٍ أحدٌ إلاَّ الرُّسُلُ ، ودعوى الرسُلِ يومئذٍ: اللَّهمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ" [2].

صفةُ الصِّرَاط وأحوالُ الناس عليه:

الصراط أَحَدُّ من السيف ، وأدَقُّ من الشعرة[3] ، وتختلف أحوالُ الناس عليه بحسب أعمالهم..

فمنهم من يمرُّ عليه كَلَمْحِ البصر ، ومنهم من يجوزُه كالبَرْقِ ، ومنهم من يَمُرُّ كالريح ، ومنهم من يَمُرُّ كالفرس الجواد ، ومنهم من يَمُرُّ

---

(١) **أول مَن يجيز:** أول من يمشي عليه ويقطعه .

(٢) رواه البخاري في كتابِ الأذان (٨٠٦) ، وكتابِ الرقاق (٦٥٧٣) ، وكتاب التوحيد (٧٤٣٧) ، ورواه مسلم في كتاب الإيمان (١٨٢) .

(٣) أخرجَ مسلمٌ في صحيحه (١٨٣) في كتابِ الإيمان عن أبي سعيدٍ الخدْري ﷺ أنه قال: "بلَغَني أَنَّ الجسرَ أَدَقُّ من الشعرة ، وأَحَدُّ من السيف" .

كركابِ الإبل ، ومنهم مَن يعدو عَدْواً ، ومنهم مـن يمشـي عليـه مَشْياً ، ومنهم من يزحفُ عليه زحفاً ، ومنهم من يُخْطَفُ خَطْفاً ويُلقى في جَهَنَّـمَ والعياذ با لله .

ومَن استقام على صراطِ ا لله الذي هو دينه الحق في الدنيا ، اسـتقام على هذا الصراط في الآخرة ، ومَن انحرفَ عن الصراط المستقيم في الدنيـا فلن يَثْبُتَ على صراطِ الآخرة .

وعند الصراط يفترق المنـافقونَ عـن المؤمنـين ، ويتخلَّفـون عنهـم ، ويسبقهم المؤمنون ، ويُحالُ بينهم بسورٍ يمنعهم من الوصول إليهم.

قال ا لله تعـالى: **﴿يَـوْمَ يَقُـولُ المنَـافِقُونَ وَالمنَافِقَـاتُ لِلَّذِيـنَ آمَنُـوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً فَضُـرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَـةُ وَظَـاهِرُهُ مِـن قِبَلِـهِ العَـذَابُ[1]﴾**

[سورة الحديد:١٣] .

۞۞۞

(١) **انظرونا:** أي انتظرونا ، **نَقْتَبِسْ من نوركم:** أي نستضيء من نوركم ، **فضُـرِبَ بينهم:** أي بين المؤمنين والمنافقين ، **بسور:** حائط بين الجنة والنار .

المناقشة

س١- ما الصِّراط؟ ومتى يَمُرُّ عليه الناس؟

س٢- مَن أوَّلُ مَن يمرُّ عليه؟

س٣- ما صفةُ الصِّراط؟

س٤- كيف يكون حال الناس على الصِّراط؟

س٥- ما السبيل للاستقامة على الصِّراط؟

س٦- كيف يكون حال المنافقين على الصِّراط؟

س٧- اذكر دليلاً لِما يلي:

أ - يمرُّ جميعُ الناسِ على الصِّراط .

ب- أوَّلُ مَن يمرُّ على الصِّراط سيِّدنا محمد ﷺ وأُمَّته .

جـ- عند الصِّراط يفترقُ المنافقون عن المؤمنين.

الدرسُ الخامس والخمسون

الجَــنَّةُ والنَّار

الجنة: هي دار الثواب التي أعَدَّهـا الله للمؤمنـين المتَّقـين الصـالحين الأبرار .

والنـار: هـي دار العِقـاب الـتي أعدَّهــا الله للمنــافقين والكُفَّــار ، والعُصاةِ الأشرار .

ويجب الإيمانُ بِأَنَّ الجَنَّةَ حَقٌّ ، والنارَ حَقٌّ ، لا ريب فيهما ، والجنـة والنار هما الجزاء الإلهي العـادل الـذي ينتظـر أهـلَ الحـق وأهْـلَ البـاطل ، وحزبَ الله وحزبَ الشيطان ، وفريـقَ الخـير وفريـقَ الشـر ، قـال تعـالى: **﴿إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيم وَّإِنَّ الفُجَّارَ لَفِـي جَحِيـم يَّصْلَوْنَهَـا يَـوْمَ الديـن﴾** [الانفطار: ١٣-١٥] .

خلود الجنة والنار:

والجَنَّـةُ خـالدةٌ لا تفنـى ، والنـارُ كذلــك ، وأهلهمــا مخلَّـدون لا يدركهـمُ المـوت ، ولا يلحقهـم الفنـاءُ ، وقـد دلَّـت علـى ذلـك الآيـات والأحاديث .

يقول الله تعالى عن الجنة وأهلها: ﴿**أُكُلُهَا دَائِمٌ وَّظِلُّهَا**﴾ [الرعد: ٣٥] .

ويقول سبحانه: ﴿**جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا**﴾ [البيِّنة: ٨] .

ويقول تعالى عن النار وأهلها: ﴿**وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ**﴾ [المائدة: ٣٧].

ويقولُ عزَّ وجلّ: ﴿**لا يُقضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلا يُخَفَّفُ عَنْهُم منْ عَذَابِهَا**﴾ [فاطر: ٣٦].

ويقولُ سبحانه: ﴿**إِنَّ اللهَ لَعَنَ الكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيراً خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدا**﴾ [الأحزاب: ٦٤].

وفي الحديث: "إذا كان أهلُ الجَنَّةِ في الجَنَّةِ ، وأهلُ النَّارِ في النَّار ، نادى منادٍ: يا أهلَ الجنَّةِ خلودٌ فلا موت ، ويا أهل النار خلودٌ فلا موت"[1].

"وقد دلَّت السُّنَّةُ المستفيضة أنه يخرج من النار مَن قالَ: لا إله إلاَّ

---

(١) رواه البخاري (٤٧٣٠) في تفسير القرآن ، ومسلم (٢٨٤٩) في كتاب الجنة من حديث أبي سعيد الخُدريّ ﷺ .

الله ، وأحاديث الشفاعة صريحةٌ في خـروجِ عصـاةِ الموحدين مـن النـار ، وأنَّ هذا حكمٌ مختصٌّ بهم ، فلو خرج الكفَّارُ منها ، لكانوا بمنزلتهم ، و لم يختصَّ الخروجُ بأهل الإيمان" (١) .

الجنة والنار مخلوقتان:

والجنةُ والنار هما مخلوقتان الآن ، لقولـه تعـالى في الجنـة: ﴿**أُعِـدَّتْ للمتَّقين**﴾ [سورة آل عمران: ١٣٣] ، ﴿**أُعِدَّتْ للَّذينَ آمنوا با للهِ ورُسُـلِه**﴾ [الحديد: ٢١] .

ولقوله تعـالى في النـار: ﴿**أُعِـدَّتْ للكـافِرين**﴾ [آل عمـران: ١٣١] ، والإعداد: التهيئة .

ولقوله ﷺ حينَ صلى صلاةَ الكسوف: "إني رأيتُ الجنـةَ فتنـاولتُ منها عنقوداً ، ولو أصبتُهُ لأكلتُم منه ما بقيَتِ الدنيا ، ورأيتُ النـارَ ، فلـم أرَ كاليومِ منظراً قطُّ أفظع" (٢) .

ومنهـا أحـاديث المعـراج الصحيحـة الـتي رأى فيهـا النـبيُّ ﷺ الجنةَ والنارَ .

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ، لابن أبي العز الحنفي ٢:٦٢٩ .

(٢) رواه البخاري (١٠٥٢) ، ومسلم (٩٠٧) ، كلاهما في كتاب الكسوف.

مكان الجنة والنار:

الجنة في أعلى علِّيينَ ، لقوله تعالى: ﴿كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيين﴾ [1] [المطففين: ١٨] .

والنار في أسفل سافلين ، لقوله تعالى: ﴿كلاَّ إِنَّ كتابَ الفُجَّارِ لَفِي سِجين﴾ [2] [المطففين: ٧] .



(١) **علّيّين:** جمع عِلّيٌّ من العُلوِ ، وعلّيُّون في السماء السابعة تحت العرش .

(٢) **سجّين:** أسفل سبع أرضين ، وسُمّيَ سجّيناً من السجن ، وهو الحبس والتضييق في جهنم .

المناقشة

س١- ما الجنة؟ وما النار؟

س٢- ما الدليل على خلودِ الجنة وأهلها؟

س٣- ما الدليل على خلودِ النارِ وأهلِها؟

س٤- هل الجنةُ والنار مخلوقَتان؟ اذكر الدليل على إجابتك؟

س٥- أينَ مكانُ الجنة والنار؟ مع الدليل .

س٦- أكمل الأدِلَّة الآتية ، ثُمَّ اذكر ما ترشد إليه؟

أ - ﴿إنَّ الأبرار لفي ....﴾ .

ب- "إذا كـانَ أهـلُ الجنـة في الجنـة ....

................" .

جـ- "إني رأيتُ الجنةَ فتنـاولتُ ....

.... ورأيتُ النار ...." .

الدرس السادس والخمسون

الجنـــــّــــةُ

(أسماؤها وصورٌ من نعيمها)

لقد جاء ذِكرُ الجنة في القرآن في آياتٍ كثيرة ، ومـا أعَـدَّ الله فيهـا للمؤمنين المتَّقين من نعيمٍ مقيم ، مما يملأ قلوبَهـم بهجـةً وسـعادة ، وفرحـاً واستِبْشَاراً ، ويجعلهم في شوقٍ إليها ، وعملٍ ليكونوا من أهلها .

أسماء الجنَّة:

وللجَنَّةِ أسماء كثيرة تدلُّ على عظيم شأنها ، ومن هذه الأسماء:

١- **دار السَّلام:** أي دار الأمـن والسَّـلامة مـن كـل آفـة ، ومـن كـل مكروه . قال تعالى: ﴿**لَهُمْ دَارُ السَّلاَمِ عِندَ رَبِهِمْ**﴾ [الأنعام: ١٢٧] وقال سبحانه: ﴿**وا لله يَدْعُو إِلى دَارِ السَّلاَمِ**﴾ [يونس: ٢٥] .

٢- **جنَّةُ الخلد:** أي دار الخلد والبقاء ، التي لا ينتقِلُ عنها أهلهـا ، ومـا هم منها بمخرَجين ، قال تعالى: ﴿**قُـلْ أَذَلِـكَ خَـيرٌ أَمْ جَنَّـةُ الخُلْـدِ الَّتِي وُعِدَ المتَّقونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاء وَمَصِيرا**﴾[الفرقان: ١٥].

٣- **جَنَّاتُ عـدن:** أي جنـات إقامـة ودوام ، واسـتقرارٍ وثبـات ، قـال

تعالى: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ﴾ [الكهف: ٣١] .

٤- **ومن أسمائها:** جناتُ النعيم ، جنةُ المأوى ، دار المقامة ، المقام الأمين ، إلى غير ذلك من الأسماء .

صُوَرٌ من نعيمِ الجنَّة:

في الجنَّةِ من النعيم الذي أعَدَّهُ الله لِعِبَادِهِ الصَّالِحِين ما لا عينٌ رَأَتْ ، ولا أُذُنٌ سمعت ، ولا خطرَ على قلبِ بَشَر ، فمِن ذلك:

١- **أنهارُ الجنة:** ففي الجنةِ أنهارٌ كثيرةٌ ، تموجُ بالنِّعَمِ العظيمة ، وتجري بالخيراتِ الوفيرة ، قال تعالى: ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى[1]﴾ [محمد ﷺ:١٥] ، فهذه أصنافٌ أربعةٌ من أنهار الجنة ، نفى الله سبحانه عن كل واحدٍ منها ما يعرض له في الدنيا من آفاتٍ ، فآفةُ الماء أن يأسنَ من طول مُكثهِ ، وآفةُ اللبن أن يتغيَّر طعمه بالحموضة ، وآفة الخمر كراهة مذاقها ، وما ينتج بسببها من شرور ، وآفةُ العسل عدم تصفيته .

---

(١) **غير آسن:** غير متَغَيّرٍ ولا مُنتن ، يقال: أسن الماء إذا تغيَّر طعمه وريحه .

٢- **ألوانُ الطعام والشراب:**

قال تعالى: ﴿**وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ بِأَكْوَابٍ وَّأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِن مَّعِينٍ لاَّ يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلا يُنزِفُونَ وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ**[1]﴾ [الواقعة: ١٧-٢١] .

وقال سبحانه: ﴿**وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ وَّطَلْحٍ مَّنضُودٍ وَّظِلٍّ مَّمْدُودٍ وَّمَاءٍ مَّسْكُوبٍ وَّفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ لا مَقْطُوعَةٍ ولا مَمْنُوعَةٍ**[2]﴾ [الواقعة: ٢٨-٣٣] .

وكُلَّمَا جاءهم نوعٌ من الثمارِ خُيلَ إليهم أنه مثل سابقه ، فإذا هو لا يشبهه إلاَّ في لونه أو شكله أو اسمه ، أما طعمه فمختلف .

قال تعالى: ﴿**كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِزْقاً قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهاً وَّلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَّهُمْ**

---

(١) **أكواب:** جمع كوب ، وهي الأقداح التي لا آذانَ لها ولا عُرى ، **أباريق:** جمع إبريق ، وهي ذواتُ الخراطيم والعُرى ، **مَعين:** خمر جارية ، **لا يصدَّعون عنها:**لا تصدع رؤوسهم من شربها ، **ولا يُنزِفون:** أي لا يغلب على عقولهم ولا يسكرون .

(٢) **سدرٍ مخضود:** لا شوك فيه ، **وطلح منضود:** موزٍ متراكم ، **ظلٌّ ممدود:** دائم لا تزيله الشمس .

فِيهَا خَالِدُون﴾ [البقرة: ٢٥] .

وأمَّا شرابهم فرَحيقٌ مختومٌ ممزوجٌ بالمسك ، قال تعالى: **﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مخْتُومٍ خِتَامُهُ مِسْك﴾** [1] [المطففين: ٢٥-٢٦] ، أو ماءٌ ممزوجٌ بالكافور أو الزنجبيل ، كما قال تعالى: **﴿إنَّ الأبرارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْس كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورا﴾** [2] [الإنسان: ٥] ، وقال تعالى: **﴿ويُسقونَ فيها كأساً كانَ مِزَاجُهَا زَنجَبيلا عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلا﴾** [3] [الإنسان: ١٧-١٨] .

٣- **وأمَّا لباسُهم وفُرُشُهُمْ وأَرَائِكُهُمْ وسُرُرُهم في الجنة** ، فكما قال

---

(١) **رحيق:** يعني الخمر الصافية الطيبة البيضاء ، **مختوم:** يعني ختم على ذلك الشراب ، ومنع من أن تمسَّه الأيدي إلى أن يفك خَتْمَهُ الأبرارُ ، **ختامه مسك:** أي آخر طعمه وعاقبته مسك .

(٢) **مزاجُها كافورا:** يُمزج شرابهم بالكافور ، وأراد بالكافور: بياضَه ، وطيبَ ريحه .

(٣) **ويُسقَون فيها:** أي في الجنة ، **مزاجها زنجبيلا:** يمزج شرابهم بالزنجبيل ، وكل ما ذَكَرَ الله تعالى في الجنة وسَمَّاه ليس له مثل في الدنيا ، **سَلْسَبِيلا:** وصفت العين سلسبيلا لسلاسة انحدارِها في الحلوق ، وسهولة مَسَاغِها ، ولأنها تسيل عليهم في طرقهم ومنازلهم .

تعالى: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِير﴾ [فاطر:٢٣].

وقال سبحانه: ﴿يحلّون فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَب وَيَلْبَسُونَ ثِيَاباً خُضْرا مـن سُندُس وَإِسْتَبْرَق مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِك[1]﴾ [الكهف: ٣١] .

وقال سبحانه: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَق﴾ [الرحمن: ٥٤] . وإذا كانت بطائنها كذلك فكيف بظهائرها؟

٤- وأمَّا نساءُ الجنة ، فكلُّهُنَّ عذارى ، وكلُّ امرأةٍ تحب زوجها ولا يمتدُّ طَرْفُها إلى غيره ، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إنشاءً فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً عُرُباً أَتْرَابا لأَصْحَابِ اليمين[2]﴾ [سورة الواقعة: ٣٥-٣٨] .

---

(١) **سندس:** هو الحرير الرقيق ، **وإستبرق:** هو الحرير الغليظ .

(٢) **أنشأناهن إنشاءً:** خلقناهن خلقاً جديداً ، يعني الآدميات العجائز ، **أبكارا:** عذارى ، **عُرُباً:** جمع عَروب ، وهي المتحبِّبَة إلى زوجها ، **أتراباً:** يعني أمثالاً في الخلق ، ومستويات في السن ، **لأصحابِ اليمين:** يعني أنشأناهن لأصحاب اليمين .

وقال تعالى: ﴿**فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ**[1]﴾ [سورة الرحمن: ٥٦] .

٥- وحياتهم في الجنة ليست كحياتهم في الدنيا ، فلا يجري عليهم في الجنة ما كان يجري عليهم من ضرورات الحياة الدنيا ، فلا يَبُولُونَ ولا يتغوَّطون ، ولا يتْفُلون ، ولا يمتَخِطونَ ، وإنما تعرَقُ أجسامُهم رَشْحاً كالمِسْك .

يزيِّنُ ذلك النعيم كلَّه شبابٌ لا يذوي ، وصحةٌ لا تبلى ، وحياةٌ لا تفنى ، كما جاء في الحديث: "إذا دخلَ أهلُ الجنة الجنةَ نادى منادٍ: إنَّ لكم أن تنعموا فلا تبتئسوا أبدا ، وإنَّ لكم أن تصِحُّوا فلا تسقَموا أبداً ، وإنَّ لكم أن تشبُّوا فلا تهرموا أبدا ، وإنَّ لكم أن تَحْيَوْا فلا تموتوا أبداً" [2] ، فذلك قوله عزَّ وجلَّ: ﴿**وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾ [الأعراف: ٤٣] .

۞۞۞

(١) **فيهن**: أي في الجَنَّتين، **قاصراتُ الطَّرْف**: غاضَّاتِ الأعيُن ، قصَرْنَ أطرافَهُنَّ على أزواجِهِنَّ فلا ينظُرن إلى غيرهم ، **لم يطمثهُنَّ**: أي لم يجامعهن .

(٢) رواهُ مسلم (٢٨٣٧) في كتاب الجنة .

المناقشة

س١- لماذا أكثرَ الله سبحانه في كتابه من ذِكْرِ الجنة ونعيمها؟

س٢- اذكر ثلاثةً من أسماءِ الجنة؟

س٣- اذكر أصناف أنهار الجنة ، وماذا نفى الله عنها من آفات؟

س٤- كيف يتشابه طعامُ أهل الجنة؟

س٥- ما شراب أهل الجنة؟ مَعَ الدليل؟

س٦- ما لباسُ أهل الجنة وفرشهم؟ مَعَ الدليل؟

س٧- ما صفاتُ نساءِ أهل الجنة؟ مَعَ الدليل؟

س٨- تفترق حياةُ أهل الجنة فيها عن حياتهم في الدنيا ، وضّح ذلك؟

الدرس السابع والخمسون

النعيم الروحي في الجنة

ليست الجنَّةُ دارَ نعيم مادّيٍّ فَحَسْب ، وإنما هي دارٌ للنعيم الروحي أيضاً ، ومن ذلك:

١- إحلالُ رِضْوانِ اللهِ عليهم ، فلا يَسْخَط عليهم أبداً.

قال رسول الله ﷺ : "إنَّ الله تباركَ وتعالى يقولُ لأهل الجنة: يا أهل الجنة ، فيقولون: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وسَعْدَيْكَ[1] والخيرُ في يديك ، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا رب وقد أَعطيتنا ما لم تُعطِ أحداً من خلقك؟! ؛ فيقول: ألا أعطيكم أفضلَ من ذلك؟ ؛ فيقولون: يا رب وأيُّ شيءٍ أفضل من ذلك؟ فيقول: أُحِلُّ

---

(١) **لَبَّيْكَ**: الفعل من هذه الكلمة: لبَّ أو أَلَبَّ بالمكان ، إذا أقام به ، ولم يفارقه ، والتثنية في قولك: "لبّيك" بمعنى أُجيبُكَ إجابةً بعد إجابة ، وأُلَبِّي طلبك تلبيةً بعد تلبية ، فالتثنية على معنى التكرار والاستمرار ، **وسَعْدَيك**: الفعل من هذه الكلمة: ساعد ، فالمعنى هنا مساعدةً منكَ بعد مساعدة ، والتثنية أيضاً للتكرار والاستمرار .

عليكم رِضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً" [1] .

وهذا الرضوان إنما هو رضوانٌ خـاص ، وأمَّـا الرضـوانُ العـام فهـو حاصلٌ لهم من قبل ، ولولاه لَما أدخلهم الجنة[2] .

٢- ومنها: رؤيةُ الله عزَّ وجَلّ بالأبصار ، والتمتُّعُ بـالنظرِ إلى وجهـه الكريـم[3]: وهـي أنعَـمُ نعيـمٍ ، وهـي الغايـة الـتي تنـافسَ فيهـا

---

(١) رواه البخاري في كتاب الرقاق (٦٥٤٩) ، ومسلم في كتاب الجنة (٢٨٢٩).

(٢) "من صِحاحِ الأحاديث القدسية" ، للأستاذ محمد عوامة ، ص ٣٩٦ ، وينظر فيه شرح هذا الحديث ص ٣٩٢-٣٩٦ .

(٣) رؤيةُ الله تعالى بالأبصار في الآخرة ثابتةٌ بالكتاب والسنة والإجماع ، وهـو قـول سلف الأمَّةِ وأئمَّتها ، وجماهير المسلمين ، والأحـاديث الـواردة في الرؤيـة كثـيرةٌ جداً ، بلغت حدَّ التواتر ، وقد أنكر المعتزلـةُ والجهميـةُ الرؤيـةَ ، واستـدَلُّوا علـى نفيها بقوله تعالى: ﴿**لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُـوَ يُـدْرِكُ الأَبْصَـارَ**﴾ [الأنعام:٣] ، وقد جاء الخطأ من الخلط بين الرؤية وبين الإدراك ، وعدم التفريق بينهما ؛ فـإنَّ الرؤيـة غـير الإدراك ، ولا يـلزم مـن وجـود الرؤيـة تحقـق الإدراك ، فَـإنَّ إدراكَ الشيء هو الإحاطةُ به من جميعِ جوانبه ، وهـو بهـذا المعنـى مسـتحيلٌ علـى الله تعالى ، الَّذِي ليس كمثله شيء ، وذلك لا ينفي وجود الرؤية ، فالمؤمنون يـرَون ربَّهم سبحانه بأبصارهم عياناً في الجنة ، ولا تدركه أبصارهم ، أي لا تحيط به ، فالله عزَّ وجلَّ لا يوصف بِأَنَّ شيئاً يحيط به ، وهو بكل شيء محيط .

المتنافسون ، وتسابقَ إليها المتسابقون: ﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣] .

عن صهيب الرومي ﷺ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: "إذا دَخَلَ أهلُ الجنَّةِ الجنَّةَ ، يقولُ الله تعالى: تُريدون شيئاً أزيدكم ، فيقولون: ألَم تُبيضْ وجوهَنا؟ ألَمْ تُدخِلْنا الجنَّةَ؟ ألَمْ تُنَجنا من النار؟ قال: فيُكشَفُ الحِجابُ ، فما أُعطوا شيئاً أحبَّ إليهم من النظر إلى ربهم عزَّ وجل" (١) .

وهذه الرؤية هي الزيادة التي جاء ذِكرُها في قول الله تعالى: ﴿**لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ**﴾ (٢) [يونس: ٢٦] .

٣- ومنها: تحيَّاتهُ تعالى وتسليماتُه على أهلِ الجنة:

قال الله تعالى: ﴿**تَحِيَّتُهُمْ يومَ يَلْقَوْنَهُ سلامٌ وأعدَّ لهم أجراً كَرِيماً**﴾ [الأحزاب: ٤٤] .

---

(١) رواه مسلمٌ في كتابِ الإيمان ١:١٦٣(٢٩٧) .

(٢) كما جاءَ في رواية الإمام أحمد ٤:٣٣٢، "ثُمَّ تلا رسول الله ﷺ : ﴿**للذين أحسنوا الحسنى وزيادة**﴾"

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الجَنَّةِ اليَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الأَرَائِكِ مُتَّكِئونَ لَهُمْ فِيهَا فَاكهة وَلَهُم مَّا يَدَّعونَ سَلامٌ قَوْلًا من رَّب رَّحِيم﴾ [يس: ٥٥-٥٨] .

٤- **ومنها: ثناؤه سبحانه على أهلِ الجنةِ وشكرهم على عملهم الصالح:**

قال الله سبحانه بعد أن ذَكَرَ ألوانَ النعيم في الجنة ، وأصنافَ اللذائذ ، وأنواعَ الكرمِ الإلهي: ﴿إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزاء وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكورا﴾ [الإنسان: ٢٢] .

٥- **ومنها: المَعِيَّة لرسولِ الله ﷺ ومرافقتُهُ والاجتماع به:**

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ الله وَرَسُولَهُ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ الله عَلَيْهِم مِنَ النَّبِيينَ والصديقِينَ والشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ذَلِكَ الفَضْلُ مِنَ اللهِ وَكَفَى بِاللهِ عَلِيما﴾ [النساء:٦٩] .

اللهم إنا نسألك نعيماً لا ينفد ، وقُرَّةَ عينٍ لا تنقطع ، ومرافقة النبي ﷺ في أعلى الجنةِ جَنَّةِ الخلد .



المناقشة

س١- عددْ مظاهر النعيم الروحي في الجنة؟

س٢- هل يرى المؤمنون ربَّهم سبحانه في الجنة ، اذكر دليلاً عَلَى ذلك؟

س٣- ما المراد بالزيادة في قوله تعالى: ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾؟

س٤- كيف ننال معِيَّةَ رسول الله ﷺ ومرافقته في الجنة؟ اذكر دليلاً عَلَى ذلك؟

س٥- أكمل الأدلة الآتية ، ثُمَّ اذكر ما ترشد إليه:

أ - ﴿إنَّ أصحابَ الجنةِ اليوم في شُغُل ....﴾

ب- "إنَّ الله تبارك وتعالى يقول لأهلِ الجنة: يا أهل الجنة ...."

جـ- "إذا دخل أهل الجنة الجنةَ يقولُ الله تعالى: تريدون شيئاً أزيدكم ...."

الدرس الثامن والخمسون

درجات الجنة وثمنها

الجَنَّةُ دَرَجَاتٌ ، بَعْضُها أعلى من بعض ، لكل طائفةٍ من المؤمنين درجة بحسب أعمالهم الصالحة في الدنيا .

قال تعالى: ﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللهِ وَاللهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران:١٦٣].

وقال عزَّ وجل: ﴿ومن يَأتِهِ مُؤْمِناً قدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجاتُ العُلى﴾ [طه: ٧٥] .

وقد جاءَ في السُّنَّةِ الصحيحة"أَنَّ في الجنَّةِ مائةَ درجةٍ ، أعَدَّها الله للمجاهدينَ في سبيله ، ما بين كل دَرَجَتَينِ كما بين السماء والأرض"(١) .

وأعلى درجاتِ الجنة المائة: **الفردوس** ، قال ﷺ : "إذا سألتم الله ، فسَلوهُ الفردوسَ ، فإنه وسط الجنة ، وأعلى الجنة ، وفوقه عرش الرحمن ، ومنه تَفَجَّرُ أنهار الجنة" (٢) .

---

(١) رواه البخاري في الجهاد (٢٧٩٠) ، وفي التوحيد (٧٤٢٣) .

(٢) تقدم تخريجه ، وهو تتمة الحديث السابق .

وأشرفُ منزلةٍ ، وأسمى درجة في الجنةِ وأعلاها هي (الوسيلة) التي خصَّ ا للهُ سبحانه بها نبيَّنا محمداً ﷺ .

وورَدَ أَنَّ لصاحبِ القرآنِ الَّذِي كان يقرؤه في الدُّنيا ، ويهتدي به ، ويدعو إليه ، منزلةً عظيمة ، فهو يصعد بكُل آيةٍ يقرؤها درجةً في الجنة ، كما جاء في الحديث: "يُقالُ لصاحبِ القرآنِ إذا دخلَ الجنَّةَ: اقرأ واصعد ، فيقرأُ ويصعدُ بكل آيةٍ درجةً حَتَّى يقرأَ آخرَ شيءٍ معه" (١) .

ثَمَنُ الجنَّة:

هذه الدرجات العالية ، والمنازل الرفيعة ، وَذَلِكَ النعيمُ العظيم ، والرزقُ الكريم ، لاُينال بالأماني والأحلام ، فالجَنَّةُ لا يدخلها وينال أعلى المراتب فيها إلاَّ مَن تحقَّق بصدقِ الإيمان ، وقام بصالح الأعمال ، واتَّصَفَ بكرائم الصفات .

قالَ تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ المؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ في صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ

---

(١) رواه أحمد في المسند ٣:٤٠ ، وأبو يعلى في مسنده (١٠٩٤) من حديثِ أبي سعيدٍ الخُدري ﷺ ، وقال الهيثميُّ ٧:١٦٢: رواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح ، ورواه أبو داود (١٤٦٤) في الصلاة ، والترمذي (٢٩١٤) في ثوابِ القرآن ، من حديث عبدا لله بن عمرو بن العاص .

وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعرِضُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ العَادُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظونَ أُولَئِكَ هُمُ الوَارِثُونَ الَّذِينَ يَرِثُونَ الفِرْدَوسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ[1]﴾ [المؤمنون: ١-١١].

وقال سبحانه: ﴿إنَّ ا للهَ اشْتَرَى مِنَ المؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ ا للهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ ا للهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ التَّائِبُونَ العَابِدُونَ الحَامِدُونَ السَّائِحُونَ[2] الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الآمِرُونَ بِالمعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ المنكَرِ والحَافِظُونَ لِحُدُودِ ا للهِ وَبَشِّرِ المؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١١١-١١٢] .

وفي الحديث: "مَن خافَ أدْلَجَ ، ومن أَدْلَجَ بلغَ المنزلَ ، ألا إنَّ

---

(١) **اللغو**: كلُّ كلامٍ ساقطٍ حقه أن يلغى . **الفردوس**: أعلى الجنة .

(٢) **السائحون**: هم الصائمون ، وقيل: الغزاة والمجاهدون .

سِلْعَةَ اللهِ غالية ، ألا إنَّ سلعة الله الجنة" [1] .

نسألُ اللهَ سبحانه أن يَجْعَلَنا من ورثَتِها ، وأن يَمُنَّ علينا بدخولها بفضله ورحمته .

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾
[يونس: ٩-١٠] .

وآخِرُ دعوانا أنِ الحمدُ للهِ رَبِّ العالمين .

❁❁❁

(١) رواه الترمذي من حديثِ أبي هريرةَ في صفة القيامة (٢٤٥٢) ، وقال: حسنٌ غريب ، **أدلج:** إذا سار من أولِ الليل ، ومعنى الحديث كما قال المنذري في "الترغيب والترهيب" ٤:٢٦٢: "أنَّ من خافَ ألزَمَهُ الخوفُ السلوكَ إلى الآخِرةِ ، والمبادرةَ بالأعمالِ الصالحة ، خوفاً من القواطع والعوائق" .

المناقشة

س١- هل الجنة درجة واحدة؟ ولماذا؟

س٢- ما عدد درجات الجنة؟ وما أعلى درجاتها؟ وما هيَ أشرف منزلةٍ فيها؟

س٣- ما درجة صاحبِ القرآنِ في الجنة؟

س٤- ما ثمنُ الجنة؟

س٥- أكمل الأدلة الآتية ثُمَّ اذكر ما ترشد إليه:

أ - ﴿قد أفلح المؤمنون الَّذِينَ هُم ....

....

....﴾.

ب- "إذا سألتم الله فسلوه ....".

جـ- "مَن خافَ أدلج ، ومَن ....".

الدرسُ التاسع والخمسون

النَّـــــار

لقد جاء وصف النَّار في مواضعَ كثيرةٍ جـداً مـن القـرآن الكريـم ، وأخبر سبحانه عمَّا فيها من صنوفِ العذابِ والنَّكال ما يذيـب القلـوب ، ويشيب النَّواصي ، ويجعل الناسَ يسارعون في العمـل لاجتنـابِ خطرهـا ، والبعدِ عن لهيبها .

أسماؤها:

وللنَّارِ أسماء كثيرة تُشعر بِهَوْلِها ، فمن أسمائها:

١- **الهاوية**: التي يهوي فيهـا المشـركون إلى قـاعٍ سـحيق: ﴿**وأمَّا مَن خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ نَارٌ حَامِيَةٌ**﴾ [القارعة:٨-١١] .

٢- **والسَّعير**: أي النار المتَّقِـدة ، قـال تعـالى: ﴿**وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ**﴾[الملك:٥].

٣- **ولَظَى**: وسُميَتْ لظى لأنها تتلظَّى ، أي تلتهب . قال تعالى:

﴿كَلاَّ إِنَّهَا لَظَى نزَّاعةً للشَّوَى[1]﴾[المعارج: ١٥-١٦].

٤- **سَقَر**: قال تعالى: ﴿**سَأُصْلِيهِ سَقَرَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ لا تُبْقِي وَلاَ تَذَر**﴾[المدَّثِّر: ٢٦-٢٨].

٥- **وجهنَّم**: وهي أكثر أسماء النار شيوعاً في القرآن الكريم[2] ، منها قوله تعالى: ﴿**إِنَّ ا للهَ جَامِعُ المُنَافِقِينَ وَالكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً**﴾[النساء: ١٤٠].

وَقودها:

والنَّارُ وَقُودُها النَّاسُ والحجارة التي لا يَعرف قدر عِظَمِها إلاَّ ا لله ، ومن وقودها تلك الآلهة المزعومة التي كان المشركون يعبدونها في الدنيا ، تلقى في النار مع عبَدَتِها .

يقول ا لله سبحانه: ﴿**فاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ والحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِين**﴾ [سورة البقرة:٢٤].

---

(١) **الشَّوى**: يعني الأطراف ، كاليدين والرِّجلَين مما ليس بمقتل ، والمعنى: أَنَّ النار تنزعُ الأطراف فلا تترك عليها لحماً ولا جلداً .

(٢) وردَ ذِكرُها في (٧٧) موضعاً من كتاب ا لله عزَّ وجَلّ .

ويقولُ الله عزَّ وجلّ للمشركين: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُون﴾ [1] [الأنبياء: ٩٨] .

عذابُ أهل النار:

وأهلُ النار في عذابٍ مقيم ، وبؤسٍ شديد ، لا يموتون فيستريحون ، ولا يُخَفَّفُ عنهم من عذابها ، بل يزاد عليهم العذاب ، وكلّما نَضِجَتْ جلودُهم بدَّلهم الله جلوداً غيرَها ليذوقوا العذاب .

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلا يُخَفَّفُ عَنْهُم منْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُور﴾ [فاطر: ٣٦] .

وقال تعالى: ﴿إنَّ الَّذِينَ كفروا بآياتنا سوفَ نُصْلِيهِم ناراً كلّما نضِجَتْ جلودُهُمْ بدَّلنَاهُمْ جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب﴾ [النساء: ٥٦].

طعامُهُم وشرابهم:

أمَّا طعامهم فهو ثلاثةُ أصنافٍ ذَكَرَها اللهُ تعالى في القرآنِ الكريم ،

---

(١) **حَصَبُ جهنم**: أي حطبها ووقودها ، **واردون**: أي داخلون فيها .

كلُّ صنفٍ من أهل النار يأكل صنفاً من هذا الطعام .

فالصنفُ الأول: **الزَّقوم** ، كما قال تعالى: ﴿**ثمَّ إنكم أيُّها الضَّالُّون المكَذِّبونَ لآكِلونَ من شَجَر من زَقُّومٍ فَمَالِئُونَ مِنْهَا البُطُونَ**﴾ [الواقعة: ٥١-٥٣] ، وشجرةُ الزَّقُّوم تنبت في قعر جهنم ، وثمارها تشبه في بشاعتها رؤوسَ الشياطين ، قال تعالى: ﴿**إنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ في أَصْلِ الجحيم طَلْعُها كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِين**[1]﴾ [الصافات: ٦٤] .

وقال سبحانه: ﴿**إنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّوم طَعَامُ الأَثِيمِ كَالمهْلِ يَغْلِي في البُطُون**﴾ [الدُّخان: ٤٣-٤٤] .

والصنف الثاني: **الضَّريع** ، كما قال تعالى: ﴿**لَيْسَ لهمْ طعامٌ إلاَّ مِن ضَرِيع لا يُسْمِنُ وَلا يُغْني مِن جُوع**﴾ [الغاشية: ٦-٧] ، والضريع: نبتٌ ذو شوكٍ يابس ، لا تقربه دابَّة ولا ترعاه ، وهو سُمٌّ قاتل .

والصنفُ الثالث: **الغسلين** ، كما قال تعالى: ﴿**فَلَيْسَ لَهُ اليَوْمَ هَا هُنَا حَمِيم وَّلا طَعَامٌ إلاَّ مِنْ غِسْلِين**﴾ [الحاقَّة: ٣٦] ، والغسلين هو: الصديد السائل من أجسادِ أهل النار وفروجهم .

والصفة العامة لهذه الأصناف الثلاثة أنها -مع بشاعة طعمها

(١) **أصلُ الجحيم:** أي في قعرِ النار ، **طلعُها:** ثمرُها ، سُمِّيَ طلعاً لطلوعه .

ومنظرها- تقفُ في الحلقِ ويغصُّ بها الآكل ، كما قال تعالى: ﴿**إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالا وَّجَحِيما وَّطَعَاماً ذَا غُصَّة وَّعَذَاباً أَلِيما**[1]﴾ [المزّمّل: ١٢-١٣] .

وأمَّا شرابهم فهوَ الحميم والقيحُ والصَّديد ، يَشوي وجوهَهم وهو قريبٌ منها ، فكيف بحلوقهم وبطونهم التي تتجرعه؟ .

قال تعالى: ﴿**وَإِن يَّسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْـمُهْلِ يَشْوِي الوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقَا**﴾[2] [الكهف: ٢٩] .

وقال سبحانه: ﴿**وَيُسْقَى مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ يَّتَجَرَّعُهُ وَلاَ يَكَادُ يُسِيغُه**﴾[3] [إبراهيم: ١٦-١٧].

دَرَكاتُ النار:

والنارُ دركاتٌ تتفاوتُ في شدَّتها بحسب أعمال أصحابها في

---

(١) **أنكالا:** قيوداً عِظاماً ثِقالا ، **ذا غُصَّة:** غير سائغ في الحَلْق .

(٢) **وإن يستغيثوا:** من شدة العطش ، **كالـمُهْل:** ماء غليظ كعَكَرِ الزيت ، **سَاءَتْ:** النار ، **مُرْتَفَقَا:** منزلاً ومتّكئا .

(٣) **ماءٍ صديد:** ما سال من الجلد واللحم من القيح ، **يَتَجَرَّعُهُ:** أي يتحسَّاه ويشربه جرعة بعد جرعة لمرارته ، وحرارته ، وكراهته ، ونَتنِهِ ، **ولا يكاد يُسِيغُهُ:** لا يقدر على ابتلاعه .

الدنيا ، فيَلقى كلٌّ جزاءه على حَسْبِ عمله .

وقد قال الله عزَّ وجَلّ في المنافقين: ﴿**إنَّ المنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ**﴾[1] [سورة النساء: ١٤٥] .

أهونُ أهل النارِ عذاباً:

وإنَّ الإنسان ليتملَّكه الفزع حين يعلم "أَنَّ أهون أهل النار عذاباً من له نَعْلانِ وشِرَاكان من نارٍ يغلي منهما دماغُه ، كما يغلي المِرْجَل ، ما يَرَى أَنَّ أحداً أشدُّ منه عذاباً ، وإنه لأهونهم عذاباً"[2] ، فإذا كانَ هذا أخفَّ أهلِ النارِ عذاباً ؛ فكيف بمن يكون في الدَّرْكِ الأسفل من النار أعاذَنا الله جميعاً منها.

---

(١) **الدَّرْك الأسفل:** يعني في الطبق الذي في قعر جهنم ، والنار سبع دركات بعضها فوق بعض ، وسُمِّيت طبقات جهنم: دَرَكَات؛ لأنها متداركة متتابعة .

(٢) رواه البخاري في كتاب الرقاق (٦٥٦١) ، ومسلم في كتاب الإيمان (٣٦٤) واللفظ له من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما.
والشراك: أحدُ سيورِ النعل ، على ظهرِ القدَم ، **والغليان:** اضطرابُ الماءِ ونحوه على النار لشدَّةِ اتقادِها ، **والمِرجَلُ:** الإناءُ الَّذِي يغلي فيه الماء وغيره ، والمرادُ بأهونِ أهل النار عذاباً: أبو طالب عمُّ النبي ﷺ .

المناقشة

س١- اذكر ثلاثة من أسماء النار؟

س٢- ما وقود النار؟

س٣- كيف يكون عذابُ أهل النار؟

س٤- ما شراب أهل النار؟

س٥- ما طعامُ أهلِ النار؟

س٦- لماذا يتفاوت أهل النار في شدة العذاب؟

س٧- مَنْ أهونُ أهلِ النارِ عذاباً؟

س٨- اذكر دليلاً لكلٍّ مما يلي:

أ - وَقود النار الأصنام التي كان يعبدها المشركون في الدنيا .

ب- لا يموت أهل النار ولا يخفف عنهم من عذابها .

جـ- يشرب أهل النار القيحَ والصديد .

الفَصْل السَّادِس

الإيمانُ بالقدرِ

١- معنى الإيمان بالقدَر ومراتبه .

٢- إرادةُ الله عزَّ وجلّ .

٣- أقسامُ الأقدار الجاريةِ عَلَى الإنسان .

٤- الإرادة البشرية .

٥- الإنسان بين التكليف والابتلاء .

٦- الإنسان بين الهدى والضلال .

٧- أمثلة وأسئلة حولَ القدَر .

٨- الاحتجاجُ على المعاصي بالقدَر .

٩- ندفعُ الأقدارَ بالأقدار .

١٠- ثمراتُ الإيمانِ بالقدَر .



الدرسُ الستُّون

معنى الإيمان بالقَدَر ومراتبه

الإيمانُ بالقَدَرِ هو الركن السادس من أركان الإيمان ، كما جاء ذلك في حديث جبريل المشهور: "الإيمان: أن تؤمنَ با للهِ وملائكتِهِ وكُتُبِه ورُسُلِه واليومِ الآخر ، وتؤمن بالقدَر خيرِهِ وشَره" [1] ، فلا يتحقق إيمانُ عبدٍ حَتَّى يؤمن بالقدَر .

معنى القدَر:

أصله من التقدير والتدبير ، وجعل الشيء يجري على نظامٍ وحكمةٍ ، قال تعالى: ﴿إِنَّا كلَّ شَيءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [سورة القمر: ٤٩] .

ومعنى الإيمان بالقدَر:

هو التصديقُ الجازمُ بأَنَّ كلَّ ما يقعُ في هذا الوجود يجري وفق علمِ ا لله وتقديره منذ الأزل .

مراتبُ القدَر:

---

(١) رواه مسلم (٨) في كتابِ الإيمان من حديث عمر بن الخطاب ﷺ .

معنى تقدير الله لشيءٍ ما يَتَضَمَّنُ إثباتَ حقائقَ أربع:

١- العلم . ٢- الكتابة .

٣- المشيئة . ٤- الخلق .

١- العلم:

فهو سبحانه يعلم الأشياء قبل وقوعها كعلمه بها بعد وقوعها ، يعلم ما كان ، وما سيكون ، وما هو كائن ، لا يغيب عنه شيءٌ صَغُرَ أو كَبُر .

قال تعالى: **﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ وَلاَ أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلاَ أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ[1]﴾**

[سورة يونس: ٦١].

(١) **وما يعزُبُ:** يعني وما يبعدُ ويغيب . وأصلُ العُزوبِ: البُعد . **من مثقالِ ذرَّةٍ:** يعني وزنَ ذرَّةٍ ، **والمثقالُ:** الوزنُ ، **والذَّرَّةُ:** النَّملةُ الصغيرة الحمراء ، وهي خفيفةُ الوزنِ جداً . **ولا أصغرَ من ذلك:** يعني من الذّرة . **كتابٍ مبين:** يعني اللوح المحفوظ .

٢- الكتابة:

إِنَّ ا لله سبحانه قد سجَّل المقَادير المشتملةَ على جميعِ الأعمالِ والأقوالِ ، وجميعِ الشؤون والأحوال ، والحركاتِ والسكنات ، والكُلِّيَّاتِ والجُزئيَّاتِ في كتابٍ عنده هو : (اللوح المحفوظ) .

قال تعالى: ﴿**مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى ا للهِ يَسِيرٌ**[1]﴾ [الحديد: ٢٢] .

وقال تعالى: ﴿**قُل لَّن يُّصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ ا للهُ لَنَا**﴾ [التوبة: ٥١] .

وعن عبادةَ بن الصامت ﷺ أنه قال لابنه[2] : يا بنيَّ إنك لن تجد طعمَ الإيمان حَتَّى تعلم أَنَّ ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وما أخطأك لم يكن ليصيبك ، فإني سمعت رسول ا لله ﷺ يقول: "إنَّ أول ما خلق ا لله تبارك وتعالى: القلم ، فقال له: اكتب . فقال: يا رب وما أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيءٍ حَتَّى تقوم الساعة" ، ثُمَّ قال عبادةُ

(١) **كتاب:** يعني في اللوحِ المحفوظ . **من قبلِ أن نبرأها:** أي من قبلِ أن نخلقَ الأرضَ والأنفس .

(٢) هو التابعِيُّ الجليل: الوليدُ بن عبادة بن الصامت الأنصاري .

ابن الصامت: يا بُنَيَّ ، سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: "مَن ماتَ على غيرِ هذا فليس منِّي"[1].

٣- المشيئة:

إِنَّ كل ما يقع في الكون إنما هو بمشيئة الله وإرادته ، فما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن .

قال الله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاؤُونَ إِلاَّ أَن يَّشَاءَ اللهُ﴾ [الإنسان: ٣٠] .

٤- الخلق:

إِنَّ كل ما في الكون هو بخلق الله تعالى وأثرِ قدرته ، ليس له شريكٌ في الخلق .

قال تعالى: ﴿اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٦] .

وقال سبحانه: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرا﴾ [الفرقان: ٢] .

۞۞۞

---

(١) رواه أحمد في مسنده ٥:٣١٧ ، وأبو داود (٤٧٠٠) في السُّنّة ، والترمذي (٢١٥٥) في القَدَر .

المناقشة

س١- ما حكم الإيمان بالقدر؟

س٢- ما معنى القدَر؟ وما المراد بالإيمان بالقدر؟

س٣- اذكر مراتب القدر؟

س٤- اذكر دليلاً لكلٍّ مما يلي:

أ - العلم .

ب- الكتابة .

جـ- المشيئة .

د - القدرة .

الدرسُ الحادي والستُّون

إرادةُ الله عزَّ وجلّ

الله سبحانه له الإرادة المطلقة ، قال تعالى: ﴿**إنَّ الله يفعلُ ما يريد**﴾ [الحج:١٣] .

وقال سبحانه: ﴿**إِنَّمَا أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ**﴾ [يس:٨٤] .

فكلُّ شيءٍ أرادَ الله وجوده ، فلا بد أن يوجد على وفق قضاءِ اللهِ وقدَرِهِ فيه ، وكلُّ شيءٍ أراد الله سبحانه أن لا يوجد ، فلا يمكن أن يوجد ، ولو اجتمعت قُوى كل الخلائق لإيجاده .

وتنقسمُ الإرادةُ الربَّانية إلى قسمين:

١- إرادةٌ كونِيَّةٌ قَدَرِيَّة:

تتعلَّقُ بكل ما يشاؤه سبحانَه ويقَدرُه .

قال تعالى: ﴿**فمن يُرِدِ الله أن يهْدِيَهُ يشْرَحْ صدرَهُ للإسلامِ ومن يُرِدْ أن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كأنَّما يصَّعَّدُ في السَّماء**﴾ [الأنعام: ١٢٥] .

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ سُوءاً فَلا مَرَدَّ لَهُ﴾ [الرعد:١١] .

وهذه الإرادةُ الكونية مرادفةٌ للمشيئة ، فلا فرقَ بين المشيئة والإرادة الكونية ، وهي التي جاءَ فيها قوله سبحانه: ﴿إنَّما قولُنا لشيءٍ إذَا أرَدْناهُ أن نَّقولَ له كُن فَيكون﴾ [النحل: ٤٠] .

٢- إرادةٌ دينيَّةٌ شرعية:

تتعلَّقُ بكل ما يحبُّهُ الله ويرضاه .

قال تعالى: ﴿يُريدُ الله بكمُ اليُسْرَ ولا يريدُ بكمُ العُسْر﴾ [البقرة: ١٨٥] .

وقال سبحانه: ﴿والله يريدُ أن يَّتوبَ عليكمْ﴾ [النساء: ٢٧] ، ﴿مَا يُرِيدُ اللهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَّلَكِن يُّرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ [المائدة: ٦] .

تَنبيهٌ هام:

إنَّ الآيات التي ذكرت الإرادة بالمعنى الشرعي جاءت في صورة الخبر الصريح إثباتاً ونَفْياً كما في الآياتِ المذكورة أعلاه ، أما

الآيات التي ذكرت الإرادة بالمعنى الكوني فقد جاءت في صورة الشرط ، مثل: ﴿إِن كَانَ اللهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾ ، ﴿وَمَن يُرِدِ اللهُ فِتْنَتَهُ﴾ ، ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ﴾ ، ولم يجئ في القرآن الكريم مثل هذا التعبير الخَبَري: إنما يريد الله أن يغويكم ، أو أولئك الَّذِينَ يريدُ الله أن يضلهم .كلُّ ما جاءَ في القرآن هو نفيُ العجز عن الله ، وإثبات كمال قدرته ، وعمومِ مشيئته ، ولذلك يجب على كل كاتبٍ أو متحدثٍ في هذه المسألة الخطيرة أن يتحرَّى الدّقَّة في ألفاظه ، وأن يلتزم العبارات الواردة في كلامِ الله وكلامِ رسوله ، فيقول: لو شاء الله ما عصى العُصاة ، ولا أشركَ المشركون ، بدل أن يقول: إنَّ الله يريدُ الشركَ والعصيان ، فيفهم من إطلاق إرادةِ المعاصي أنَّ الله يحبها ويرضاها[1] .

الفرقُ بين الإرادتين:

أ - أَنَّ الإرادة الكونية لابد من وقوعها ، والإرادة الشرعية قد تقع وقد لا تقع .

ب- أَنَّ الإرادة الكونية شاملة للخيرِ والشر ، والنفع والضر ، وكل

---

(١) مقرر التوحيد ، للصف الثالث الثانوي بقطر ، ص ٣٨-٣٩ .

شيء ، والإرادة الشرعية إنما تكون في الخير والنفع فقط .

جـ- الإرادة الكونية ليس من لازمها المحبة ، وأما الإرادة الشرعية فهي الإرادة اللازمة لمحبة المراد ، والرضا عنه[1] ، وإليك مزيد إيضاح لهذه الحقيقة:

الإرادةُ الكَوْنِيَّة لا تستلزم الرضا والمحبة:

وقد دلَّ القرآن والسنة والعقل على أَنَّ الإرادة الكونية لا تستلزم الرضا والمحبة دائماً ، وإليك بعض هذه الأدِلَّة باختصار:

١- قال تعالى: ﴿وا لله لا يُحِبُّ الفَسَادَ﴾ [البقرة: ٢٠٧] ، وقال سبحانه: ﴿وَلا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الكُفْرَ﴾ [الزمر: ٧] .

وقال عزَّ وجلَّ بعدما نهى عن الشرك والظلم والفواحش: ﴿كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ [الإسراء: ٣٨] .

فدلَّت هذه الآيات وكثيرٌ غيرها: أَنَّ كثيراً من الأمور يكرهها ا لله ولا يحبها ولا يرضاها ، وهي داخلةٌ ضمنَ مشيئته العامة: ﴿وَمَا تَشَاؤُونَ إِلاَّ أَن يَّشَاءَ ا للهُ رَبُّ العَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩] ، فدلَّ ذلك على افتراق المشيئة عن المحبة .

---

(١) مقرر التوحيد ، للصف الأول الثانوي ، في المملكة العربية السعودية ص٧١.

٢- ومن السنة: قولـه ﷺ : "إنَّ الله حـرَّمَ عليكـم عُقـوقَ الأمَّهـات ، وَوَأْدَ البنـات ، ومَنْـعَ وهـات ، وكَـرِهَ لكـم قيـل وقـال ، وكـثرةَ السؤال ، وإضاعـةَ المـال" [1] ، فهـذه كراهـةٌ لموجـودٍ تعلَّقَـتْ بـه مشيئة الله سبحانه .

ومِن دعائه ﷺ : "اللهمَّ أعوذُ برِضـاكَ مـن سـخطِك ، وبمعافـاتك من عقوبتك ، وبكَ منك لا أُحصي ثناءً عليك أنـتَ كمـا أثنيـتَ على نفسك" [2] .

فقد استعاذ ﷺ بصفةِ الرِّضا من صفةِ السخط ، وبصفةِ المعافاة من فعل العقوبة ، وبيَّنَ أنَّ كلَّ ذلك راجعٌ إليه وحده ، واقـعٌ بمشيئته وإرادته .

٣- وأمَّا العقل: فلا يمتنـع في بداهـة العقـول أن يريـد الإنسـان شـيئاً ،

---

(١) رواه البخاري في كتاب الاستقراض (٢٤٠٨) ، ومسلم في كتاب الأقضية (١٧١٥) ، ومعنى قوله: "ومنع وهات" أي نهى عن منع الحقوق وطلب ما لا يستحقه ، ومعنى "قيل وقال": النهي عن الخوض في أخبار الناس وحكايات ما لا يعني من أحوالهم .

(٢) رواه مسلم في كتابِ الصلاة (٤٨٦) من حديث عائشة رضي الله عنها .

وهو لا يحبه كما في الدواء وغيره[1] .

فلا تلازُم بين الإرادة والأمر دائماً: فقد يريد الله تعالى الشيء ويأمر به كإيمان المؤمنين ، وقد يريده ولا يأمر به ، ككفر الكافرين ، وقد يأمر به ولا يريده ، كإيمان الكافرين .

❁❁❁

(١) القضاء والقدَر في ضوءِ الكتاب والسنة ، لعبد الرحمن المحمود ، ص ١٩٩-٢٠٠ .

المناقشة

س١- ما أقسامُ الإرادة الربَّانية؟

س٢- هل هناك فرقٌ بين الإرادة الكونية والمشيئة الإلهية؟

س٣- ما الفرق بين الإرادة الكونية والشرعية؟

س٤- هل تستلزم الإرادة الكونية الرضا والمحبة ، مع الدليل؟

س٥- هل يصح أن نقول إنَّ الله يريد الشرك والمعصية؟

س٦- كيف وردَت الآيات التي ذكرت الإرادة بالمعنى الكوني؟ وماذا نستفيدُ من ذلك؟

س٧- من أي أقسامِ الإرادة هذه الآياتِ الكريمة:

أ -﴿وإذا أرادَ الله بقومٍ سوءاً فلا مردَّ له﴾ .

ب-﴿والله يريدُ أن يتوبَ عليكم﴾ .

جـ-﴿إنَّما قولُنا لشيءٍ إذا أردناه أن نقولَ له كن فيكون﴾

د -﴿ما يريدُ الله ليجعلَ عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم﴾

الدرس الثاني والستون

أقسام الأقدار الجارية على الإنسان

الأقدار التي تجري على الإنسان تنقسم إلى قسمين:

الأول: أمورٌ تجري على الإنسان بتقدير الله سبحانه دون أن يكون للإنسان فيها إرادة أو اختيار: كالوجودِ والعدمِ ، والطولِ والقِصَرِ ، والجمالِ والقبحِ ، والذكاءِ والغباءِ ، والصحةِ والمرضِ ، والحياة والموت ، .. وسائر ما يجري على الإنسان من خيرٍ أو شرٍّ ، مما لا دخل له فيه ولا تسبُّب .

فهذه الأمور لا نُسْألُ عنها ، ويجب علينا أن نرضى بما قدَّرَ الله لنا منها ، وأن نؤمنَ أنها تجري بتقديرٍ سابقٍ على وَفْقِ عِلمٍ وحكمة ، قد تظهر لنا ، وقد تخفى علينا ، وقد نعرفُ منها شيئاً ، وتغيبُ منها أشياء .

فلا يثابُ الإنسان على الخيرِ في هذا القسم من القدَر ، ولا يُعاقبُ كذلك على الشَّرِّ في هذا القسم .

ولا تكونُ العقوبةُ والمثوبةُ في هذا القسمِ إلاَّ على ردودِ الفعلِ التي تصدرُ عن هذا الإنسان ، إذِ الواجبُ عليه في حالة النعمة أن

يشكر الله على فضله لينالَ ثوابَ الشُّكرِ ، والواجبُ عليه في حالةِ المصيبةِ أن يصبرَ ، وبهذا ينالُ المثوبة والأجر .

الثاني: أمورٌ تجري على الإنسان بتقديرٍ من الله سبق على وَفْقِ علمِ الله وحكمته.. ولكن للإنسان فيها تسبُّبٌ وعَمَلٌ وإرادة وقصد .

مثل: الأكلِ والشربِ واللبس ، من المباحات ، ومثل: الصلاة والإنفاق والجهاد ، من الطاعات ، ومثل: الزنا والسرقة وشرب الخمر ، من المحرمات .

فهذه الأعمال تقع حسب علم الله وكتابته ومشيئته وقدرته .

وفي هذا القسمِ من القدَر يجازى الإنسانُ على الخيرِ خيراً بأضعافِ عمله ، وعلى الشَّرِّ شرّاً مساوياً لعمله الَّذِي قدَّم .

والمؤمن يعتقدُ أَنَّ جميعَ أفعالِ العبادِ ، سواءٌ كانت اختياريةً ، أو اضطراريةً ، كائنةٌ بإرادةِ اللهِ تعالى وتقديره لها في الأَزَل ، وعِلمه بها قبلَ وقوعها .

الخطأ في إدراك الفرق بينَ القِسمَين يُوقع في الجبر أو نفي القدَر:

هناكَ فرقٌ واضحٌ بين الأمرين ، ظاهر من كِلا القسمين .

وكثيرٌ من الناس يخطئون فهم القدَر ، فيجعلون القسمين شيئاً

واحداً ، فيقعون في خطأين عظيمين:

أحدهما: اعتقاد أَنَّ الإنسان **مُجبر** ، وأنَّ الإيمان بالقدَر ينافي العمل واتخاذ الأسباب فيتواكَلون .

الثاني: اعتقاد أَنَّ القدَر ظلمٌ ينافي حريـة الاختيـارِ والإرادة ، ومـن ثَمَّ **يجحدون القدر** ، فيضلون .

مسؤولية الإنسان على أعماله الاختيارية:

"إِنَّ علـمَ ا لله سبحانه وكتابتـه للمقـادير لا تنفـي اختيـار الإنسـان لأفعاله الاختيارية.

فاختيار العبد للأعمال الاختيارية ثابتٌ شرعاً وعقلاً وحِسّاً .

أمَّا ثبوت الاختيار شرعاً:

فَإِنَّ ا لله سـبحانهُ أثبـتَ للإنسـان حالـة اختيـار ، ورتَّـبَ المؤاخـذةَ والمعاقبة على أفعاله التي تصدر عنه وهو مختـارٌ لهـا ، كمـا أثبـت للإنسـان حالة اضطرار ، ورفعَ عنه المؤاخذة والمعاقبة حال كونه فيها .

قال تعالى مُعدداً المحرَّمات من المطعومات: ﴿**حُرِّمَـت عَلَيْكُـمُ المَيْتَـةُ والدَّمُ ولحمُ الخِنزِير..**﴾ . فهذه المحرَّماتُ للعبدِ فيهـا حالـةُ اختيـارٍ ، فـإذا

أكلَ ما حُرمَ عليه فقد عرَّضَ نفسه للمؤاخذةِ والعقاب .

ثُمَّ قال سبحانه: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ[1]﴾ [المائدة:٣] فإذا اضْطُر الإنسان إلى تلك المحرَّمَات عند خوف الموت على نفسه من شِدَّةِ الجوعِ ، فلا إِثْمَ عليه في تناولها ، لأنه مضطرٌ إلى ذلك .

وكذلك يُعْذَرُ مَن لا إرادة له في العمل كالـمُكرَهِ والنَّاسي والمخطئ .

قال تعالى: ﴿إِلاَّ مَن أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ﴾ [النحل: ١٠٦] .

وفي الحديث: "إنَّ الله وضعَ عن أمَّتي الخطأ والنِّسيان وما استُكرِهوا عليه"[2].

فالتكاليفُ التي كلَّفَ الله سبحانه بها الناسَ ، بالأمرِ والنهي ، يستطيعُ الإنسان امتثالها ، كما يستطيعُ عدمَ امتثالها ، باختياره الكامل . ولذلك لم يكلِّفِ اللهُ تعالى المجنونَ لأنه لا اختيارَ له ، ولم يكلِّفْ من لم

---

(١) **المخْمَصَةُ:** المجاعة الشديدة . **غيرَ مُتَجَانِفٍ لإثم:** أي غير مائل لإثم .

(٢) رواه ابن ماجه (٢٠٤٥) في كتاب الطلاق من حديث ابن عباس ، وقال النووي في الأربعين: حديثٌ حسن رواه ابن ماجه والبيهقيّ وغيرهما .

يصل إلى سن الرُّشد ، لأنه لم تكتمل أهليَّتُه. فالتكليف مرتبطٌ بقدرةِ الإنسانِ وحريَّةِ اختياره ، ولو سُلِبَ من الإنسان الاختيارُ والإرادة ، لَما حصلَ فرقٌ بين المحسن والمسيء ، بل هو ظلمٌ يتنزهُ عنه الحكيمُ العليم .

وأمَّا ثبوتُ الاختيار عقلاً:

فَإنَّ كلَّ عاقلٍ يفرقُ بين الآثارِ الناشئةِ عن حركة البشر ، والآثار الناشئة عن حركة الشجر ، فَإنَّ وخزةً تناله من قِبَلِ البشر تُغضبه وتدفعُه للانتقام ممن وَخَزَه ، لأنه يعلم يقيناً أنها صدَرَت من إنسانٍ له اختيار وإرادة لذلك .

وأمَّا إذا مرَّ تحت شجرة يُحَركُ الهواءُ أغصانَها ، فَوَخَزَتْهُ ، أَوْ جَذَبَتْ طَرَفَ ثوبه ، فإنها لا تغضبه ، ولا يندفع للانتقام من الشجرة ، لأنه يعلم يقيناً أَنَّ الشجرة لا اختيار لها .

فلو قلنا: إِنَّ الإنسانَ لا اختيارَ له في أعماله الاختيارية لَلَزِمَ أن نعامل البشر في ذلك كالشجر .

وأَمَّا ثبوت الاختيار حِسّاً:

فَإنَّ الإنسان يعلمُ من نفسه أَنَّ له أعمالاً تصدر عنه باختياره

وإرادته وكامل حريَّتِه ، كذهابه ومجيئه ، وقيامه وقعوده ، وأخذه وعطائه ، وأكله وشربه ، ونحو ذلك .

ويعلم أَنَّ له أعمالاً تصدر عنه دون اختياره ، يكون مضطراً إليها ، ولا يستطيع دفعها ، كَزَلَّةِ القدم ، أو رعشة البرد ، أو نبضة القلب ، أو دورة الدم ، أو العُطاس والتثاؤب ، ونحو ذلك .

وليس أحدٌ من الناس يتساوى عنده صدور أعمال القيام والقعود وتناول الطعام والشراب مع العطاس والتثاؤب !! بل يُفَرقُ بينهما بإحساسِه ووجدانه .

فاختيارُ الإنسان وإرادتُه للأمور ومشيئتُهُ لها ثابتة شرعاً وعَقْلاً وحِسّاً ، وكلُّ ذلك بخلقِ ا لله تعالى وإرادته ومشيئته ، فهو سبحانه خلقَ للإنسان اختياراً وإرادةً ومشيئة"[1] .

۞۞۞

---

(١) من كتاب "الإيمان بالملائكة" للشيخ عبدا لله سراج الدين ص١٣٩-١٤٢ بتصرف واختصار .

المناقشة

س١- اذكر أقسام الأقدار التي تجري على الإنسان؟

س٢- في أي قسمٍ من أقسام الأقدار يُثابُ الإنسانُ ويُعاقب؟

س٣- ما نتيجة الخطأ في عدم إدراك الفرق بين الأمور الاختيارية والجبرية؟

س٤- ما دليل ثبوت الاختيار شرعاً؟

س٥- ما دليل ثبوت الاختيار عقلاً؟

س٦- ما دليل ثبوت اختيار الإنسان حِسّاً؟

الدرس الثالث والستون

الإرادة البشَريَّة

خلقَ الله تعالى الإنسانَ ومنَحَهُ العقل والإرادة والقدرة . فهو بالعقل يفكر ، وبالإرادةِ يرجحُ ، وبالقدرةِ ينفِّذ .

فالإنسانُ قادرٌ بقدرةِ الله ، مريدٌ بإرادةِ الله سبحانه . وهذا معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاؤُونَ إِلاَّ أَن يَّشَاءَ اللهُ﴾ [الإنسان: ٣٠] .

فهو سبحانه خلقَ للإنسانِ اختياراً وإرادةً ومشيئةً ، ومن صفاتِ الإنسان أنه مختارٌ ومريدٌ وذو مشيئة . وقد أثبتت الآياتُ القرآنية للإنسانِ مشيئةً وإرادةً واختياراً بها يختارُ ويرجح ، كما أثبتت له قوةً واستطاعةً بهما يفعل ويؤثر ، ولكن هذه القوة وتلك المشيئة مستمدَّتانِ من قدرةِ الله تعالى ومشيئته ، وليسَتا مستقلَّتَينِ عن الله سبحانه .

قال تعالى: ﴿وقُلِ الحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فمَن شَاءَ فليُؤمِن وَّمن شاءَ فليكفر﴾ [الكهف: ٢٩] .

وقال سبحانه: ﴿إنَّ هذهِ تذكِرةٌ فمن شَاءَ اتَّخذَ إلى ربِّه سَبيلا﴾ [المزَّمل: ١٩] ، وفي سورةٍ أخرى ذُكِرَت هذه الآية نفسها ، ثُمَّ أعقبها

تعالى بقوله: ﴿**وَمَا تَشَاؤُونَ إِلاَّ أن يَّشَاءَ اللهُ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً**﴾ [الإنسان: ٣٠] .

وقالَ سبحانه: ﴿**مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخرةِ نَزِدْ لهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرةِ مِن نَّصِيب**﴾ [الشورى: ٢٠] .

وقال تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ الليلَ والنَّهارَ خِلْفَةً لِّمَن أرادَ أن يذَّكَّرَ أو أرادَ شُكورا**﴾ [الفرقان: ١٢٠] .

فللإنسانِ -بنص هذه الآيات- مشيئةٌ وإرادةٌ ، ولكنها تابعةٌ لمشيئةِ الله تعالى وإرادته ، فالإنسانُ يشاءُ أعمالـه ويريدهـا ، لأن الله هـو الَّـذِي شاء له أن يكونَ حُرّاً مُريداً .

ويتساءلُ بعضهم فيقول: إنَّ مشيئة العبدِ واختيارَهُ الأمورَ التكليفية والقيام بها ، أو عدم اختياره لها وقيامه بها ، هذا الاختيـار هـو بخلقِ الله ومشيئته سبحانه ، إذاً فمشيئةُ العبد واختياره ليس لها أثرٌ ولا اعتبار .

والجوابُ عن ذلك: "إنَّ خلقَ اللهِ تعالى لاختيارِ الإنسان ومشيئته

وإرادته ، كسائر صفاتِ الإنسان التي خلقها ا لله تعالى فيه[1]" .

فمن صفاتِ الإنسانِ أنه موجـودٌ حَـيٌّ سميـعٌ بصـيرٌ ، ولكـن ذلـك بخلـقِ ا لله تعـالى وإسماعِـهِ وتبصـيره[2] . قـال تعـالى: ﴿**فَجَعَلْنَـاهُ سَـمِيعاً بَصِيرا**﴾ [الإنسان: ٢] .

فهل يصحُّ أن يُقالَ إنَّ حياةَ الإنسان وسَمْعَهُ وبَصَرَهُ ونُطْقَـهُ وسـائرَ صِفاته المخلوقة لا وجودَ لها ولا اعتبار لأنها بخلقِ ا لله تعالى .

فمـا الفـرق إذاً بـين الحـيِّ والميِّـتِ ، والسـميعِ والأصَـمِّ ، والبصـير والأعمى ، والناطقِ والصامت .

والحقُّ: أَنَّ الإنسان موجودٌ حيٌّ ، سميعٌ بصـير ، مريـدٌ مختـارٌ ، إلى غيرِ ذلك من الصفات ، وكلُّ ذلك بخلق ا لله تعالى وإرادته ومشيئته .

---

(١) هديُ القرآن إلى معرفة العوالم والتفكر في الأكوان ، للشيخ عبدا لله سراج الدين حفظه ا لله تعالى ، ص ٦٤-٧١ .

(٢) ويترتَّبُ على السمع والبصر آثارٌ وأحكـامٌ ، بدليـلِ أَنَّ مَـن خُلـقَ لا يسـمع ولا يُبصِرُ فقد سقطت عنه التكاليف والأحكام الشرعية ، وكذلك لو سُلب الإنسان الإرادةَ والاختيار لَما كان لحملِهِ لأمانة التكليف معنى ، ولا يكونُ ثوابه وعقابـه مما يوافق العدل الإلهي .

"فإن عطّلتَ صفة الاختيار والمشيئة والإرادة لأنها بخلق ا لله تعالى ، فيلزمك أن تعطّلَ بقية صفاتِ الإنسان ، فهو ليس بحَيٍّ ولا سميعٍ ولا بصيرٍ ولا قويٍّ ولا.. ولا .. -في زعمِ المنكِرِ للاختيار- وهذا مخالفٌ للواقع والعقل والشرع" [1] .

الإنسانُ مخلوقٌ مكلّفٌ مسؤول:

وا للهُ سبحانه لم يخلقِ الإنسانَ عبثاً ، ولم يتركه هَمَلاً ، كما قال تعالى: ﴿**أَفَحَسِبْتُمْ أنَّما خلقناكُم عَبَثا**﴾ [المؤمنون: ١١٥] .

وقال تعالى: ﴿**أَيَحْسَبُ الإنسانُ أن يُترَكَ سُدى**﴾ [القيامة: ٣٦] .
بل خلقه سبحانه وتعهَّده بالتكاليفِ التي فيها مصلحتُهُ وسعادتهُ في الدنيا والآخرة ، فبعدما منحهُ ا لله سبحانه العقلَ والإرادةَ والقدرةَ ، وسائرَ الصِّفاتِ التي تؤهِّله لحملِ أمانة التكليف: أمَرَهُ سبحانه ونهاهُ ، وكانت نتيجة ذلك الامتحان أنَّ منهم المؤمنَ والكافرَ ، والبَرَّ والفاجرَ ، والطائعَ والعاصي .

وجميعُ هذه الأوصافِ التي اتَّصَفوا بها ، والأعمالِ التي اكتسبوها ، قد نسبها ا لله تعالى إليهم نسبةً وجوديَّةً حقيقيَّةً ، ورتَّبَ عليها الثوابَ

---

(١) "حولَ تفسير سورة الفاتحة" ، للشيخ عبدا لله سراج الدين ، ص١٣٨ .

لِمَنْ أطاع ، والعقاب لِمَنْ عصى[1] .

قال تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنوا بِالْحُسْنَى﴾ [النجم: ٣١] .

ترتيبُ حصولِ الثوابِ والعقاب على أعمال العباد الاختيارية:

ولو لم يكن للإنسان اختيارٌ في عملِ الطاعاتِ والمعاصي ، والكفر والإيمان ، لَما استحقَّ الكافرُ العذابَ ، ولَما استحقَّ المؤمنُ الثواب ، لأنَّهُ آمنَ وعمل الصالحات بدون اختيارٍ منه بل انساق مضطراً إلى الإيمان والعمل الصالح ، فعلامَ يُثابُ ؟ وعلامَ يُشكر؟ مع أَنَّ الله تعالى يقول للمؤمنين: ﴿إنَّ هذا كانَ لكُمْ جزاءً وكانَ سعيُكم مَّشْكورا﴾ [الإنسان: ٢٢] .

فلو كان الكافر قد كفرَ وعمل المعاصي بدون اختيارٍ منه ، بل انساقَ مضطَرّاً إلى كُفرِه ومعصيته ، فعلامَ يعذَّبُ؟ وعلامَ يُعاتَب؟ ولا اختيارَ له فيما عمل . مع أَنَّ الله تعالى قد خاطبهم بقوله:

---

(١) والقرآن من أوَّلِهِ إلى آخره صريحٌ في ترتيب حصولِ الخيرات أو الشرور في الدنيا والآخرة على أعمال العباد ، وهذا في القرآن ما يزيد على ألف موضع ، وذلك مثل: ﴿فبِمَا كَسَبَتْ أيْدِيكُمْ﴾ ﴿بِمَا كُنتُمْ تكْسِبُون﴾ ﴿بِمَا كُنتُمْ تعْمَلُون﴾ .

﴿ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلاَّ الكَفُور﴾ [سبأ: ١٧] .

فتعذيبهُ سبحانه للكفار ليس بظلمٍ ، إنما هو بالحق ، لأنهم هم الَّذِينَ ظلموا أنفسهم ، فقَدْ أعطاهم الله العقلَ والاختيارَ ، وبعثَ الرُّسُلَ ، وأنزلَ الكُتُب ، وأقام عليهم الحُجَجَ ، فكذَّبوا وعانَدوا وأعرضوا .

قال تعالى عن أصحاب النار: **﴿وسيقَ الَّذِينَ كفروا إلى جهنَّمَ زُمَراً حَتَّى إذا جاؤوها فُتِحَتْ أبوابها وقالَ لهم خزنَتُها ألَمْ يأتِكُمْ رُسُل مِّنكمْ يتْلونَ عليكم آياتِ ربِّكُمْ ويُنذِرونَكُمْ لقاءَ يومِكُمْ هذا قالوا بلى ولكن حقَّتْ كلمةُ العذابِ على الكافرين﴾** [الزمر: ٧٠] .

فلم يحتجوا بتقدير الله عليهم ، لأنَّ قدَره تعالى ليس عذراً لهم ، ولو كانَ عذراً لقبَلَهُ الله سبحانه ، لأنه يقبل العذر الصحيح ، كما جاء في الحديث: "لا أحدَ أحبُّ إليه العذرُ من الله ، ومن أجل ذلك بعث المنذِرين والمبشِّرين" (١) .

(١) رواه البخاري (٧٤١٦) في التوحيد ، ومسلم (١٤٩٩) في اللعان بلفظ: "ولا شخصَ أحبُّ إليه العذرُ من الله من أجل ذلك بعث المرسلين: مبشِّرين ومنذِرين" من حديث المغيرة بن شعبة ﷺ .

المناقشة

س١- هل إرادةُ الإنسان مستقِلَّةٌ عن إرادةِ ا لله سبحانه؟ مع الدليل .

س٢- إذا كانت مشيئة العبد واختياره بخلق ا لله تعـالى فهـل لمشـيئة العبـد واختياره أثرٌ أو اعتبار؟

س٣- هل خُلِقَ الإنسان عبثاً؟ وبماذا تعهَّده ا لله ، ومـا موقـف الإنسـان ، وماذا يترتَّب عليه؟

س٤- على أي أساسٍ يترتَّبُ حصولُ الثوابِ والعقاب على أعمال العباد؟

س٥- هل يُقبلُ للكفار عذرٌ بتقدير ا لله عليهم؟

س٦- اذكر دليلاً لكلٍّ مما يلي:

أ - المشيئة البشرية .

ب- الإرادة الإنسانية .

جـ- استحقاق المؤمنين الثواب لاختيارهم الإيمان والعمل الصالح .

د - استحقاق الكافرين العقاب لاختيارهم الكفر والمعاصي .

الدرسُ الرابعُ والستون

الإنسانُ بينَ التكليفِ والابتلاء

خلقَ اللهُ تعالى الإنسانَ في هذه الحياةِ الدنيا ، ومنَحَهُ الإرادةَ والاختيار للابتلاء والاختبار ، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً[1]﴾ [الإنسان: ٢] .

وقال سبحانه: ﴿الَّذِي خَلَقَ الموتَ والحياةَ ليبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ [الملك: ٢] .

والإنسانُ مخلوقٌ مكلَّفٌ مسؤول ، ليس حُرّاً في رفض التكليف ، وذلك لأنَّ الله سبحانه أخذَ العَهْدَ على بني آدم في عالم الذَّر ، وأشْهدَهُمْ على أنفسِهِمْ بأنَّهُ ربُّهُمْ ، وكلُّهُمْ أقرُّوا بربوبيَّتِه سبحانه ، وتلك هي الفطرةُ التي فَطَرَ اللهُ الناسَ عليها .

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ

---

(١) **أمشاج:** أي نطفة مختلطة من ماء الرجل وماء المرأة ، **نبتليه:** أي لنختبره بالتكاليف الشرعية ، **فجعلْناهُ سميعاً بصيراً:** أي ليتمكن من القيام بموجب التكاليف الشرعية .

وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ(1)﴾ [الأعراف: ١٧٢-١٧٣] .

وقد أرسلَ ا لله تعالى الرُّسُل وأنزل الكتب ، لتذكير الناس بميثاقِهِمْ وعهدهمْ الأول مع ا لله تعالى .

قال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ ا للهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [المائدة: ٧] .

وقال سبحانه: ﴿وَمَا لَكُمْ لا تُؤْمِنُونَ بِا للهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ(2)﴾ [الحديد: ٨] .

---

(١) **من ظهورهم:** يعني من ظهور بني آدم على سبيلِ التوالد بعضهم من بعض ، فا لله سبحانه أخرج ذرِّية آدم من صُلبه وأصلاب أولاده ، وهُم صورٌ كالذَّرِّ وأخذ عليهم الميثاق أنه خالقهم ، وأنه ربُّهم فاعترفوا بذلك وقبلوه ، **قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا:** يعني قالت الذُّرِّيَّةُ: بلى أنتَ ربُّنا ، فهو إقرارٌ منهم له بالربوبية ، واعترافٌ على أنفسهم بالعبودية ، **أن تقولوا:** خطابٌ للذُّرِّيَّة ، ومعناه: لِئَلاَّ تقولوا ، **عن هذا:** يعني الميثاق .

(٢) **وقد أخذ ميثاقكم:** أي أخذَ ا لله ميثاقكُمْ حينَ أخرجكم من ظهرِ آدمَ عليه السلام بِأَنَّ ا لله ربكم لا إله لكُم سواه .

وفي هـذا العـالم -عـالم الـذَّر- حمَـلَ الإنسـانُ أمانــةَ اللهِ الكـبرى والتزمَها .

قال تعالى: ﴿**إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً**﴾ [الأحزاب: ٧٢] .

والمرادُ بالأمانةِ: التكاليفُ الدينية التي ائتَمَنَ اللهُ تعالى عليها عبادهُ أن يؤَدُّوها ، ويرعَوْها حقَّ رعايتها .

وقد عرَضَ اللهُ سبحانه أمانةَ التكليفِ على السموات والأرضين والجبال ، فأَبَيْنَ أن يحمِلْنها ، وأشفقنَ من عِظَمِ المسؤولية ، فقبلَ الإنسانُ هذا العَرْض ، وحملَ الأمانةَ الكبرى التي فيها تكريمٌ وتشريفٌ مع المسؤولية والجزاء .

فإن قيل: ما السبب الباعثُ له على حملِ أمانةِ اللهِ الكبرى؟

والجواب: قوله تعالى: ﴿**إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً**﴾ لأَنَّه في أشد الحاجة إلى حملها والقيامِ بها ، لأنه رأى نفسَه ظلوماً جَهولاً ، بسبب الدواعي الموجودة فيه من الغضبِ الَّذِي يحملهُ على الظلم ، والشهوةِ التي تحملهُ على الجهل ، فحمَلَها حَتَّى تكونَ واقيةً له من الظلم والجهل ، وحاملةً له

على التحقُّقِ بالعدل والعلم ، وبذلك يكونُ إنساناً ربّانِيّاً إيمانيّاً[1] .

ودخَلَ الإنسانُ رحلةَ الامتحان بالتكاليف الشرعية ، وقد أهَّلَهُ ا لله سبحانه لتحمُّلِ أمانةِ التكاليف فمنحهُ الإرادة ، وسخَّرَ له كثيراً من المخلوقات في هذا الكون ، فهي تطيعُه بخلق ا لله وتقديره .

فبالتمكينِ من الاختيار الحر ، وبالتسخير تمَّتْ شروطُ الابتلاء في هذه الحياةِ الدنيا .

حِكَمُ الابتلاءِ بالمصائب

وا لله سبحانه ابتلى عبادهُ في هذه الحياةِ الدنيا لِحِكَمٍ كثيرةٍ[2]

---

(١) والوجهُ الثاني في التعليل: أن يكونَ جواباً على سؤالٍ مقدَّر: ماذا كان موقفُ الإنسانِ بعدَ ما حملَ الأمانةَ والتزمَها؟ هل وَفَّاهَا حقَّها ، وأدَّى واجبها؟ فجاء الجواب: ﴿**إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً**﴾، ويعني بذلك أكثر أفراد الإنسان ، وهمُ الكفَّارُ الَّذِينَ خانوا أمانةَ ا للهِ تعالى ، كما قال سبحانه: ﴿**وَمَا وَجَدْنَا لأَكْثَرِهِم مِنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ**﴾ ، ويُنظَرُ تفسيرُ معنى الأمانة بتفصيلٍ في كتاب "هدي القرآن إلى معرفةِ العوالم والتفكُّرِ في الأكوان" ص ٢٥٢-٢٦٢.

(٢) للإمام العز بن عبدالسلام رحمه ا لله تعالى كلامٌ على فوائد الابتلاءِ والمحن ، ذكرَ فيه سبعَ عشرَةَ فائدة ، ونقلها التاج السبكي في كتابه: "معيد النعم ومبيدُ النِّقم"، ص ١٥٦-١٦١ .

أذكُرُ منها:

١- "إنَّ الله تعالى أقامَ الإنسانَ في هذه الحياةِ الدنيا على وظيفةِ التكليف ، وطَلَبَ منه أن يحقق عبوديته الاختيارية لربِّه ، وإنما تظهر عبوديته لله سبحانه عندما ينهض بالتكاليف على خيرِ وجه ، ولا تدخل الأوامر الإلهية تحت معنى التكاليف إلاَّ إذا كان في تنفيذها والائتمار بها كُلْفة ومشقة .

وإذا فَرَغَتِ الحياةُ من المصائب والآلام ، والنكبات والشرور ؛ فقد اختفى التكليف وبطَلَ معناه .

لقد كلَّفَ اللهُ الإنسانَ بالعطاءِ والإيثار ، وهو مجبولٌ على الشحِّ والأَثَرَةِ ، كما قال سبحانه: ﴿**وَأُحْضِرَتِ الأَنفُسُ الشُّحَّ**﴾ [النساء: ١٢٨] .

وكلَّفه بالجهاد والقتال في سبيله ، وهو ضنينٌ بحياته ، كما قال سبحانه: ﴿**كُتِبَ عَلَيْكُمُ القِتالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ**﴾ [البقرة: ٢١٦] .

وكلَّفَهُ أن يَفطِمَ نفسَهُ عن كثيرٍ من الشهواتِ والأهواء ، ولهذه الشهواتِ تأثيرٌ على النفس يحتاجُ إلى جهدٍ للترفُّعِ عليها والتحَرُّرِ منها ، كما قال عزَّ وجلّ: ﴿**زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّساءِ والبَنِينَ والقَناطِيرِ المقَنطَرَةِ من الذَّهَبِ والفِضَّةِ والخيلِ**

المسَوَّمَةِ والأَنْعامِ والحرثِ ذَلِكَ مَتاعُ الحَياةِ الدُّنْيَا وَا للهُ عِندَهُ حُسْنُ المَئَابِ﴾ [آل عمران: ١٤] .

ولا يمكنُ للإنسانِ أن يَرقى إلى شرفِ التحقُّقِ بالتكاليف الإلهية لو لم يتحمَّلْ في سبيل ذلك عَنَتاً ومشقَّة ، إذنْ لاستوى المخلص والمنافق ، والصادق والكاذب" (١) .

قال تعالى: **﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أن يُتْرَكوا أن يَّقولوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفتَنون وَلَقَدْ فتنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ا للهُ الَّذِينَ صَدَقُوا ولَيَعْلَمَنَّ الكَاذِبِين﴾** [العنكبوت: ٢-٣] .

٢- "إنَّ ا للهَ سبحانه شاءَ أن تكونَ هذه الحياة الدنيا مَمَرّاً وجِسْراً إلى الحياةِ الآخرة ، وا لله سبحانه أوجدَ في هذه الحياةِ الدنيا من المصائب والآلامِ التي تذكِّرُهُ بحقيقة الجسر الَّذِي يعبره إلى ذلكَ المقرّ ، فلا يركنُ إلى ما فيها من مُتَعٍ ومشتهياتٍ ، ولا يفاجأ بما فيها من غَصَصٍ ومنغِّصات"(٢).

فإذا وضحت هذه الحقيقة أمام المؤمن فإنه لا يأسى على ما فاته أو

---

(١) "الإنسان مسيَّرٌ أم مُخيَّر" ؟ للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي ، ص١٩٣-١٩٦ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٩٦-١٩٩ باختصار .

ما يناله من المصائب ، ولا يبالغ في الفرحة بما يتحقق له من المشتهيات والرغائب .

وتأمَّلْ قولَهُ تعالى: **﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِير لِّكَيْلا تَأْسَوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ[1]﴾** [الحديد: ٢٢-٢٣] .

٣- إنَّ الله سبحانه يبتلي الكُفَّارَ والعُصاةَ بالخير والشر ليكون سبباً في هدايتهم ، ويقظة الإيمان في أعماقهم ، فيرجعون عن كفرهم وبغيهم ، أو يتركون معاصيهم .

قال الله تعالى: **﴿وَبَلَوْناهُم بِالحَسَنَاتِ والسيِّئاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾** [الأعراف: ١٦٨] .

وقال عزَّ وجلَّ: **﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ[2]﴾** [الأنعام: ٤٢] .

---

(١) **كتاب:** اللوح المحفوظ ، **تأسَوا:** تحزنوا ، **مختال:** متكبِّر .

(٢) **البأساء:** الفقر الشديد ، وأصله من البؤس وهو الشدة والمكروه ، **والضَّرّاء:** يعني الأمراض والأوجاع ، **يتضرَّعون:** يتذلّلون ويتخشَّعون لربِّهم ويتوبون عن ذنوبهم .

٤- تطهير المؤمن من الذنوب والخطايا ، ورفعة درجته ، كما في الحديث: "ما يصيبُ المؤمنَ من نَصَبٍ ، ولا وصَبٍ ، ولا همٍّ ، ولا حُزْنٍ ، ولا أذىً ، ولا غمٍّ ، حَتَّى الشوكَةُ يُشاكُها إِلاَّ كفَّرَ ا للهُ بها من خطاياه" [١].

والمؤمن الصادق يشكر ا لله سبحانه في السرَّاء ، ويصبر في الضَّرَّاء ، قال ﷺ : "عجَباً لأمرِ المؤمن ، إِنَّ أمره كلَّهُ له خير ، وليس ذلك لأحدٍ إِلاَّ للمؤمن إن أصابته سرَّاءُ شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضرَّاءُ صبرَ فكانَ خيراً له" [٢] .

۞۞۞

(١) رواهُ البخاري (٥٦٤١) (٥٦٤٢) في كتاب المرضى من حديث أبي سعيدٍ الخدري ، وأبي هريرةَ واللفظ له ، ومسلمٌ (٢٥٧٣) في كتاب البر والصِّلة . **ومعنى النصَبُ**: التعب ، **والوصبُ**: المرض ، **والهَمُّ**: ما يتوقع حصوله مما يتأذَّى منه ، **والغَمُّ**: كربٌ يحدث للقلب بسبب ما حصل ، **والحزن**: ما يحدث للمرء عند فقد ما يشقُّ عليه فقده ..

(٢) رواهُ مسلمٌ في كتاب الزهد والرقائق (٢٩٩٩) من حديث صهيبٍ الرومي ﷺ .

المناقشة

س١- لماذا خلقَ الله تعالى الإنسانَ في هذه الحياةِ الدنيا؟

س٢- هل للإنسانِ الحرية في رفض التكاليف الربّانية؟

س٣- ما العهد الَّذِي أخذه الله تعالى على بني آدم في عالمِ الذَّرّ؟ مع الدليل .

س٤- ما الأمانة التي حملَها الإنسان؟ مع الدليل .

س٥- كيف تَمَّتْ شروط الابتلاءِ للإنسان في هذه الحياة؟

س٦- اذكر ثلاثَ حِكَمٍ من حِكَمِ الابتلاء؟ مع الدليل .

الدرسُ الخامس والستون

الإنسانُ بينَ الهدَى والضلال

إنَّ الله تعالى أرادَ للإنسانِ أن يكون مسؤولاً عن نفسه ، وشاءَ سبحانه أن يكون فلاحُه مرتبطاً بسعيه وكسبِهِ ، وجهده وجِهاده .

وقد يسَّرَ الله عزَّ وجلَّ للإنسانِ سُبُلَ الهدى ، وموجِباتِ الإيمان ، فخَلَقَ الناسَ جميعاً على الفطرةِ السليمةِ الصحيحة ، بحيثُ لو تُرِكَتْ النفسُ وفطرتَها لاهتدَت إلى خالقها وآمنتْ به .

كما أنه سبحانه هدى الناسَ هدايةً عامّةً ، بما أودَعَ فيهم من عقول ، وما أنزلَ عليهم من كتبٍ ، وأرسلَ إليهم من الرسل .

أنواعُ الهداية:

والهداية في القرآن الكريم تأتي على معانٍ كثيرة ، أذكرُ منها ما يلي:

النوعُ الأول: هدايةُ الله تعالى لجميعِ المخلوقات لِما فيه صلاحُ وجودها ، ومصالح عيشها في دنياها: وهذه الهداية هي المذكورة في قوله تعالى: **﴿الذي أعطى كلَّ شيءٍ خلقَهُ ثُمَّ هدى﴾** [طه: ٥٠] .

النوع الثاني: هداية البيان والدلالةِ على كل خير ، والتحذير من كل شر: وهذه الهداية أوجبَها الله تعالى على نفسه رحمةً بعباده ، وهي وظيفةُ الرُّسُل عليهم السلام ، وبها يظهر اختيارُ المكلَّفِ ، فإمَّا أن يختار الإيمان ، وإما أن يختارَ الكفر .

وعلى أساس هذا الاختيار يَتَرَتَّبُ الثواب والعقاب ، **فهناكَ أمورٌ أربعةٌ تتعلَّقُ بهداية البيان والدلالة ، وهي**[1] :

١- أَنَّ الله تعالى أوجبَها على نفسه رحمةً بعباده ، قال تعالى: ﴿**إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدى وَإِنَّ لَنَا لَلآخِرَةَ وَالأُولى**﴾ [سورة الليل: ١٢-١٣] .
وقال سبحانه: ﴿**وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ**﴾ [البلد: ١٠] ، أي بيَّنّا له الطريقَين الواضِحَين: طريق الخير ، وطريقَ الشَّر .

٢- هداية البيان والدلالة بواسطة الرُّسُلِ صلواتُ الله عليهم وسلامه ، وبإنزالِ الكتب ، قال تعالى لرسوله ﷺ : ﴿**وإنَّكَ لَتَهْدي إلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيم صِرَاطِ الله**﴾ [الشورى: ٥٢] .

---

(١) "حول تفسير سورة الفاتحة" للشيخ عبدالله سراج الدين ، ص١١٣-١٣٢ بتصرف واختصار .

وقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِر وَّلِكُلِّ قَوْمٍ هَاد﴾ [الرعد: ٧] .

٣- وبهذه الهداية أقامَ ا لله تعالى حُجَّتَهُ على العبادِ في الدنيا ويومَ المعاد .

قال تعالى: ﴿رُسُلا مُّبَشِّرِينَ ومُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ا للهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُل﴾ [النساء: ١٦٥] .

٤- وبهذه الهداية يظهر اختيار العاقل المكَلَّف ، فإمَّا أن يختارَ الإيمانَ ويستحبَّ الهدى ، حَتَّى ينتهي أمره إلى الجنة ، وإما أن يختار الكفر ويستحب العَمَى على الهدى حَتَّى ينتهيَ أمرُه إلى جهنَّم وبئس المِهاد .

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا العَمَى عَلَى الهُدى[1]﴾ [فصِّلَت: ١٧] .

وقال سبحانه: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرا وَّإِمَّا كَفُورَا﴾ [الإنسان: ٣] .

فقد بيَّنَ سبحانه للإنسانِ طريقَ الخير وسبيلَ الرشد ، فإمَّا أن يختارَ طريقَ الإيمانِ والهداية ، وإما أن يختار طريق الكفر والغَواية .

---

(١) **هديناهم:** أي بيَّنّا لَهُمْ ودَلَلْناهم عَلَى الحق الَّذِي فيه سعادةُ الدنيا والآخرة .

النوع الثالث: هداية التوفيق للعمل الصالح :

وهـذه الهدايـة هـي المعنيَّـةُ في قـول ا لله تعـالى الّـَذِي يعلِّمنـا فيـه أن ندعوه: ﴿**اهْدِنَا الصِّرَاطَ المسْتَقِيم**﴾ [سورة الفاتحة: ٦] .

ولا يملك هذه الهداية ولا يقدر عليها إلاَّ ا لله تعالى:

قال تعالى: ﴿**مَن يَّهدِ ا للهُ فَهُوَ المهْتَدِ وَمَن يُّضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيّا مُّرْشِدا**﴾ [الكهف: ١٧] .

وقال سبحانه: ﴿**إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ولكنَّ ا للهَ يَهْـدِي مَن يَّشاء**﴾ [القصص: ٥٦] ، فهذه الهداية هي التوفيق للإيمانِ والعمل الصالح .

أسبابُ الهدايةِ والضلال:

"هدايـةُ ا لله سـبحانه لمـن شـاءَ لـه الهدايـة ، وإضلالـه لمـن شـاءَ لـه الضلال حقيقةٌ ثابتةٌ ، وسُنَّةٌ من سننه الماضية .

وهذه السنة تنطبق على الناس ضمن أسبابٍ وعوامل[1] :

١- ما من إنسانٍ يولد إلاَّ وقد غرسَ ا للهُ فيه فطرةَ التوجُّـهِ إلى الإيمـان

---

(١) "الإنسان مسيَّرٌ أم مخيَّر؟" للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي ، ص ١٠٣-١١٦ ، بتصرف واختصار .

بالخالق ، وفطرة الطمأنينة إلى مشاعر العبودية لله عزَّ وجلّ .

فالهدايةُ إلى الحق هي النصيبُ الأولُ الَّذِي يكرم ا لله به كلَّ إنسانٍ عند ولادته ، وإقباله إلى الحياة .

٢- ومن سنن ا للهِ في عباده أنه يضيفُ إلى هذه الهدايةِ الفطرية عوامل تدفعهم إلى مزيدٍ من الهداية .

قال تعالى: ﴿ا للهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَّشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُّنِيبُ﴾ [الشورى: ١٣] .

وقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ ا للهَ لَمَعَ المحسنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩] .

فما من إنسانٍ يعزم على اتباع الحق إلاَّ ويزيده ا للهُ هدايةً ، وصدق ا لله القائل: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوا زَادَهُمْ هُدَى وَّآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [محمد:١٧] .

٣- ومِن سنن ا لله عزَّ وجلَّ في عباده: أنه يُخمِدُ الفطرةَ الإيمانية في كيانِ الإنسان ، وربَّما يميتها عندما لا يستجيب لداعي الهداية ، ولا يلتفت لتذكِرةِ مذَكِّرٍ ، ولا نصيحةِ ناصح .

فإذا أصرَّ هؤلاءِ على كفرِهم ، وبلَغوا غايةَ الجحود والعِناد ، والظلمِ والفساد ، طبعَ ا لله على قلوبهم الكفر ، عقوبةً لهم من

جنس عملهم .

وهذه بعض الآياتِ القرآنيةِ التي تدلُّ على هذه السُّنَّةِ الرَّبَّانية بكل وضوح[1] :

﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يتكبَّرونَ في الأرضِ بغيرِ الحقِّ وإن يَّرَوْا كُلَّ آية لاَّ يؤْمِنوا بِهَا وَإِن يَّرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لا يتَّخِذوهُ سَبِيلا وَّإِن يَّرَوا سَبِيلَ الغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلا﴾ [الأعراف: ١٤٦] .

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرهُمْ لا يُؤْمِنُون خَتَمَ ا للهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَة وَّلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيم﴾ [البقرة: ٦-٧] .

فهذا هو العقاب الربَّانيُّ العاجل ، عقوبةً لهم وجزاءً على إصرارهم على الكفر.

قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ ا للهُ عَلَى قُلُوبِ الكَافِرِين﴾ [الأعراف: ١٠١] ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ ا للهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّار﴾ [غافر:٣٥] .

وقال سبحانه: ﴿فلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ ا للهُ قُلُوبَهُمْ وَا للهُ لا يَهْدِي

---

(١) وسيأتي -إن شاء ا لله- مزيدُ بيانٍ وتفصيلٍ لهذا الموضوع في الدرس ٦٧ فانظره هناك .

﴿الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الصف: ٥] .

وهـذه العقوبـات بـالطبع والختـم على قلوبهـم مِـن بـاب العـدلِ الإلهـي ، لأنهـا كـانت بأسـبابِ جرائمهـم الصـادرة عنهـم باختيارهم .

قال تعالى: ﴿وَمَا اللهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٣] ، وقـال سبحانه: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصِّلَت: ٤٦] .

فالإنسانُ الَّذِي جَحَدَ الحقَّ ، وآثرَ الباطل ، واسْتَمَرَّ على ضلالـه ، وأصَرَّ علـى كُفـره ، فليـس مـن الظلـمِ أن يطبـعَ اللهُ علـى قلبـه ، ويَسْتَلِبَ منه قابليَّة الهدى .

فهدايةُ الله تعالى وإضلاله للإنسـانِ تسـيرُ ضمـنَ سُـننٍ تـدلُّ علـى عَدلِ اللهِ ولُطفِهِ ورحمتِه ، وتَتَّفِقُ مع حريَّةِ الإنسانِ واختياره .



المناقشة

س١- عددْ أنواع الهداية في القرآن؟

س٢- ما الأمور التي تتعلَّقُ بهدايةِ البيان والدلالة؟

س٣- ما الأسباب والعوامل المتعلّقَة بهداية الإنسان أو ضلاله؟

س٤- اذكر دليلاً لكلٍّ مما يلي:

أ - أوجبَ الله على نفسه هدايةَ البيان والدلالة .

ب- هداية البيان والدلالة بواسطة الرسل .

جـ- لا يملك هداية التوفيق للعمل الصالح إلاَّ الله .

س٥- أكمل الأدِلَّة الآتية ثُمَّ اذكر ما ترشد إليه:

أ - ﴿رُسُلاً مبشرين ومنذرين ....﴾

ب- ﴿سأصرفُ عن آيـاتِيَ الَّذِيـنَ يتكـبَّرون ....

..............................﴾

جـ- ﴿الله يجتبي إليه ....﴾

الدرسُ السادسُ والستون

أمثلةٌ وأسئلةٌ حول القَدَر (١)

يتساءلُ كثيرٌ من الناسِ عن القدَرِ الَّذِي حَجَبَهُ الله تعالى عن العقول ، وأخفى حقيقته ، ويثير بعضهم الشبهات ، ويؤوِّلونَ النصوص على غير المراد ، وهذه بعضُ الأسئلة والأجوبة التي تزيل الشكوك ، ويفهمها الناس على اختلاف درجاتهم في الفهم والعلم[١] .

أمثلة عن الأقدار (الجبْرِيَّة)

المثال الأول: إنسانٌ وُلِدَ بصيراً ، وآخر وُلِدَ أعمى[٢] .

س- ما فضل البصير ؟ وما ذنبُ الأعمى؟

جـ- ليس للأول فضلٌ ، ولا ذنبَ على الثاني ، لأنهما لم يقَدِّما أي عمل .

---

(١) أكثرتُ في هذا الدرس والذي يليه من إيرادِ الأمثلة والإجابة عن التساؤلات لأنه أفضل أسلوب لإزالة الشكوك والشبهات ، وأقرب طريق إلى فهم حقيقة القدَر عند الطلاب .

(٢) من كتاب: "الإسلام كما فهمت" للأستاذ محمد القاسمي ص٢٧٥-٢٨٥ بتصرف واختصار .

س- لماذا خلق هذا بصيراً وهذا أعمى؟

جـ- لِيَتَعَرَّفَ كُلُّ إنسانٍ على نِعَمِ الله -وبضدها تتميَّزُ الأشياءُ- وهي مجالٌ للامتحان ، فإن شكرَ الأول ربَّهُ على ما به من نعمةٍ ، وسأله حِفظَها ، واستعملها في طاعته سبحانه نال مثوبةَ الشكر ، وإن صبر الثاني على بلواه ، وسأل ربَّه حفظ بقية النعم التي قد لا يملكها آخرون ، نال مثوبةَ الصبر[1] ، ومن كفر سقط في الفتنة (الامتحان) ونالَ جزاءه .

فصورةُ الإنسان حسنةً كانت أم قبيحة ، كاملةً أم ناقصةً هي نوعٌ من القدَر الَّذِي لا يستطيع الإنسانُ التحكم فيه .

المثال الثاني:

رجلانِ لكلٍّ منهما ولدٌ صالح ، أحدُهما كان ولده عوناً له يشدُّ

---

(١) روى البخاري في صحيحه (٥٦٥٣) عن أنس بن مالك ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إنَّ الله تعالى يقول: إذا ابتَلَيْتُ عبدي بِحَبِيبَتيهِ فصبرَ عوَّضتُه منهما الجنة" وحبيبتاه هما العينان ، وهذا الأجر ملاحظٌ فيه الشروط الآتية: أن يكون العبد المُبْتَلى مؤمناً ، والصبر ، والاحتساب ، كما في رواية الترمذي (٢٤٠١) : "فصبر واحتسب" .

أَزْرَهُ لَمَّا عجز ، والثاني ماتَ أمَلُهُ حين دفن فلذةَ كبده تحت الـتراب ، وهو في أشَدّ الحاجةِ إليه ، وقد بلغَ من الكِبَرِ عِتِيّا .

وهنا أيضاً تنهالُ الأسئلة بلا هوادة:

س- ما فضل الأول؟ وما ذنبُ الثاني؟

س- لماذا لم يصنع بالأول ما صنع بالثاني أو بالعكس ؟

س- لو لم يرزق الثاني بالولد ألَم يكن ذلك خيراً له؟

والجوابُ على هذه الأسـئلة ومـا يماثلهـا ممـا ليـس للإنسـانِ فيهـا أدنـى اختيار:

كذلك قضَتْ حكمةُ ا لله ؛ فـا للهُ تعـالى هـو الَّـذِي يخصـصُ ويختـارُ ويشاءُ:

﴿وربُّكَ يخلقُ ما يشاءُ ويختارُ ما كانَ لهمُ الخِيَرَة﴾[القصص: ٦٨] ، **﴿وَمَـا كَـانَ لِنَفْـسٍ أَن تَمُـوتَ إِلاَّ بِـإِذْنِ ا للهِ كِتَابـا مُّؤَجَّـلا﴾** [آل عمران: ١٤٥] .

﴿وَمَـا يُعَمَّـرُ مِـن مُّعَمَّـر وَّلا يُنقَـصُ مِـنْ عُمُـرِهِ إِلاَّ فِي كِتَـاب﴾ [فاطر: ١١] .

فبهذه الأمور وأمثالها يدخل الإنسانُ تحت وَطْأَةِ الامتحان ، وبه يُمَيزُ ا للهُ الخبيثَ من الطَّيبِ ، فمن أصابه الخير فواجبه الشـكر ، فإمـا أن

يقوم به ويؤجَـرَ ، وإمـا أن يتخلّى عنـه فيأثم ، ومَـن أصابـه الضُّـرُّ فواجبه الصبر ، فمن قام به أخـذَ أجْـرَه بغـيرِ حسـاب ، وإن عمـل بضده[1] أثِم.

أمثلة على أعمال الإنسان الاختيارية

المثالُ الثالث:

شقيقان توأمان رُبّيا في بيئةٍ واحدة ، كان أحَدُهُما مصدراً للخـير كيفما اتَّجَهَ ، وكانَ الثاني لا يرى سبيلاً للشرِّ إلاَّ سَلَكَه .

في هذا المثال ونحوه من أمثلةِ **الأعمال الإنسانية الاختيارية** ، تجـود قرائح الكسالى والملحدين ، وتنطلق ألسنتهم لِيَنفُذَ كُلٌّ إلى غرضه ، بحجـةِ أَنَّ ما يعمله الإنسانُ إن هو إلاَّ جزءٌ من القدر ، فكأنَّ الإله جلَّ جلاله - في نظرهم- خلق الإنسان وسَيَّرَهُ في طريق عيَّنَهُ له ، ولا يستطيع أن يحيـدَ

---

(١) وقد قال بعض الحكماء: إنَّ الإنسانَ لا يؤجرُ على شـيءٍ مـن المصـائب تنالـه في نفسه من مرضٍ وموتِ حميمٍ ورُزْءِ مال ، لأجل ذواتِ هذه الأمور ، فَـإنَّ جميـعَ ذلك طَبْعٌ وجبِلَّةٌ ، ولا صنع للإنسانِ فيه ، وقد يصيب الكـافرَ مثـلُ مـا يصيـب المسلمَ ، إنما يُؤْجَرُ الإنسان على نِيَّتِهِ واحتسابِهِ الأجر فيها ، وتلقِّي الأمر في ذلك بالرِّضا وجميلِ الصبر ، كما في "أعلام الحديث" للخطابي ١:٦٩٠ .

عنه قدر أُنملة ؛ وكأنَّ الناس -في أفكار هؤلاء- مراكب مُعَلَّقَة (تلفريك) تسيرُ على سِلْكٍ لا تتعدَّاه ، أو قاطرة تسير على خطٍّ حديديّ لا تخرج عنه .

وهنا تكمن المغالطة: نحن لسنا مركبةً معلَّقةً ، ولكننا في تلك المركبة نَتَحَرَّكُ فيها أحراراً ، ونتحرَّكُ بحركتها غير مختارين ، نحن لسنا قطاراً ، ولكننا في القطار نقوم ونقعد ونأكل ونشرب ونتكلم . . . ومع هذا فنحن مجبورون على التحرُّكِ بحركته وسلوك طريقه .

إنَّ الله خلقك أيُّها الإنسان ، وسخَّرَ لك هذا الكون ، وجهَّزَكَ بأجهزةٍ بإمكانك أن تجعلها مصدرَ خير ، أو أن تجعلها مصدرَ شرٍّ ، فالأذُنُ التي تسمع كلام اللهِ تعالى ، تماماً كالأذُنِ التي تتجسَّسُ ، والعقلُ الَّذِي يدرك مصلحة الدنيا ، كالعقل الَّذِي يدرك مصلحة الآخرة .

وحياةُ الإنسانِ كلُّها امتحانٌ ، لا ليعلم الله ماذا يصنعُ الإنسان ، ولكن ليعلم الإنسانُ نفسه ماذا صنع ، فيشهد على نفسه ولا يكون له حجةٌ على الله يوم الحساب .

ولابد له من أن يسلكَ أحدَ الطريقين: إما الطريق المؤدي إلى الجنة المحفوف بتكاليف تكرهها النفس ، وإما الطريق المؤدي إلى النار المحفوف

بالشهوات والمغريات المحببة للنفس .

وقد أمره الله باتباع سبيل الرشد الَّذِي وضع معالمه ودلَّ عليها ، ونهاه عن سبيل الغَيِّ ، وحذَّرَهُ من أعدائه الداعين إلى ذلك السبيل .

سبحانكَ اللهم ما أَعْدَلَكَ ، وَمَا أَحْكَمَكَ ، لَمْ تَشَأْ أن تُكْرِهَ الناس حَتَّى يكونوا مؤمنين ، كما لم تشأ أن تكرههم على الكفر ، ولو شئت أيَّ الأمرين لأنفذتَ ما تريد ، ولكنك شِئْتَ أن تترِكَ للناسِ الخيار فيما يعملون وما يذرون ، كما قلت: **﴿وَقُلِ الحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَّمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾** [الكهف: ٣٩] .

"وعلى هذا ، فالأعمال التي يعملها الإنسان هي نوعٌ من القدر ، سطَّرهُ الله بناءً على علمه بما سيقع ، وإرادته له كما هو في علمه سبحانه" [١] .

۞۞۞

(١) الإسلامُ كما فهمت ، للأستاذ محمد القاسمي ، ص ٢٧٩-٢٨٢ باختصار .

المناقشة

س١- اضرب مثالاً على بعض الأقدار الجبرِية؟ وبين الحكمة فيها .

س٢- ماذا تجيب من يتساءل عن بعض الأقدار الجبرية مما ليس للإنسان فيه أدنى اختيار؟

س٣- ما واجب المؤمن أمام الابتلاء بالسَّرَّاء والضَّرّاء؟

س٤- يغالط بعض الناس فيحتجُّونَ بالقدر على أعمالِ الإنسانِ الاختيارية ، فكيف ترُدّ على هؤلاء؟

س٥- هل أكرَهَ الله سبحانه الناسَ على الإيمان أو الكفر؟ بين ذلك مع الدليل .

الدرسُ السابع والستّون

أمثلةٌ وأسئلةٌ حول القَدَر (٢)

أسئلة عن الهدى والضلال:

السؤال الأول: لماذا لَمْ يهدِ الله الناسَ كلَّهُم؟

"يقول أُناس: لماذا لم يهدِ الله الناسَ كُلَّهُمْ إلى طريق الجنة ، ولماذا وضع في نفوسهم الشهوة ثُمَّ عاقبهم على الزنا؟ وغَرَزَ فيهم حُبَّ المالِ وحاسبهم على جمعه من غير حلال؟.

والجواب: أولاً: أَنَّ الله تعالى لا يقال له: لماذا؟ لأنه لا يُسألُ عمَّا يفعل ، ولأنه الحاكم المطلق ، له الأمر وله الحكم ، ثُمَّ إِنَّ هذا القول كقول طلاب المدرسة: لماذا لا يعطوننا أسئلة الامتحان من أول السنة ، ولماذا أَخْفَوْهَا عنا ، وكلَّفونا الاستعداد لها؟

إنهم أَخْفَوْهَا ليجدَّ الطالب ، ويقرأ المقرَّرَ كُلَّهُ ، ولو أعطيناه أسئلة الامتحان من الآن ، لَما بقي معنىً للامتحان .

والدنيا دار اختبار وامتحان ، ليَتَمَيَّزَ الطائعُ من العاصي ، والمستقيمُ

من المنحرف" [1].

السؤال الثاني: معنى: ﴿يضِلُّ به كثيراً ويهدِي به كثيرا﴾:

"يتساءل بعض الناسِ فيقولون: إننا نقرأ قوله تعالى عن القرآن ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرا وَّيَهْدِي بِهِ كَثِيرا﴾: [البقرة: ٢٦] فنفهمُ من النظرة الأولى أَنَّ الهدى والضلال أمرٌ مقرَّرٌ ، قدَّرَهُ ا لله على العباد ، فجعل هؤلاءِ ضالِّين ، وهؤلاء مهتدين ، دونَ إرادةٍ أو اختيارٍ منهم .

والجواب: من الخطأ الوقوفُ عند أفراد النصوص وعدم اعتبار مجموعها ، فمن تنبَّهَ إلى قوله تعالى: **﴿هُدىً للمتَّقين﴾** ، وقوله: **﴿وما يُضِلُّ به إلاّ الفاسقين﴾** عَلِمَ أَنَّ الهدى والضلال ليس إلزاماً من ا لله ، ولكنه تبع لحالة المرء ، فإن كان مُتَّقِياً كان القرآنُ هدىً له ، وإن كان فاسقاً كان له ضلالاً .

س- وما يدريني إذا كان ا لله تعالى جعلَني مع المتَّقين أو جعلني مع الفاسقين؟

جـ- إذا انتبهت إلى قوله تعالى: **﴿لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُون﴾** ، وقوله: **﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ**

---

(١) تعريف عام بدين الإسلام ، لأستاذنا الشيخ علي الطنطاوي ، ص١٤٦-١٤٧.

إلاَّ الفَاسِقِينَ الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ا للهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ ا للهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ﴾ [البقرة: ٢٦-٢٧] ، علمتَ أَنَّ المسألةَ ليس فيها إجبارٌ ، وأنَّ مردَّها إلى صفاتٍ وأعمال داخلةٍ في نطاقِ حُرِّيَّةِ الإنسان وطاقته .

فأنت تستطيع أن تؤمِنَ بالغيبِ ، وتقيمَ الصلاةَ ، وتنفقَ في سبيل ا لله ، وتستطيع أن تنقُضَ العهدَ ، وتقطعَ الموصول ، وتفسدَ في الأرض . . أمورٌ في طاقتك عملُها ، وفي إمكانك تركُها ، فإن عملتَ الثلاث الأولى كنت بذلك من المتَّقين ، فاستحققتَ الهداية ، وإن عملتَ الثلاث الأخرى كنتَ بذلك من الفاسقين ؛ فاستحققتَ الضلال[1] .

السؤال الثالث: معنى يضِلُّ من يشاء ويهدي من يشاء:

هناكَ آياتٌ يشتبه معناها على بعضِ الناس ، ويَتَّخِذُها الجبريُّونَ حُجَّةً لهم ، مثل قوله تعالى: **﴿يضِلُّ مَن يَّشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَّشَاء﴾** [النحل: ٩٣ ، فاطر: ٨] .

ويقولونَ: كيف السبيلُ إلى الهدايةِ وطريقُها مسدود ، إلاَّ أن يشاءَ ا لله ، وكيف يجدُ الإنسانُ سبيلَ الهدى إذا ختمَ ا للهُ على قلبه ، وجعل

---

(١) تعريف عام بدين الإسلام ، ص ١٣٤ بتصرُّف وزيادة .

على بصره غشاوة .

والجواب: إنَّ القرآنَ يفسر بعضه بعضاً ، ويصدقُ بعضه بعضاً ، فآياتُ الإضلال والختمِ والطبعِ التي وردت عامةً ، قد خصَّصَتها آياتٌ أُخَر .

فقوله تعالى: ﴿**يُضِلُّ مَن يَّشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَّشاء**﴾ كقوله سبحانه: ﴿**يَغْفِرُ لِمَن يَّشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَّشَاء**﴾ [المائدة: ١٨] .

وقد جاءت الآياتُ المحكَماتُ تبينُ أَنَّ الله لا يغفرُ لأهلِ الشرك: ﴿**إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَن يُّشْرَكَ بِه**﴾ [النساء: ٤٨] ، كما أنه سبحانه لا يُعَذِّبُ أهلَ الإيمانِ والشكر: ﴿**مَا يَفْعَلُ اللهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ**﴾ [النساء: ١٤٧] .

وكذلكَ آياتُ الإضلالِ والخَتمِ والطبعِ التي وردت عامة ، قد خَصَّصَتْها آياتٌ أُخر ، مثل قوله تعالى: ﴿**فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ وَاللهُ لا يَهْدِي القَوْمَ الفَاسِقِين**﴾ [الصف: ٥] .

وقال سبحانه: ﴿**كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّار**﴾ [غافر: ٣٥] .

فليسَ معنى الطبعِ والختمِ ، والسدّ والغشاوةِ في هذه الآياتِ أَنَّ ا اللهَ حالَ بينهم وبينَ الهُدى ، وسدَّ عليهم طريقَ الإيمان ، إذ لو صحَّ ذلك لكانَ لهم الحجةُ على ا الله أن يقولوا: كيف يدعونا إلى أمرٍ ، ثُمَّ يحولُ بيننا وبينه ، وكيف يعاقبنا عليه وقد منعَنا من فعله؟

وهل هذا إلاَّ بمثابةِ مَن أمرَ ابنه بالذهابِ إلى موضعٍ معيَّنٍ ، ثُمَّ قيَّدَهُ بقيدٍ لا يمكن معه نقل قدَمَيه ، ثُمَّ أخذ يعاقبُهُ على عِصيانه للأمر؟

وإذا كان هذا قبيحاً في حقِّ المخلوقين الفقراء المحتاجين ، فكيف يُنسبُ إلى ربِّ العالمين ، مع كمالِ غِناهُ وعلمِه وعدلِهِ وإحسانِهِ ورحمتِهِ .

إنَّ هؤلاء الَّذِينَ طبعَ ا اللهُ على قلوبهم ، وأضَلَّهُمْ إنَّمَا عاقبهم ا الله سبحانه بسبب إعراضهم وتكبُّرِهِمْ باختيارهم ومشيئتِهِم عن الإيمان ، وتركِهِمُ الاهتداءَ بهدي ا الله تعالى .

فالإضلالُ والختْمُ على القلوبِ ليستْ أسباباً للكفرِ والفسوقِ والعصيان ، بل هي نتائجُ لها ، وعقوبات عليها ، وفقاً لسُنَّتِه في الأسباب والمسبِّبات .

قال تعالى: ﴿إنَّ ا اللهَ لا يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٥].

وقال سبحانه: ﴿إنَّ ا اللهَ لا يَهْدِي القَوْمَ الفَاسِقِينَ﴾ [المنافقون: ٦].

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّار﴾ [الزمر: ٣].

فهؤلاءِ الَّذِينَ اختاروا طريقَ الظلمِ والفسقِ والكذبِ والكفر ، لن يجدوا هدايةَ الله ، لأنهم سَدُّوا على أنفسهم طريقَها ، وأغلقوا بابَها ، وهو أثرُ أعمالهم ، ومقتضى سلوكهم الاختياري(١) .

---

(١) التوحيد ، للصف الثالث الثانوي في المعهد الديني بقطَر ، ص ٥٧-٦١ بتصرُّفٍ واختصار .

المناقشة

س١- يتساءلُ بعضُ الناسِ فيقولون: لماذا لَمْ يهدِ الله الناسَ كلَّهم؟ فماذا تجيبُ هؤلاء؟

س٢- يحتجُّ بعضُ الناسِ بقوله تعالى: ﴿يُضِلُّ به كثيراً ويهدي به كثيرا﴾ على أَنَّ العباد لا اختيارَ لهم في سلوك طريقِ الهدى أو الضلال فكيفَ تردُّ على هؤلاء؟

س٣- هل هناكَ تشابهٌ بين قوله تعالى: ﴿يُضلُّ من يشاء ويهدي من يشاء﴾ ، وقوله: ﴿يغفرُ لمن يشاءُ ويعذِّبُ من يشاء﴾ ؟

س٤- آياتُ الإضلال والختمِ والطبعِ هل هي عامةٌ أم خصصتها آياتٌ أخرى؟

س٥- هل يمنعُ الله سبحانه الكفَّارَ من سلوك طريقِ الهدى إذا اختاروه؟

س٦- هل الطبعُ والختمُ أسبابٌ للكفر أم عقوباتٌ عليه؟ مع الدليل.

الدرس الثامن والستون

أمثلة وأسئلة حول القدر (٣)

بين أستاذٍ وطالب: [1]

وقفَ طالبٌ أمامَ أستاذِه مرّةً فقال: ياسيدي الأستاذ ، تأتيني أحياناً خواطرُ، فأحبُّ أن أعرضها عليك:

لِمَ قدَّرَ الله تعالى السعادة لقومٍ ، والشقاوةَ على آخرين ، ولم تكن سعادةٌ فقط؟!.

ولِمَ كانت جنّةٌ ونارٌ ، ولم تكن جَنَّةٌ فقط؟!

وما ذنب العبد إذا قدرَت عليه ضلالةٌ وشقاوة؟!

فقال الأستاذ: إنَّ لهذا البحث علاقةً بالخالق والمخلوق .

فلنبدأ بما يتعلق **بالمخلوق** ، فذلك ألصقُ بنفوسنا ، وأقرب إلى حواسنا ، فنقول:

أ - **للإنسانِ عقل** يدركُ به الخير والشر ، وهذا العقل هو مناطُ التكليف ، والعاقل مكلّفٌ -فلا تكليف على صغيرٍ ولا مجنون- .

---

(١) الإيمان بالقضاءِ والقدر ، للشيخ أحمد البيانوني رَحِمَهُ الله تَعَالَى ، ص ١٣٧-١٤٥.

ب- **وللإنسان اختيار** ، لا ينكره ذو عقل:

١- فهو يقوم باختياره ، ويقعد باختياره ، ويذهبُ ويجيء كذلك ، ويتوجَّه إلى الطاعةِ إذا شاء باختيار ، ويأتي المعصية إذا شاء باختيار ، فليس له إذن أن يحتجَّ بالأقدار .

٢- وإذا أبى إلاَّ الاحتجاج بها ، وعذر نفسه بها ، ضربناه فآلمناه ، أو سلبناه عزيزاً مما يملك مثلاً . . فيستاء .

فنقول له: إنما فعلنا ذلك بقضاءٍ وقدر ، فاعذرنا فإننا مغلوبون على أمرنا ، كما تقولُ أنت ، فلِمَ تعذر نفسك في معصية الله محتجّاً بالأقدار ، ولا تعذر غيرك؟! .

فلا يعذرنا فتنهار حجته مرةً ثانية .

٣- وقد نأمره بطاعةٍ فيقول مُسَوفاً: حَتَّى يهديَني الله!

فنقول له: إنَّ أمرَ الهداية كأمرِ الرزق ، والله تعالى رازقٌ كما هو هاد .

فكما تنتظر من الله الهداية من غير أن تسعى إليها ، فانتظر الرزق من غير أن تسعى إليه كذلك ، واقعد في بيتك ، وأغلق عليك بابَكَ ، حَتَّى يأتِيَكَ الرزق!

فيأبى ، ويقول: لابد من السعي في طلب الرزق ؛ فتنهارُ

حجته مرَّةً ثالثة .

٤- ونقول له أيضاً: أنتَ تحتجُّ بالأقدار ، وتقول: كل شيءٍ بقضاءٍ وقدر .

وهذا صحيح فأمسك هذه الجمرةَ بيدك ، فإنْ قُدِّرَ عليك أن تحرق يدك أحرقتها وإلا فلا! .

فيأبى ، فتنهارُ حجته مرَّةً رابعة .

٥- ونقول له: إِنَّ الإنسانَ مفطورٌ على دفعِ المكاره عن نفسه: فمن داهمته سيارةٌ مثلاً ، مدَّ يديه من غيرِ شعورٍ ليدفعها عن نفسه ، مع ضعفِ اليدين وعجزهما عن دفعِ هذا المكروه! .

والغريق يتخبَّط ، ويحاول في تخبطه أن ينجوَ من الغرق ، مع أَنَّ التخبط لا ينجيه! .

فلِمَ لا يدفع العاقل عن نفسه المكاره التي يلقاها في آخرته ، بما أوتي من قدرةٍ واختيار؟! .

نخلصُ من هذا: إلى أَنَّ السعيد يتعاطى أسبابَ السعادة باختياره ، وهذا من القدَر .

والشَّقِيَّ يترامى في أحضانِ الشقاء باختياره أيضاً ، وهذا من القدر .

وكلٌّ ميسَّرٌ لما خلِقَ له -كما سبق بيانه- ولا عذر لمخلوقٍ في شيءٍ من الأقدار ، ولا حجة .

هذا ما يتعلق بجانبِ المخلوق في موضوع القضاء والقدر .

وبقي الكلام على ما يتعلق بالخالق سبحانه:

إنَّ الله سبحانه وتعالى حكيمٌ ، موصوفٌ بالحكمة ، والحكمة وضعُ الشيء في محلِّه ، وقد قضَتْ حكمته تبارك وتعالى أن يكون إيمانٌ وكُفْرٌ ، وهُدىً وضلال ، وسعادةٌ وشقاوة ، وجنَّةٌ ونار . .

وعقلُ الإنسانِ قاصرٌ عن إدراك هذه الحكمة في الدنيا ، وهو سيشهد لا محالةَ بالعدلِ الإلهي والحكمة الإلهية في الآخرة .

أمَّا في الدنيا فمِن أينَ لإنسانٍ ضعيفٍ خُلِقَ من ترابٍ أن يُدْرِكَ حكمةَ رب الأرباب؟!

قال الطالب: يا أستاذ ، أليس قد يظنُّ ظانٌّ أَنَّ هذا الجواب ناشئٌ عن العجزِ عن الجواب؟

أجابَ الأستاذ: ليس الأمر كذلك ، وسأضربُ لك مثلاً فيه للمستَرْشِدِ مَقْنَعٌ إن شاء الله تعالى:

أنتَ طالبٌ في المرحلة الثانوية ، وتتلقَّى من العلوم الطبيعية والرياضية ما تتلقّى ، فإذا قرَّرَ لك أستاذك نظريَّةً رياضيَّةً ، أو معادلة كيميائية مثلاً ، وفهمتَها أحسنَ فهم ، فهل يستطيعُ أستاذك أو تستطيع أنت أن تقررَها لطفل صغير ، فيفهمها منك ، أو يفهمها من أستاذك ، كما فهمتها أنت؟

قال الطالب: لا .

قال الأستاذ: ولِمَ؟!

قال الطالب: لأنَّ عقلَه لا يتَّسِعُ لمثل هذا .

قال الأستاذ: وهذا الطفل الَّذِي لا يتَّسِعُ عقله اليوم لإدراكِ هذه النظريَّة ، أو فهم هذه المعادلة ، أليسَ من المحتَمَل أن يكون في المستقبل القريب ، حين يكون في مثلِ سِنِّكَ أحسن فهماً لها منك؟

قال الطالب: بلى ، من المحتمل ذلك .

قال الأستاذ: أوليس من المحتمل أيضاً ، إذا هو تخصَّصَ في هذه

العلوم ، وبلغَ سنَّ أستاذك أن يفوق الأستاذ نفسه في علومه هذه؟

قال الطالب: بلى ، ويمكن ذلك أيضاً .

قال الأستاذ: قد وصلتُ بك إلى المطلوب ، فاسمع ما أقول:

إذا كانت درجة إدراك الإنسان للعلوم ومعرفة الحقائق وهو في سن طفولة ، ثُمَّ في سن شباب ، ثُمَّ في سن كهولة تتفاوت هذا التفاوتَ العظيم ، فما بالك بالتفاوتِ بين عقلِ إنسانٍ ضعيفٍ ، وحكمةِ إلهٍ قويٍّ قدير ، عليمٍ خبير؟!

قال الطالب: شكراً لك يا أستاذ ، فقد أزَلتَ من قلبي شبهاتٍ كانت تزلزل إيماني ، ووساوسَ أقَضَّتْ عليَّ مضجَعي .

قال الأستاذ: الحمد لله الهادي إلى الحق وإلى صراطٍ مستقيم" .

مثالٌ أخير:

"لو أخرج معلِّمٌ نتائج تلاميذه -الذين عاشَرهم سنين ووقَف على حقيقتهم- مقَدراً لهم درجاتهم بناءً على عِلمه بهم ، فهل يرضى الكَسولُ الَّذِي نالَ صفراً مثلاً بهذه النتيجة؟ كلاَّ ، ولكنه يطعن بتقدير معلِّمه ، وأنه لا يوثق به .

فإذا أجرى له المعلم امتحاناً مع التلاميذ الآخرين ، مستوفياً كلَّ شروطِ الامتحان العادلة ، ثُمَّ وزنت أجوبةُ الجميع بالقسطاس المستقيم ، فنالَ كلٌّ واحد منهم من الدرجاتِ ما يساوي الدرجة التي كان قدَّرَها له المعلم ، بلا زيادةٍ ولا نقصان ، حَتَّى الكسول لم ينَل إلاَّ درجة الصفر ، فماذا يقول؟ هل يستطيع إلاَّ أن يعترف بدقَّةِ المعلم في تقديره ، وثاقبِ علمه بتلاميذه؟ هل يستطيعُ أن يقول لمعَلّمِه: أنت الَّذِي أجبرتَني على هذه النتيجة بتقديرك الأول؟.

نعم ، لو وضعه المعلم في امتحان الخط على مقعدٍ لا يصلح للكتابةِ عليه ، ولو أعطاه ورقة لا يثبتُ الحبر عليها ، ولو أعطاه ريشةً رديئةً خلافاً لبقية التلاميذ ، فَإِنَّ التلميذ في هذه الحالات يكونُ مُجبَراً على الكتابةِ الرديئة ، وتقضي العدالة ألاَّ يحاسبَ على شيءٍ ليس له فيه حيلةٌ كما عرفنا في الكلام عن نوعَي القدر .

إنَّ حكم المعلم على التلميذ المهمل جاء نتيجةَ علمه الَّذِي علمه بتجربته ، وإنَّ انطباق الواقع على المقدَّر لدَليلٌ على عِلمِ الَّذِي قدَّر ، وليس دليلاً على أنه أجبر ، فإذا كان الأمر هكذا بالنسبة لعلم المعلم ، فكيف الحال بعلم الله الأزَلِي ، الَّذِي أحصى كلَّ شيء ، ولا يعزُبُ عنه

مثقالُ ذَرَّةٍ في الأرض ولا في السماء" [١] .

"وهـذا الطبيـب الحـاذقُ الَّـذِي دعـاه إنسـانٌ إلى بيتـه لِيُجْـرِيَ الفحـص علـى مريضـه ، وبعـد أن أجـرى الطبيـبُ الفحـصَ ، أخـبر أَنَّ هذا المريض لا أمـلَ في شِفائه ، وأنـه سيموت بعـد فـترةٍ وجيزة ، لأنـه عَلِـمَ بخبرتـه أَنَّ مرضـه سيشـتد ويقـوى . . وذكـرَ الطبيـب لمـن حولـه ذلـك ، ووصـف لهـم المضاعفـات المَرَضِيَّـةَ الـتي سـتصيبُ المريـضَ بعـد فـترةٍ وجيزة ، ووقـع الأمـر كمـا قـال الطبيـب وأخـبر؟ فهـل إخبـارُ الطبيب بذلـك كـان السـببَ في مـوتِ المريـض؟ أم أَنَّ هـذا الإخبـار مجرد انكشاف الحال أمام الطبيب؟.

وهل يقول عاقل: إنَّ علمَ الطبيب بموته كان السبب في موته؟ .

وهكذا الأمر بالنسبة إلى علمِ ا للهِ الأزَلِيِّ (و للهِ المَثَلُ الأعلى)" [٢].

❁❁❁

(١) الإسلام كما فهمت ، للأستاذ محمد القاسمي ص ٢٨٤ .

(٢) إيمانُنا الحق ، للأستاذ إبراهيم النُّعمة ، ص ٢٦٦ .

المناقشة

س١- كيف تجيبُ من يحتجُّ بالأقدارِ علـى ضلالِـهِ وشـقاوته؟ مـن خـلال إقامةِ الأدلة على اختياره .

س٢- يقولُ بعضُ الناسِ إذا أُمرَ بطاعة: حَتَّى يهديَـني ا لله!! فمـاذا تجيـبُ هؤلاء؟

س٣- كيف تجيبُ من يتساءلُ عن حكمةِ ا للهِ سبحانه في وجـودِ الإيمـانِ والكفر والهدى والضلال..؟

س٤- هـل علـمُ ا للهِ سـبحانه يجـبرُ العبـادَ علـى سـلوكِ طريـقِ الهــدى أو الضلال؟ اضرِب مثالاً على ذلك .

الدرسُ التاسع والسبعون

الاحتجاج على المعاصي بالقدر

بعض الناس يَحتَجُّونَ بالقدر على معاصيهم وسيئاتِ أعمالهم ويقولون: هذا مكتوبٌ علينا ، سبقَ به القَدَر ، وجَرى به القلم .

وهذا احتجاجٌ باطلٌ من عِدَّةِ وجوه :

الأول : "أنَّ الله تعالى قدَّرَ أرزاقنا فهي محدودة بما قدَّره ، محتومة لن تتغيَّر في علمه ، ومع ذلك أمَرَنا سبحانه بالكسب والسعي .

وآجالُنا كتبتها الملائكة حين نَفَخَتْ فينا أرواحنا ، ونحن في أرحام أمَّهاتنا ، فهي معلومة محدودة ، ومع ذلك أمَرَنا الله تعالى بالتَّداوي والبعد عن أسباب الضر والهلاك .

وهكذا خواتيمنا معلومةٌ عند الله تعالى ، ومع ذلك أمَرَنا بالعمل الصالح ، ونَهانا عن العمل الفاسد .

فيقال لِمَنْ يَحْتَجُّ بالقدَر -وهو مغيَّبٌ عنه-: لِمَ لا تحتجَّ بالقدر المغيَّب عنك في مجال رزقك وأجَلِك ، فاستَسْلِمْ للفقر الذي تعيشه ، وللمرض النازل بك!! ، وإلا فما الفرق بين هذا وذاك؟! .

ولهذا فإنَّه لا يجوزُ للعبد أن يحتجَّ بما هو مغيَّبٌ عنه ليسوغَ أعماله الشريرة ، لأنه مِن تسويل الشيطان له ووسوسته"[1] .

الثاني : القائل بهذا القول من الاحتجاج بالقدر متناقض ، فلو اعتدى عليه شخصٌ ؛ فأخذَ مالَه وانتهك حُرمَته ، أو استحلَّ دَمَه.. ثُمَّ احتج المعتَدي بالقدَر ، وقال له: لا تلُمني ، فَإِنَّ اعتدائي عليك كان بقدر الله.. لاريب أنه ينكر عليه ظُلمَهُ واعتداءَهُ ، ولا يَقبل اعتذارَه ، فكيف لا يقبل الاحتجاج بالقدر في اعتداءِ غيرِه عليه ، ويحتج به لنفسه في اعتدائه على حَق الله تعالى .

وهذا دليل كذب دعواهُ ، وتناقض قولِهِ وفساده وبطلانه [2].

الثالث : أنَّ هذا القول وهو "الاحتجاج بالقدَر" يلزم منه أن يستويَ أولياءُ الله وأعداء الله ، وألاَّ يَتَميَّزَ المؤمنون من الفُجَّار ، ولا أهل الجنة من أهل النار ، وهذا محالٌ ؛ فَإِنَّ هؤلاء جميعاً قد كَتَبَ الله مقاديرَهُم قبل أن يخلقهم ، ومنحَهم الإرادةَ والاختيارَ ، وانقسموا إلى سعيدٍ بالإيمان والعمل الصالح ، وإلى شقيٍّ بالكفر والفسوق والعصيان .

---

(١) "من صحاح الأحاديث القدسية" ، للأستاذ الشيخ محمد عوامة ، ص٨٠-٨١ .

(٢) مقرر التوحيد للمعهد الديني الثانوي بقَطَر ، ص ٤٨-٥٠ بتصرف واختصار .

قال الله تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ المسْلِمِينَ كَالمجْرِمِينَ مَالَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [القلم: ٣٥-٣٦] .

﴿لا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الجَنَّةِ أَصْحَابُ الجَنَّةِ هُمُ الفَائِزُونَ﴾ [سورة الحشر: ٢٠] .

الرابع : أَنَّ سَبْقَ القدر -لو كان عُذراً للعُصاة- لكانت الأمم الظالمة التي أهلكها الله معذورين فيما صنعوا ، مظلومين بما عوقبوا.. مع أَنَّ الله تعالى يقول: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾ [سورة هود: ١٠١] .

ويقول سبحانه بعد أن تحدَّث عن بعض الأمم التي أنزل بها نقمته بسبب كُفرِهم وإعراضهم: ﴿فَكُلاًّ أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ﴾ [العنكبوت: ٤٠] .

وتعلُّل المذنب العاصي بالقدرِ ، جهلٌ لا ينفعُ صاحبه ، بل يضرُّهُ ، وهو ذنبٌ ثانٍ يُعاقبُ عليه أيضاً .

وقد رُويَ أَنَّ لِصّاً أُحضرَ بين يدي عُمر ، فسأله: لِمَ سرقت؟ ؛ فقال: قدَّرَ الله ذلك . فقال عمر: اضربوه ثلاثين سوطاً ، ثُمَّ اقطعوا يده . فقيل له: لِمَ؟ فقال: يُقطعُ لسرقتِه ، ويُضربُ

لكذِبهِ على ا لله .

وكان السلف الصالح يزجرون مَن احتج بالقَدَرِ على المعصيةِ ، ويلومونه أشدَّ اللوم .

"قال عبدا لله بن عمر ﷺ حين قال له بعض الناس: يا أبا عبدِ الرحمن إنَّ قوماً يزنونَ ، ويشربونَ الخمر ، ويسرقون ، ويقتلونَ النفس ، ويقولون: كانَ ذلك في علمِ ا لله ، فلم نجد بُدّاً منه ، فغضب عبد ا لله بن عمر ، ثُمَّ قال: سبحان ا لله العظيم ، قد كان في علم ا لله تعالى أنهم يفعلون ذلك ، ولم يحملهم علم ا لله تعالى على فعلها ، مَثَلُ علمِ ا لله تعالى فيكم كَمَثَلِ السماء التي أظلَّتكم ، والأرضِ التي أقَلَّتْكم ، فكما لا تستطيعون الخروجَ من السماء والأرض ، كذلك لا تستطيعون الخروجَ من علم ا لله ، وكما لا تحملكم السماء والأرض على الذنوب ، كذلك لا يحملكم علم ا لله عليها" .

ثُمَّ قال ابن عمر: "لَعَبْدٌ يعملُ المعصيةَ ، ثُمَّ يقِرُّ بذنبه على نفسه أحبُّ إليَّ من عبدٍ يصوم النهار ويقوم الليل ، ويقول: إنَّ ا لله

تعالى يفعل الخطيئة فيه" [(١)] .

إنَّ المسلم الحق يؤمن بالقَدَرِ ، ولا يعتذر به عن تقصيره وتعديه ، فمن احتجَّ بالقَدَرِ على المعصية ، حُجَّتُهُ دَاحِضَةٌ ، وعُذْرُهُ غَيْرُ مقبول ، فهو يسوغ لنفسه البقاء على منكراته ، وبدلاً من أن يوَبخَ نفسه ويعتب عليها ، إذا به يُلقي العتَبَ على الله سبحانه.

ومن شأن المؤمن إذا وقع في معصية أن يُبَادِرَ إلى التوبة والاستغفار ، ويقول كما قال آدم عليه السلام وزوجُه: ﴿**رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِين**﴾ [الأعراف: ٢٣] .

۞۞۞

(١) تعليقات العلامة الشيخ عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله تعالى على "رسالة المسترشدين" للحارث المحاسبي ص ٩٦ ، وعزا قولَ ابنِ عمر إلى كتاب "المُنْيَة والأمل في شرح كتاب الملل والنِّحَل" لأحمد بن يحيى بن المرتضى اليماني ص٢٥-٢٦ .

المناقشة

س١- يحتجُّ بعض الناس بـالقَدَرِ علـى معـاصيهم ، فيقعـون في التنـاقض ، وضح ذلك؟

س٢- الاحتجاج بـالقدَر علـى المعـاصي يسـتلزم المسـاواةَ بـين أوليـاء ا لله وأعدائه ، بَينْ ذلك؟

س٣- لماذا أهلك ا لله الأمم السابقة ، وكيف تحتج بذلك على من يعتـذر بالقدر في تسويغ المعصية؟

س٤- ما موقفُ السلف ممن احتجَّ بالقَدَرِ على ارتكابِ المعاصي؟

س٥- ما موقف المؤمن إذا وقع في معصية ؟

الدرسُ السبعون

ندفع الأقدارَ بالأقدار

نحنُ مطالَبونَ شرعاً أن ندفعَ أقداراً بأقدار[1] .

فالجوع -مثلاً- من القَدَر ، ونحن ندفعه بقَدَرِ الطعام .

والعطشُ من القدر ، ونحن ندفعه بقدر الشراب .

والمرضُ من القدر ، ونحن ندفعه بالدواء ، وهو من القدر أيضاً .

ولو أَنَّ امرءاً استسلم لقدَرِ الجوع أو الظَّمأ -مثلاً- وهو قادرٌ على دفعه ، ثُمَّ مات ، ماتَ عاصياً لله تعالى ، الَّذِي نهاهُ عن أن يُلقي بنفسه إلى التهلكة .

قال تعالى: ﴿وَلا تُلقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥].

وقد أفصح الرسول ﷺ عن هذا كلَّ الإفصاحِ ، وأوضحَهُ كُلَّ الإيضاح ، حينَ قيلَ له: يا رسولَ ا لله ، أرأيتَ أدويةً نتداوى بها ، ورُقىً نسترقي بها ، وتُقاةً نَتَّقيها ، هل تردُّ من قدرِ ا للهِ شيئاً؟ فقال ﷺ "هيَ من

---

(١) "القضاء والقدر" ، للأستاذ أبي الوفاء محمد درويش ، ص٤١-٥١ ، بتصرف واختصار .

قدَرِ ا لله" [1] .

فهـذا الجـوابُ الحكيـم ، يَحفِـزُ الهِمَـمَ إلى العمـلِ النـافعِ ، ويهيـبُ بالناسِ إلى اتخاذِ الأسباب ، والإمعانِ في الحذر .

وقال أبو عبيدة بن الجراح لعمر بن الخطـاب -رضـي ا لله عنهمـا- حين أرادَ الرجوع من الشام لِما فيها من الطاعون: أفِراراً من قـدرِ ا لله يـا أمير المؤمنين؟ ، قال عمر: لو قالها غيرك يا أبا عُبَيْدة! نعم ، نَفِرُّ مـن قـدرِ ا للهِ إلى قَدَرِ ا لله.

كَرِهَ عمر لمثلِ أبي عبيدةَ -في جلالته وسابقته- أن يفوته مثـلُ هـذا المعنى في فهمِ القدَر ، فبيَّنَ له أنَّ القدر محيطٌ بكل شيء ، فـالذي يفِـرُّونَ منه ، قدرُ ا لله ، والذي يفِرُّونَ إليه: قدَرُ ا لله أيضا ، فالطـاعونُ مـن قَـدَرِ ا لله ، والوقايةُ منه قدَرٌ من ا لله كذلك .

ثُمَّ ضربَ عمر له مثلاً فقالَ: "أرأيتَ إن كانت لك إبلٌ ، وكـانت أمامك أرضٌ خِصْبـة ، وأرضٌ جدبـة ، أليـس إن رَعَيْـتَ الخِصْبـة رعيتَهـا بقـدر ا لله ، وإن رعيـتَ الجدبـةَ رعيتهـا بقـدَرِ ا لله"؟ فقـال أبــو عبيــدةَ:

---

(١) أخرجـه الـترمذيُّ في الطـب (٢٠٦٦) ، وفي القَــدَر (٢١٤٩) ، وقــالَ: هــذا حديثٌ حسن . **والرُّقى**: جمع رُقية ، وهو ما يُقرأ من الدعاء لطلب الشِّفاء .

"بلى" ، قال عمر: "فذلك كذلك"[١] .

وما أحسن قولَ الإمامِ الفقيـهِ الكبـير الشـيخ عبـد القـادر الجيلانـي رحمه الله تعالى: "ليسَ الرجُلُ الَّذِي يستسلم للأقدار ، وإنما الرجـل الَّـذِي يدفع الأقدارَ بالأقدار" ، وفي روايةٍ ثانيةٍ عنه يقول: "نفِرٌّ من القدرِ الفاضل إلى القدر الأفضل" ، وهي كلمةٌ حكيمةٌ بصيرةٌ من لُبابِ الشـرعِ والعقـلِ جميعاً ، وسندها ومرجعها في الكتابِ والسُّنَّةِ المطهرة[٢] .

فـلا تَتِـمُّ مصـالِحُ العبـادِ في معاشِـهم إلاَّ بمدافعــة الأقــدار بعضهــا ببعض .

فَإِنَّ الله تعالى يقدر المقادير ، ويقدرُ ما يدفعُ بعضها قبلَ وقوعه .

ومدافعةُ الأقدارِ على نوعين:

الأوَّل: مدافعةُ أقدارٍ قد انعقدت أسبابُها ولَمَّا تقع ، بأقدارٍ تدفعهـا وتحولُ دونَ وقوعِها ، كمدافعةِ عدُوٍّ متربصٍ بالإعدادِ له ، والحذرِ منه .

---

(١) رواهُ البخاري في صحيحه (٥٧٢٩) ، ومسلمٌ في صحيحه (٢٢١٩) ، كلاهمـا في كتاب الطب ، من حديث عبدا لله بن عباسٍ رضي ا لله عنهما .

(٢) كما في مقدِّمةِ "التصريح بما تواتَرَ في نزول المسيح ، " للأستاذ الشيخ عبد الفتاح أبو غدة رحمه ا لله تعالى .

وإلى هذا يشير قوله تعالى: ﴿**وأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّة**﴾ [الأنفال: ٦٠] .

وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿**وخُذوا حِذْرَكُم**﴾ [النساء: ١٠٢] .

والثاني: مدافعةُ أقدارٍ قد وقعت ، بأقدارٍ تدفعها: كمدافعةِ المرض بالدواء .

وإلى هذا يشير قول الرسول ﷺ : "تداوَوا عبادَ الله ، فَإِنَّ الله لم يضع داءً إلاَّ وضَعَ له دواءً ، غير داءٍ واحد ، قالوا: ما هو يا رسول الله؟ قال: الهرم" [١] .

أمَّا الاستسلام للأقدار ، مع القدرة على مدافعتها ، فهي من العجز والكسل ، والتهاون الَّذِي نُهينا عنه .

فلا ينبغي أن يحولَ الإيمانُ بالقدرِ بيننا وبين اتخاذ الحِيطةِ والحذر ، والنظر في عواقب الأمور ، والحرص على الخير ، والعمل على الظفر به ،

---

(١) أخرجه أبو داود في الطب (٣٨٥٥) ، والترمذي في الطب (٢٠٣٨) ، وقال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيح .

والفِرارِ من الشر ، والعمل على النجاةِ منه[1] .

وقد عَلِمَ ا للهُ سبحانه ضعفَ الإنسان ، وَأَنَّهُ قد تطغى عليه الشهوات ، ويزيِّنُ له الشيطان ، فيقع في المعاصي ، فاقتضَتْ رحمته سبحانه أن يمحوَ بالتوبةِ النَّصوحِ أَثَرَ المعاصي ، فأمرَ بالتوبة ليمحُوَ بها قَدَرَ المعصية .

فمن دَفَعَ بالتوبةِ قدَرَ المعصيةِ -كما يدفع بقدَرِ الطعامِ قدرَ الجوع والهلاك- فقد استمسك بالعروةِ الوثقى .

ومَن لَجَّ في عتُوِّهِ ونفورِهِ ، فعلى نفسه جنى ، وما ربُّكَ بظلاَّمٍ للعبيد .

وقدَّر ا لله سبحانه وتعالى: أَنَّ الجِدَّ سببُ النجاح والظفر في الدنيا ، وأنَّ عملَ الصالحاتِ سببُ الفلاح والفوزِ بالنعيم في الآخرة .

---

(١) فالحذَرُ واتِّخاذُ الأسبابِ مطلوبٌ شرعاً ، تحقَّق به دفعُ القَدَرِ أم لم يتحقق ، وما أجملَ قول التابعي الجليل مُطَرِّف بن عبدا لله الشخِّير المتوفى سنة ٩٥ رحمه ا لله تعالى: "ليس لأحدٍ أن يصعد فيلقيَ نفسه ويقول: قدَّرَ لي ربِّي ، ولكن يحذر ويجتهد ، فإنْ أصابه شيءٌ علمَ أنه لن يصيبه إلاَّ ما كُتِبَ له" . نقله الذهبي في ترجمته في "تذكرة الحفَّاظ" ١:٦٤ نقلاً من التعليقات النفيسةِ على "رسالة المسترشدين" ص ١٠١ .

فإنْ قَصَّرْنا في العمـل ، وحـاقَ بنـا سـوءُ تقصيرِنـا ، كُنَّـا جديريـن باللومِ والعقاب ، لأننا مأمورونَ أن نأخذَ الحذر ، وأن نحتاط للأمر ، وأن نجلب لأنفسنا الخير ، وأن ندفعَ الشَّرَّ عن أنفسنا ما استطعنا .

والمؤمن يجب عليه العمل ، وبذل الجهد لا الاستسلام للأقدار .

قال ﷺ : "ما منكم من أحدٍ إلاَّ قد كُتِبَ مقعده من النَّارِ أو مـن الجَنَّة ، فقال رَجُلٌ من القوم: ألا نتَّكِلُ يارسول ا لله؟ قال: لا اعملوا فكـلٌّ ميَسَّرٌ لما خُلِقَ له" [1].

"وقد يتّخذُ الإنسـانُ كـلَّ الأسباب الممكنـةِ ، ويسـتفرِغُ جُهْـدَهُ ، ويبذل قوَّته ، مستعيناً بـا لله سـبحانه ، ومتوكِّـلاً عليـه ، دونَ أن يَتَحَقَّـقَ مطلوبه .

فكم من مريضٍ راجعَ أكبر الأطِبَّاءِ ، وأُدخل أعظم المستشـفيات ، ولكن لم يبرأ .

وكم من رجلٍ طلبَ الوظيفةَ ، وجمعَ كلَّ ما تحتاجُ إليه ، من علـمٍ

---

(١) رواه البخاري في مواضع ، آخرهـا كتـاب القـدَر ، بـاب وكـان أمـر ا لله قـدَراً مقدورا (٧٥٥٢) ، ومسلم في كتاب القدَر أيضاً (٢٦٤٧) ، كلاهما عن علـيٍّ رضي الله عنه .

وخبرةٍ ، وشهادةٍ وخلقٍ ، ولكنه لم ينلْها .

والأمثلةُ على ذلك كثيرة لا تُحصى ، نعلمُ منها أَنَّ الأسبابَ وحدها لا توصل دائماً إلى الغاية ، وأنَّ وراءها شيئاً آخر ، هو الَّذِي يكون به الربح أو الخسارة ، والشفاء أو الموت ، والنجاحُ أو الخيبة ، وهذا الشيءُ يسميه الجاهلون **حظّاً** ، والملحدونَ **مصادفةً** ، ويعرف العقلاءُ المؤمنون أَنَّ اسمه **القضاءُ والقدر** ، وأنه عملُ الله خالق الأسبابِ والمسببات" [1] .



(١) مقالة "خواطر في تفسير إيَّاكَ نعبد وإيَّاكَ نستعين" ، للشيخ علي الطنطاوي ، مجلة المسلمون ، المجلّد الثامن ، العدد الأول ، سنة ١٣٨٣.

المناقشة

س١- كيف ندفعُ قدرَ الجوعِ والعطَشِ والمرض؟

س٢- هل الأخذُ بالأسبابِ يتعارضُ مع الإيمانِ بالقَدَر؟ وضح ذلك من خلال الحوار الَّذِي دار بين أبي عبيدةَ وعمر رضي الله عنهما.

س٣- مدافعةُ الأقدارِ على نوعين ، اذكرهُما مع الدليل لكل نوعٍ منهما؟

س٤- ما حكمُ الاستسلام للأقدار ، مع القدرة على مدافعتها؟

س٥- هل الأسباب وحدها توصل دائماً إلى الغاية المطلوبة؟

س٦- أكمل الأدلة الآتية ، ثُمَّ اذكر ما ترشد إليه:

أ - "ما منكم من أحدٍ إلاَّ كُتب ....
..............." .

ب - "أرأيتَ أدويةً نتداوى بها ، ....
.................." .

جـ- قال الجيلانيُّ رحمه الله تعالى: "ليس الرجل الَّذِي يستسلم
...." .

الدرسُ الحادي والسبعون

ثمراتُ الإيمانِ بالقَدَرِ

للإيمان بالقدَر ثمراتٌ عظيمة ، وفوائدُ جليلةٌ في حياةِ المؤمن ، وأهم هذه الثمرات:

١- الصبرُ والرضا:

الإيمان بالقدَر يحمل المؤمن على الصبر والرضا والتسليم لله تعالى .

قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧] .

ومن أدعيته ﷺ الدالَّةِ على التسليمِ والرضا: "اللهم لا مانعَ لِما أَعْطَيْتَ ، ولا معطِيَ لِما منعتَ ، ولا رادَّ لِما قضيت ، ولا ينفع ذا الجَد منك الجَدُّ ، ولا حولَ ولا قوَّةَ إلاَّ بالله العلي العظيم" [(١)] .

---

(١) رواهُ البخاري (٨٤٤) ، ومسلم (٥٩٣) ، ومعنى **لا ينفع ذا الجَد منك الجَدُّ**: أي لا ينفعُ ذا الغِنى منك غِناه ، وإنما ينفعه الإيمانُ والطاعة ، **والجدُّ**: الحظُّ والسعادةُ والغِنى كما في "النهايةِ" ١:٢٤٤ .

ومن دعائه ﷺ أيضاً: "اللهم إني أسألك إيماناً يباشرُ قلبي ، حَتَّى أعلم أنه لا يصيبُني إِلاَّ ما كتبتَ لي ، ورِضاً من المعيشةِ بما قسمتَ لي" (١) .

ومِن دعائه ﷺ أيضاً: "اللهم إني أسألك الرضا بعد القضاء" (٢) ، وإنَّما قالَ: "الرضا بعد القضاء" لأن الرضا قبل القضاء عزمٌ على الرضا ، حَتَّى إذا وقع القضاء فقد تنفسخ العزائم .

وكان عمر بن عبدالعزيز يقولُ: ما تركتني هذه الدعواتُ ولي سرورٌ في غيرِ مواقع القضاء والقدر: "اللهم رضني بقضائك ، وبارك لي في قدرك ، حَتَّى لا أُحِبَّ تعجيلَ ما أخَّرت ، ولا تأخير ما عجَّلت" (٣) .

٢- طمأنينةُ النفس:

الإيمان بالقضاء والقدر يورثُ المؤمنَ طمأنينةَ النفسِ ، وراحةَ البالِ ، ويقضي على القلق واليأس ، لأن المؤمن يعتقد بسَعةِ علم

---

(١) رواه البزَّار كما في "مجمع الزوائد" ١٨١:١٠ للهيثَمي ، وقال: "وفي سنده سعيد ابن سِنان وهو ضعيف ".

(٢) رواهُ أحمد ٢٦٤:٤ ، والنسائي (١٣٠٥) ، من حديثِ عمَّار بن ياسر .

(٣) شرح حديث عمَّار ، لابن رجب الحنبلي ص٣٨-٣٩ .

ا لله، وأنَّ الخير فيما اختاره ا لله له ، وأنَّ الخير كلَّهُ بيده سبحانه .

قال تعالى: ﴿**وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئا وَّهُوَ خَيْر لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئا وَّهُوَ شَرّ لَّكُمْ وَا للهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُون**﴾

[البقرة: ١٦٦] .

"فالعبدُ جاهلٌ بعواقبِ الأمور ، عاجزٌ عن تحصيل مصالحه ، ودفع مضارهِ بنفسه ، لا يعلمُ ما هو خيرٌ من حوائج الدنيا التي تُجهل عاقبتُها ، ولهذا شُرعت الاستخارةُ في الأمورِ الدنيويَّةِ كلِّها ، وشرعَ أن يقول الداعي في استخارته: "اللهم إنِّي أسْتخيرُكَ بعِلْمِكَ ، وأَسْتَقْدِرُكَ بقُدْرَتِكَ ، وأسألُكَ من فَضْلِكَ العظيم . فإنك تَقْدِرُ ولا أَقْدِرُ ، وتعلمُ ولا أَعْلَمُ ، وأنت علاَّمُ الغيوب ، ثُمَّ يقول: اللهم إن كنتَ تعلم أَنَّ هذا الأمر -ويسَميهِ باسمه- خيرٌ لي في ديني ودُنياي ومعاشي ، وعاقبةِ أمري -أو قال: عاجل أمري وآجله- فاقْدُرْهُ لي ، ويسرْهُ لي ، ثُمَّ باركْ لي فيه . وإن كنتَ تعلمُ أَنَّ هذا الأمر شرٌّ لي في ديني ومعاشي وعاقبةِ أمري -أو قال: عاجلِ أمري وآجله- فاصرفه عنِّي واصرِفْني عنه ، واقْدُر لي الخيرَ

حيث كان ، ثُمَّ أرضِنِي به" [1] .

وفي الحديث: "من سعادةِ المرءِ استخارتُه ربَّه عز وجَلَّ ، ورضاه بما قضى ، ومن شقاءِ المرءِ تركُه الاستخارَةَ ، وسَخَطُهُ بما قضى" [2] .

٣- دعوةُ المؤمن إلى العملِ والسَّعي:

الإيمانُ بالقَدَرِ يدعو المؤمن إلى العمل والسعي ، فهو يفكر دائماً في المستقبل فلا يأسى ويُطيل البكاءَ على ما فاتـه ثقـةً بـأَنَّ مـا حـدث لا يمكـن تغيـيره ، ولا يشـغل نفسـه كثـيراً بالمـاضي إلاَّ بمقـدار مـا يكتسب العِبرة .

قال ﷺ : "المؤمنُ القوِيُّ خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف ، احرص على ما ينفَعُكَ ، واستعِن بـالله ولا تعجـز ، وإنْ أصـابَك شيءٌ فلا تقُلْ: (لو) أني فعلت كذا كان كـذا ، ولكـن قـل: قـدَّرَ اللهُ وما شاءَ فعَل ، فَإِنَّ (لو) تفتح عملَ الشيطان" [3] .

---

(١) رواه البخـاري في صحيحـه مـن حديـث جـابر (١١٦٦) و (٦٣٨٢) و (٧٣٩٠) ، وفي الأدب المفـرد (٧٠٣) ، والـترمذي (٤٨٠) ، وأبـو داود (١٥٣٨) ، وابن ماجه (١٣٣) .

(٢) أخرجه أحمد ١٦٨:١ ، والترمذي (٢١٥١) .

(٣) رواه مسلم في كتاب القدر (٢٦٦٤) عن أبي هريرة .

٤- الشجاعةُ والإقدام:

الإيمان بالقَدَرِ يبعثُ في المؤمن الشــجاعةَ على مواجهـة الشـدائد ، ويقوي العزائم ، ثقةً بِـأَنَّ كُـلَّ شـيءٍ بقـدَر ، وكُـلَّ صغـير وكبـيرٍ مُسْتَطَر ، وأنَّ الله تعالى فَرَغَ من تقدير الأرزاق والآجال.

ولذلك يستقبل المؤمن الموتَ والشدائد وهـو متمثّـلٌ قـول الله عـزَّ وجَلّ: ﴿**قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللهُ لَنَا**﴾ [التوبة: ٥١] .

وبذلك يَتَحَرَّرُ المؤمن من الخوفِ ، ولا يـذل إِلاَّ لله ، لأن الله هـو الذي يملكُ رزقَه وأجَلَه وأمرَهُ كلَّهُ .

قال سيدُنا رسول الله ﷺ لابن عَمهِ عبد الله بن عباس رضـي الله عنهما: "واعلم أَنَّ ما أصابكَ لم يكن لِيُخطِئَكَ ، وأنَّ ما أخطأك لم يكُن ليصيبَكَ ، واعلـم بِـأَنَّ الأمَّـةَ لـو اجتمعـت علـى أن ينفعـوكَ بشيءٍ لن ينفعوكَ إِلاَّ بشيءٍ قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعـوا علـى أن يَضُرُّوكَ بشـيءٍ لـن يَضُـرُّوكَ إِلاَّ بشـيءٍ قـد كتبـه الله عليـكَ ، رُفِعَت الأقلام وجفَّتِ الصُّحُف" [١] .

(١) رواهُ أحمد ١:٢٩٣ ، والترمذي (٢٥١٦) ، وقال: حديثٌ حسنٌ صحيح .

٥- ثباتُ المؤمن أمام الابتلاء بالخير والشَّر:

الإنسانُ إذا أصابه الخير بَطِـرَ واغـتَرَّ ، وإذا أصابـه الشـرُّ ونـزلَ بـه البلاء جَزِعَ وحَزِنَ ، ولا يعصـم الإنسـانَ مـن البطَـرِ والطُّغيـانِ إذا أصابه الخير ، والجزعِ والهلعِ إذا أصابه الشر إلاَّ الإيمانُ بالقدر .

قال تعـالى: ﴿**مَـا أَصَـابَ مِـن مُّصِيبَـةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي أَنفُسِـكُمْ إِلاَّ فِي كِتَـابٍ مِّـن قَبْـلِ أَن نَّبْرَأَهَـا إِنَّ ذَلِـكَ عَلَـى ا للهِ يَسِـير لِّكَيْـلا تَأْسَـوْا عَلَـى مَـا فَـاتَكُمْ وَلاَ تَفْرَحُـوا بِمَـا آتَـاكُمْ وَا للهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُور**﴾ [الحديد: ٢٢-٢٣] . ومن هنا نجد المؤمن بالقدر ثابتَ الأخلاق ، لا تبطره النعمة ، ولا تُضْعِفُهُ المصيبة .

٦- الكرامةُ وعِزَّةُ النفس:

الإيمان بالقدَر يربي المسلم على الشعور بالكرامة وعزَّةِ النفس ، فلا يرضى لنفسه الذُّلَّ والهوان ، ولا يصبرُ على الهزيمةِ والعدْوان .

ويرُدُّ الرسولُ ﷺ منطـق الاستسـلام الجَبْرِي أو السَّـلْبِي لأحـداث الحياة ووقائع الدهر باسم الإيمان بالقدر ، ويعتـبر ذلـك ضَرْبـاً مـن العجز المذموم في دين ا لله ، وإليكَ هذه الواقعة في بيان ذلك:

فقد قضى النبيُّ ﷺ بين رجلين فقال المقضيُّ عليه لَمَّا أدبر: "حسبيَ

ا لله ونِعمَ الوكيل" ؛ فقال النبي ﷺ : "إنَّ ا لله يلـومُ علـى العَجْـزِ ، لكـن عليـك بـالكَيْس ، فـإذا غَلَبَـكَ أمـرٌ فَقُـلْ: حَسْبيَ ا للهُ ونِعْـمَ الوكيل"[1] .

لَقَدْ كَرِهَ النبيُّ ﷺ من الرجل أن يواريَ عَجْزَهُ بالحَسْبَلَةِ والحَوْقَلَـةِ ، بدلَ أَنْ يُوَاجِهَ الأمرَ بما ينبغي مـن الحكمـة والتَّفَطُّنِ ، فالاحتجـاج بالقدر في غير موضعه عجزٌ واستسلام .

ومن أدعية النبيِّ ﷺ التي عَلَّمَهَا لأصحابه: **"اللهم إنـي أعـوذُ بـك مـن الهـمّ والحـزَن ، ومـن العَجْـزِ والكَسَـلِ ، وأعـوذُ بِـكَ مــن الجـبنِ والبُخل ، ومن غَلَبَةِ الدَّينِ وقَهْرِ الرّجَال"** [2] .

---

(١) رواه أبـو داود (٣٦٢٧) في كتـاب الأقضيـة ، **والعجـز**: تـرك مـا يجـبُ فعلُــهُ بالتسويفِ . **والكَيْس**: العقل وحسن التصرُّف .

(٢) رواه أبو داود في كتاب الصلاة (١٥٥٥) ، **والهمُّ**: ما يتصوره العقل من المكروه في الحال . **والحزَنُ**: لِما وقعَ في الماضي .**والعجزُ**: ضدُّ الاقتدار .**والكسل**: ضـدُّ النشاط .**والجبن**: ضد الشجاعة .**والبخـل**: ضـد الكرَمِ .**وغَلَبَـة الدَّيـن**: شـدَّته وثِقَلُهُ .**وقهر الرجال**: شدة تسلُّطِهِمْ لِما في ذلك من الوهن في النفس والمعاش.

المناقشة

س١- الإيمانُ بالقَدَرِ يحملُ المؤمن على الصبر والرضا ، اشرح ذلك؟

س٢- لِمَ شُرعتْ صلاةُ الاستخارة ، وماذا يقول الداعي في استخارته؟

س٣- الإيمان بالقدَر يدعو المؤمن إلى العمل والسعي ، وضح ذلك؟

س٤- الإيمان بالقدر يبعث في المؤمن الشجاعة وقوَّةَ العزيمة ، بين ذلك؟

س٥- المؤمن بالقدر ثابت الأخلاق ، لا تبطره النعمة ولا تضعفه المصيبة ، اشرح ذلك؟

س٦- هل يعني الإيمان بالقَدَرِ الاستسلام الجبري أو السلبي لأحداث الحياة؟ اذكر الدليل على ما تقول.

س٧- أكمل الأدِلَّة الآتية ، ثُمَّ اذكر ما ترشد إليه:

أ - قال ﷺ : "المؤمن القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى الله .... ".

ب- قال ﷺ لابن عباسٍ رضي الله عنهما: "واعلم بِأَنَّ الأمة .... ".

الفصل السابع

خصائص العقيدة الإسلامية

١- عقيدة رَبَّانِيَّة .

٢- عقيدة فِطريَّة.

٣- عقيدة واضحة .

٤- عقيدة مُبَرْهَنة .

٥- عقيدة وسطيَّة .

٦- عقيدة عمليَّة .

٧- عقيدة شُمُولِيَّة .



الدرسُ الثاني والسبعون

١- عقيدة ربَّانيَّة

من خصائصِ العقيدة الإسلامية: الرَّبّانية . ومعناهـا: الانتسـابُ إلى الربِّ سبحانه وتعالى .

أ - رَبَّانية المصدر والمنهج:

العقيدة الإسلامية ربَّانيةُ المصدر لأنَّها وحيُ اللهِ تعالى إلىخاتمِ رسُلِهِ محمدٍ ﷺ ، وهي مستفادةٌ من كلام الله الَّذِي لا يأتيهِ الباطلُ من بين يديه ولا من خلفه ، ومن السُّـنَّةِ المبيِّنـةِ للقـرآن ﴿**وَأَنزَلْنَـا إِلَيْـكَ الذِّكْـرَ لِتُبَيِّـنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ**﴾ [النحل: ٤٤] .

فهي عقيدةٌ ربانية كاملة ، لا تقبل الزيـادةَ أو النقصـان ، وثابتـةٌ لا تقبل التحريفَ والتبديل ، فليس لحاكمٍ من الحكـام أو مجمـعٍ مـن المجـامع العلميَّة ، أو مؤتمرٍ من المؤتمرات الدينية أن يُضيفَ إليها أو يُغيِّرَ فيها [١] .

ب- هي إخبارٌ عن حقائقِ الوجودِ وربّ الوجود:

ليست العقيدة من قَبيلِ ما يسمَّى في المنطق والبلاغة "إنشاء" ، إنما

---

(١) الخصائص العامة للإسلام ، للقرضاوي ، ص ٣٩-٤٠ .

هي من قَبيل "الإخبار" لأنها خبَرٌ عن القضايا الكبرى في الوجود: عن ا لله سبحانه وأسمائه وصِفاته ، وعن عوالِمِ الغيب ، مما لا يدركـه الحس ، ولا يهدي إلى تفصيله العقل .

ومن ثَمَّ لا يملك أن يخبر عن هذه القضايا إلاَّ مَن يحيط بهـا علماً ، وهو ا لله تعالى ، أمَّا البشَر المخلوقـون فـلا يدخـل علـم هـذه الغيبيَّـاتِ في اختصاصهم ، يقولُ سـبحانه: ﴿**يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْما**﴾ [طه: ١١٠] .

جـ- سلامتها من التحريفِ والتبديل:

العقيدة الإسلامية هي العقيدة الوحيدة في العالم التي مصدرهـا كلمـاتُ ا لله ، غـير محرَّفـةٍ ولا مبدَّلـةٍ ، ولا مخلوطـةٍ بأوهـامِ البشَـر وأغلاطهم وانحرافاتهم .

إنَّ العقائد التي تسيطر على العالم اليوم -فيما عدا الإسلام- ثلاثٌ:

١- **عقيدة دينيَّة محرَّفـة:** -وإن كـانت إلهِيَّـةً في أصلهـا- عملـت فيها يدُ التحريف والتبديل ، فأدخلت فيهـا مـا ليـس منهـا ، وحذفَتْ منها ما هو فيها ، واختلـط فيهـا كـلام ا للهِ بكـلامِ البشَر ، ولَم يبقَ ثَمَّةَ ثقةٌ بربَّانيَّةِ مصدرِها ، وذلك كاليهودية

والنصرانية .

٢- **عقيدة دينية بشرية:** مثل الديانة البوذية القائمة في الصين واليابان والهند ، والتي لا يُعرف لها أصل إلهي ، أو كتاب سماوي ، ومصدرها فكرٌ بشَري .

٣- **منهج بشَريٌّ محض:** مصدره التفكير العقلي أو الفلسفي لبشرٍ فرد ، أو مجموعةٍ من الأفراد كالشيوعية التي اضمحَلَّ وجودها ، والرأسمالية ، والوجودية وغيرها [1] .

أما عقيدة الإسلام فهي العقيدة التي سَلِمَت من تحريف وتدخُّل البشر ، لأنَّ الله تعالى تولَّى حفظ كتابه بنفسه ، فقال سبحانه: ﴿**إِنَّا نحنُ نزَّلنا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُون**﴾ [الحجر: ٩] .

د - ربَّانية الغاية والمقصِد:

فكما أَنَّ العقيدة الإسلامية رَبَّانِيَّةُ المصدر والمنهج فهي كذلك ربَّانية الغاية والمقْصِد ، لأنها تجعل غايةَ الإنسان الأخيرة ، وهدفَه البعيد هو حسنُ الصِّلةِ با لله تعالى ، والحصولُ على مرضاته ، ليكون عبداً خالصاً

(١) المصدر السابق ، ص ٣٨-٣٩ .

لله تعالى ، لا لأحدٍ سواه ، وهذا هو معنى التوحيد: إفراده سبحانه بالعبادة ، فلا يُشرك به أحدا ، ولا يُشرك معه شيئاً ، وهذا معنى ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾ [الفاتحة: ٥] .

ولقد خاطب الله تعالى رسوله محمداً ﷺ بهذه الحقيقة ، وأمرَهُ أن يعلنَها للناس ، فقال تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِيناً قِيَماً مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ**[1]﴾ [الأنعام: ١٦١-١٦٣] .



٢- عقيدة الفطرة

عقيدة الإسلام متَّفِقةٌ مع الفطرة ، وهذا هو صريح قول الله عزَّ وجلّ: ﴿**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا**

---

(١) **صراطٍ مستقيم:** طريقٍ قويم وهو دينُ الإسلام ، **ديناً قِيَماً:** مستقيما ثابتاً ، مقوما لأمور المعاش والمعاد ، **ملَّةَ إبراهيم:** دين إبراهيم وشريعته ، **حنيفاً:** الحنيف المائل ، وهو ميلٌ عن الشركِ إلى التوحيد ، **ونُسُكي:** النُّسُك العبادة ، وكل ما يُتقرَّبُ به إلى الله تعالى .

تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُون﴾ [الروم: ٣٠] .

وصريح الحديث النبوي: "كلُّ مَوْلودٍ يولَدُ على الفطرة -أي على الإسلام- فأبواه يُهَوِّدانِه أو يُنَصِّرانِه أو يُمَجِّسانه" (١) ، ذَكَرَ الحديثُ التهويدَ والتنصيرَ والتمجيسَ ، ولَم يذكر الإسلام ، ولم يَقُل: أو يسَلِّمانه ، فدلَّ على أَنَّ الإسلام فطرةُ الله فلا تحتاج إلى تأثيرٍ من الأبوين ، أما الأديان الأخرى من يهودية ونصرانية ومجوسية فهي من تلقين الآباء وتأثير البيئة ، وإليكَ أمثلةً عَلَى اتفاقِ العقيدةِ الإسلامية مَعَ الفطرة البشرية:

المثال الأول: وجود الله تعالى وَوَحدانِيَّتُهُ :

يهتدي الإنسان بفطرته السليمة أن للكونِ إلهاً واحداً . . وإذا اختفت هذه الفطرة في ساعاتِ اللهوِ والرخاء ، فإنها تظهر عند الشدَّة والبلاء .

ولو خُلِّيَ الناسُ فيما بينهم وبين أنفسهم ، ولم يقَعوا تحت مؤثِّرٍ

(١) رواه البخاري (٢٦٩٧) ، ومسلمٌ (١٧١٨) .

خارجي ؛ لأَقَرُّوا بوجوده ووحدانيَّته سبحانه وتعالى .

المثال الثاني: الإيمان باليوم الآخر:

الإيمان باليوم الآخر فطرةٌ فطَرَ الله الناسَ عليها ، فكلُّ إنسانٍ يشعر بقرارة نفسه أنه لَمْ يُخلَق لمجرد هذه الحياة وتلك المدة القصيرة . .

"ويحسُّ من نفسه كذلك بعدم النهاية في شعوره ومطالبه ، وفي شوقه إلى عالمٍ لا يتناهى ، وكلما وَصَلَ إلى شيءٍ طلب غيرَهُ ، لأنه يجده غير محقِّقٍ لِما تتوق إليه نفسه ، من صفاء لا مكدِّرَ له ، وسعادةٍ ليس فيها شقاوة ، ومُلْكٍ لا يعتريه زوال ، ونعيمٍ كنعيمِ أهل الجنة . . فهو يحسُّ بأنه مستعدٌّ لهذا ، ولكنه يطلبه من هذا العالم جهلاً منه ، فَإِنَّ هذا الشعور النفسي لم يُخلق عبثاً ولا جزافاً" [1] .

❁❁❁

(١) مجلة الأزهر ، المجلد الأول سنة ١٣٤٩ ، العدد الثاني ، مقال للشيخ يوسف الدّجوي بعنوان: البعث.

المناقشة

س١ – تَتَمَيَّزُ عقيدةُ الإسلام بأنها ربَّانية المصدر ، بيِّن معنى ذلك ، ثُمَّ اذكر ما يتَرَتَّبُ على هذه المزيَّة من أمور؟

س٢– تتميَّز عقيدة الإسلام بأنها ربَّانية الغاية والمقصد ، بيِّن معنى ذلك؟

س٣– هل العقيدة الإسلامية من قبيل الإخبار أم الإنشاء ، وضِّح ذلك؟

س٤– ما أهم العقائد التي تسيطر على العالم اليوم ، وما مزيَّةُ العقيدة الإسلامية عن تلك العقائد ؟

س٥– من خصائص العقيدة الإسلامية أنها عقيدة الفطرة ، اشرح ذلك؟

س٦– من دلائل الفطرة: وجود الله تعالى ووحدانيته ، بيِّن ذلك؟

س٧– من دلائل الفطرة: الإيمان باليومِ الآخر ، وضِّح ذلك؟

س٨– أكمِل الأدِلَّة الآتية ، ثُمَّ اذكر ما تدلُّ عليه:

أ – ﴿قل إِنَّ صلاتي ....﴾ .

ب– ﴿فأَقِم وجهكَ للدين ....﴾ .

جـ– "كلُّ مولودٍ يولدُ ...." .

الدرسُ الثالث والسبعون

٣- عقيدة واضحة

فهي عقيــدةٌ واضحــة لا تعقيــدَ فيهــا ولا غمــوض ، تناســب جميــعَ المكلَّفين ، وتُقْنِعُ جميع المستويات الفِكْرِيَّـة والاجتماعيـة ، وإليـك بعـض الأمثلة على وضوحِ العقيدة الإسلامية:

المثال الأول: العقيدة في ذات الله سبحانه:

تَتَلَخَّصُ عقيدةُ الإسلام في ذاتِ الله تعالى بإثبات وجوده ، وأنَّ لهذا الكون البديع المتقَنِ ربّاً واحداً خلَقَهُ وأتقنه ، وقدَّر كلَّ شيءٍ فيه .

وهذا الإله ليس له شريكٌ ولا شبيهٌ ولا صاحبةٌ ولا ولد: ﴿**قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ اللهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ**﴾ [الإخلاص] ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْء وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِير**﴾ [الشورى:١١] .

مقارنة:

أ - فأين من هذا الوضوح: **عقيدة التثليث** في الوَثَنِيَّات القديمة ، أو في المسيحية المتأثِّرَةِ بها التي تجعل الثلاثة واحداً ، والواحد ثلاثة ، وتقول: الأب والابن والروح القدس إله واحد؟ فتخالف العقل ،

وتُرْبِكُ الفِكر ، وتكلِّفه اعتقاد المحال؟

ب- وأين من هذا الوضوح: **عقيدة اليهــود** الذيـن يقولـون: عُزَيـرٌ ابـنُ الله ، والذين يجسِّمون الله سبحانه ، ويتحَدَّثُون عنــه كأنـه واحـدٌ من البشر؟

جـ- وأين من هذا الوضــوح: **عقيــدة الوَثَنِيِّيـن** الَّذِيـنَ يؤلِّهـون الشـمسَ والحجرَ والبشرَ والبقرَ؟ .

المثال الثاني: ذاتُ النبي ﷺ :

عقيدة الإسلام في ذاتِ النبي ﷺ واضحةٌ نَيِّرَةٌ ليـس فيهـا غمـوضٌ ولا التواء ، ولا تهاويلُ ولا ادِّعــاء ، فهـو ﷺ بشـرٌ اصطفـاه الله تعـالى ، وخصَّهُ بالوحي .

قال تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّمَا أَنَاْ بَشَر مِّثْلُكُـمْ يُوحَـى إِلَيَّ أَنَّمَـا إِلَهُكُـمْ إِلَـهُ وَّاحِدٌ**﴾ [الكهف:١١٠] .

فهو ليس مَلَكـاً ، ولا يعلـمُ مـن الغيـب إلاَّ مـا أَطْلَعـه الله سـبحانه عليه ، وليس له من الأمرِ شيء ، وإنما هو مُبَلِّغٌ عن ربِّهِ عزَّ وجَلّ .

قال تعالى: ﴿**قُلْ مَا كُنتُ بِدْعا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِــي وَلا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ**﴾ [الأحقاف:٩] .

وقَضِيَّةُ النبوة والرسالة في عقل المسلم وشعورِه واضحةٌ تماماً متميِّزَةٌ عن قضية الربوبية والإلهيَّة ، فالرُّسُلُ ليسوا آلِهةً ولا أبناءَ آلهة: ﴿**مَا المسيحُ ابنُ مَرْيَمَ إلاَّ رَسُول قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وأمُّهُ صِدِّيقةٌ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَام**﴾ [المائدة:٧٥] .

مقارنة:

أ - فأين من هذا الوضوح ما أحاط به النصارى شخصيَّةَ المسيح ، وما نَحَلوه من صِفاتِ الإلَهِيَّة والربوبية ، فقالوا: إنه الله ، أو ابن الله ، أو ثالث ثلاثة؟! .

"ولم يَتَّضِحْ للنصارى حقيقة المسيح ما هي؟ حَتَّى إنَّهم عقدوا المجامع للبحث في طبيعته ، أَهُوَ إله؟ أم ابن إله؟ أم بشرٌ خالص؟ أم بشرٌ حلَّ فيه الإله؟ أم جزءٌ من أقانيمَ ثلاثةٍ[1] يتكوَّن منها الإله: الأب والابن والرُّوح القُدُس؟ والرُّوح القدُس نفسه اختلفوا فيه ما هو؟ وما علاقته بالأقنومَين الآخرين؟ وأمُّ المسيح التي ولدته ما هي أيضاً؟ وما نصيبها من

(١) **الأقانيم:** جمع أقنوم وهو الجوهر ، والشخص ، والأصل ، ويستعمل عند النصارى للدلالة على الثالوث "المعجم الوسيط" .

اللاهوت والنَّاسوت[1] أو الإلهية والبشَرية؟

كُلُّ هذه الأسئلة وغيرها كانت مجالاً للبحث والجدل والاختلاف والتَّفَرُّق ، بحيث نشأ حولها فرقٌ وطوائف يكَفِّرُ بعضها بعضاً ، ويلعنُ بعضها بعضاً ، حَتَّى أصبحت وكأنها أديانٌ متباعدة ، لا نِحَلٌ في دينٍ واحد" [2] .

ب- وأين من هذا الوضوح: ما أحاط به اليهود شخصيَّة إسرائيل (يعقوب) عليه السلام من خرافاتٍ وتهاويل حَتَّى زعموا أنه صرَعَ الله سبحانه ؛ فَصَرَعَهُ؟

جـ- وأين من هذا الوضوح: ما أحيطت به قَصَصُ بعض الأنبياء في العهد القديم من مزاعم وادّعاءات وأساطير وخرافات؟

المثال الثالث: المسؤولِيَّةُ والجزاء:

تُقرِّرُ عقيدةُ الإسلام بوضوحٍ مسؤولية الإنسان عن عمله ، فلا يحمل الابن وِزْرَ أبيه ، ولا الأخ وِزْرَ أخيه ، وكلُّ امرئٍ بِما كسبَ رهين ، وكلُّ إنسانٍ مختصٌّ بذنبه.

---

(١) **الناسوت**: الطبيعة البشَرِيَّة ، ويقابله **اللاهوت** بمعنى الإلهيَّة "المعجم الوسيط" .

(٢) الخصائص العامة للإسلام ، للدكتور يوسف القرضاوي ، ص١٩٠-١٩١ .

قال تعالى: ﴿ولا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزرَ أخرى[1]﴾ [فاطر: ١٨] .

وقال تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلإنسانِ إلاَّ مَا سَعَى وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ثُمَّ يُجْزَاهُ الجَزَاءَ الأَوْفَى﴾ [النجم: ٣٩-٤١] .

ومعنى هذا: أَنَّ مصيرَ كلِّ إنسانٍ ليس بيدِ كاهنٍ أو قِدِّيسٍ ، إنما مصير الناس بأيديهم أنفسهم ، حسبما تشهد صحائفهم ، وتقرره موازينهم ، قال تعالى: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾.[المؤمنون: ١٠٢-١٠٣] .

مقارنة:

فأين هذا الوضوح مما تقرِّرُهُ الديانة النصرانية من أَنَّ خطيئة آدم في

(١) **الوِزْر**: الثِّقل ، ويُعَبَّر بذلك عن الإثم ، أي أَنَّ كلَّ نفسٍ يوم القيامة لا تحمل إلاَّ وزرها الَّذي اقترفته ، لا تُؤَاخَذ بذنبِ غيرها ، وهذه الآية في الضالين ، وأمَّا قوله تعالى: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أثقالَهُم وأثقالاً مع أثقالهم﴾ [العنكبوت: ١٣] فهذه الآية في المضِلِّين ، يحملون أثقالَ مَن أضَلُّوهم من الناس مع أثقالِ أنفسِهم ، كما جاء في الحديث: "ومن سَنَّ سنَّةً سيئةً كان عليه وِزْرُها وَوِزْرُ من عمِلَ بها" أي مثل وزر من عمل بها .

أكلِهِ من الشجرة حمَلَها أبناؤه وذُرِّيـَّـتُه مـن بعـده ، ومـا زالـوا يَتَحَمَّلُـون وِزْرَهَا حَتَّى جاء المسيح -المخَلِّص أو الفادي- في زعمهـم ، فقـدَّمَ نفسَـه للصَّلْبِ فداءً لهم لتخليصهم من وِزْرِ أبيهم آدم؟.



المناقشة

س١- تتميَّز العقيدة الإسلامية بالوضوح في ذاتِ ا الله تعالى ، بيِّن ذلك؟

س٢- قارِن بين وضوح العقيدة الإسلامية في ذاتِ ا الله تعالى ، وبينَ غيرها من العقائد؟

س٣- تتميَّز العقيدة الإسلامية بالوضوح في ذاتِ النبي ﷺ ، اشرح ذلك؟

س٤- قارن بين وضوح العقيدة الإسلامية في ذات النبي ﷺ ، وبين عقيدة النصارى؟

س٥- تتميَّز العقيدة الإسلامية بالوضوح في المسؤولية والجزاء ، بيِّن ذلك؟

س٦- قارِن بين وضوح العقيدة الإسلامية في مسؤولية الإنسان عن عمله وما تقرره الديانة النصرانية؟

س٧- أكمل الأدِلَّة الآتية ، ثُمَّ اذكر ما ترشد إليه:

أ - ﴿قل ما كنتُ بِدْعاً من الرسُل ....﴾

ب- ﴿ما المسيحُ ابنُ مريمَ إِلاَّ رسولٌ ....﴾

جـ- ﴿وأن ليسَ للإنسانِ ....﴾

الدرس الرابعُ والستون

٤- عقيدة مُبَرْهَنة

مما اختصَّت به العقيدة الإسلامية أنها توافقُ العقــل ، وتعتمـد علـى الحُجَّةِ والبرهان ، وتتحــاكم إلى العقـل فيمـا تقـرّرُه ، ولا تكتفـي بتقريـر قضاياها بالإلزام المجرَّد ، والتكليف الصارم .

فـإذا كـانت هنـاك أديـانٌ ونِحَـلٌ تُطـالب أتباعهـا بالطّاعَـةِ العميـاء والتسليم المطلق بغير اقتناعٍ ولا بيِّنــةٍ ، وتقـول لأتباعهـا: "أطفـئ مِصْبَـاح عقْلِكَ وسـلِّمْ ، وسِرْ وأنـتَ أعمـى.." فَـإِنَّ القـرآن الكريـم يقـول بكـل صراحة: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١] .

وإليكَ بعض الأمثلة على البراهين والأدلة العقلية التي يقيمها القـرآن الكريم على القضايا العقَدية الكبرى[١] .

(أ) وجود الله عزَّ وجَلّ :

والبرهانُ الَّذِي أقامه القرآنُ للدلالةِ على وجودِ الله سبحانه ، قولـه تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُــمُ الخَـالِقُونَ أَمْ خَلَقـوا السَّـمَواتِ

(١) العقل والعلم في القرآن الكريم ، للدكتور القرضاوي ، ص٢٧٤-٢٧٨ .

والأَرْضَ﴾ [سورة الطور: ٣٥-٣٦] .

فلا يمكن أن يكونوا خُلِقوا من غير شيء ، لأن هذا ينافي قانون **السَّبَبِيَّة** ، وهو أَنَّ كُلَّ سببٍ لابُدَّ له من مسبِّب ، وَكُلَّ أثرٍ لا بد له من مؤثِّر ، وكُلَّ صنعةٍ لابد لها من صانع ، وهو مبدأٌ فِطْرِيٌّ وعقلي ، لا ينازع فيه إلاَّ مكابر ، فإذا لم يُخْلَقوا من غير شيء ، فلا يمكن أن يكونوا خَلَقوا أنفسهم ، لأنَّ المخلوق لا يخلق نفسه ، والمخلوق قبل خلقِهِ عَدَمٌ ، والعدمُ لا ينشئ الوجود .

ولا يمكن أن يكونوا هم خالِقِي السموات والأرض ، لأنها مخلوقَةٌ قبل وجودهم ، ولا يستطيع مخلوقٌ أن يدَّعي أنه خلقهما .

(ب) وَحْدَانِيَّة الله:

والبرهانُ الَّذِي أقامه القرآن للدلالة على وحدانِيَّة الله تعالى ، وأنه واحدٌ لا شريك له ، قولُهُ سبحانه: **﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللهُ لَفَسَدَتا﴾** [الأنبياء: ٢٢] .

وقوله عزَّ وجَلّ: **﴿مَا اتَّخَذَ اللهُ مِن وَّلَدٍ وَّمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَـهٍ إذاً لذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا**

يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون:٩١] .

(جـ) إنزال الكُتُب وإرسال الرُّسُل:

وهذا البرهان العقلي الَّذِي أقامه القرآن على صحة إنزال الكُتُب وإرسال الرسل ، كما في قوله تعالى: **﴿وَمَا قَدَرُوا ا للهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ ا للهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ..﴾** [الأنعام:٩١] .

بيَّنَ سبحانه أنهم لم يعطوا ا لله تعالى حَقَّهُ ، ولم يَقْدُروهُ حقَّ قدره ، إذ نَفَوا نفياً مطلقاً إنزاله على بشَرٍ كتاباً ، والحكيم لايدَعُ عباده هَمَلاً ، ولا يتركهم سدىً دون أن ينزل عليهم من كتبه ، ويبعث فيهم مِن رسُلِهِ مَن يحكم بينهم فيما اختلفوا فيه .

(د) البعث والجزاء:

أقامَ القرآنُ عدَّةَ براهين على أحَقِّيَّةِ البعث بعد الموت ، والجزاء العادل في الآخرة ، من ذلك:

١- **دليل الخلق الأول:** قال تعالى: **﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾** [الروم: ٢٧] .

وهذا قياسٌ أولويٌّ عقلي يثبت القرآن به إمكانَ بعثِ الأجساد ، ويردُّ على مَن ينكرونه ويقولون باستحالته .

٢- **خلق السموات والأرض:** ثُمَّ يلفتهم إلى دليلٍ آخر ، وهو خلقُ الأجرام العظيمة في هذا الكون الواسع: ﴿**لَخَلْقُ السَّموات وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُون**﴾ [غافر: ٥٧] .

٣- **إحياء الأرض الميتة:** ومن البراهين التي أرشد إليها القرآنُ في قضية البعث إحياءُ الأرضِ الميتة الهامدة ، حين ينزل عليها الماء ، فتهتَزُّ وتُنْبِتُ من كل زوجٍ بهيج ، وما أشبه الإنسان بالأرض التي خلقَ منها وعاش فيها .

يقول تعالى: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا المَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي المَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير**[1]﴾ [فصلت:٣٩] .

٤- **بُطلانُ التسوية بين الأخيار والأشرار:** ومن البراهين التي ساقها القرآن للدلالة على قضية البعث والجزاء ما ينكره العقل الرشيد وتأباه الفطرة السليمة من التسوية بين الأخيار والأشرار ، وبين

---

(١) **خاشعةً:** يابسةً مغبَّرة ، والخشوع: التذلُّلُ ، فاستُعير لحالِ الأرض إذا كانت قحطة لا نبات فيها ، **اهتزَّت:** تحرَّكَت بالنبات ، **ورَبَتْ:** نَمَتْ وزادَت .

المتَّقِين والفجار . .

قــال تعــالى: ﴿أَمْ نَجْعَـلُ الَّذِيـنَ آمَنُـوا وَعَمِلُـوا الصَّالِحَـاتِ كَالمفْسِـدِينَ فِي الأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ المتَّقِـينَ كالفُجَّـار﴾ [ص: ٢٧-٢٨].



المناقشة

س١- ما معنى أَنَّ العقيدة الإسلامية مُبَرْهَنة؟

س٢- اذكر القضايا العقدية الكبرى التي أقامَها القرآنُ على أساسِ الحجة والبرهان؟

س٣- ما البرهان العقلي الَّذِي أقامه القرآن للدلالة على وجودِ الله سبحانه؟

س٤- ما البرهان العقلي الَّذِي أقامه القرآن للدلالة على وحدانيَّةِ الله تعالى؟

س٥- ما البرهان العقلي الَّذِي أقامه القرآن للدلالة على صحة إنزال الكُتُبِ وإرسالِ الرُّسُل؟

س٦- ذَكَرَ القرآنُ عِدَّة براهين على البعث والجزاء ، اذكر ثلاثة منها؟

س٧- أكمل الأدِلَّة الآتية ، ثُمَّ اذكر ما ترشد إليه:

أ - ﴿ما اتَّخَذَ الله من ولد ....﴾

ب- ﴿وما قدَرُوا الله حقَّ قدره إذ ....﴾

جـ- ﴿أم نجعلُ الَّذِينَ آمنوا وعملوا الصالحات ....﴾

الدرسُ الخامسُ والسّبعون

٥- عقيدة وسط

وهي عقيدة وسط[1] ، لا تجد فيها إفراطاً ولا تفريطاً، وإليك بعض الأمثلة على الوسطية في العقيدة التي هي من أبرز مزاياها[2]:

المثال الأول: الإيمان با لله عزَّ وجلّ:

عقيدة الإسلام وسط بين المادِّيين الَّذِينَ ينكرون عالَمَ الغيب ، وما وراءَ الطبيعة مما لا تصل إليه حواسُّهم ، خانِقينَ صوتَ الفطرة في صدورهم ، متحدِّينَ منطق العقل في رؤوسهم ، وبين الخرافيين الَّذِينَ يثبتون للعالَمِ أكثر من إله ، بل يُحِلُّونَ روحَ الإلهِ في الملوك والحكام ، بل في بعض الحيوانات والنبات مثل الأبقار والأشجار .

---

(١) الوسط يقال فيما له طرفان مذمومان ، كالجود الَّذِي هو بين البخل والإسراف ، فيستعمل بمعنى الاعتدال البعيد عن الإفراط والتفريط ، قال تعالى: ﴿**وكذلك جعلناكم أُمَّةً وسطا**﴾ [البقرة: ١٤٣] يعني عدولاً خياراً ، وخير الأمور أوسطها .

(٢) الإيمان والحياة ، ص٤٩-٥٧ ، والخصائص العامة للإسلام ، للقرضاوي ، ص١٣٥-١٣٧ .

فقد رفضت عقيدة الإسلام الإنكارَ الملحد ، كما رفضت التعديدَ والإشراكَ الجاهل ، وأثبتت للعالم إلهاً واحداً لا إله إلاَّ هو ، لَم يلِدْ ولم يولد ، ولم يكن له كُفُواً أحد ، وكلُّ ما عداه مخلوقات لا تملك ضَرّاً ولا نفعاً ، ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً .

المثال الثاني: صفات الله تعالى:

فليس في عقيدةِ الإسلام الغلوُّ في التجريد[1] الَّذِي جعل صفاتِ الإله مجرَّد سُلوب لا تعطي معنى ، ولا توحي بخوفٍ أو رجاء ، كما فعلت الفلسفة اليونانية.. فكُلُّ ما وصفت به الإله أنه ليس بكذا وليس بكذا.. من غير أن تقول ما صفاتُ هذا الإله الإيجابيَّة؟ وما أثرُها في العالم .

ويقابل هذا أنَّ العقيدة الإسلامية خَلَتْ من التشبيه والتجسيم الَّذِي وقعت فيه عقائد أخرى كاليهودية التي جعلت الخالق كأحدِ المخلوقين من الناس ، ووصفته بالنوم والتعب والراحة ، والمحاباة ، والقسوة . . وجعلته يلتقي ببعض الأنبياء فيصارعه ، فيغلبه ويصرعه ؟ .

---

(١) **التجريد**: عزلُ صفةٍ عزلاً ذِهنِيّاً وقَصْرُ الاعتبارِ عليها ، كما في "المعجم الوسيط" ، والمراد: نفي صفات الخالق سبحانه وتعالى .

ولكنَّ عقيدَةَ الإسلام تُقَرِّرُ تنزيهَ الله سبحانه عن مُشَابهة مخلوقاته: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ [الشورى:١١] ، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:٤] .

ومع هذا تصِفه سبحانه بصِفاتٍ إيجابيَّةٍ فعَّالة كما قال تعالى في آيةِ الكرسي[1] : ﴿اللهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلا يَؤُدُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ العَلِيُّ العَظِيمُ[2]﴾ [البقرة:٢٥٥] .

﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ وَهُوَ الغَفُورُ الوَدُودُ

---

(١) آيةُ الكرسي أعظمُ آيةٍ في القرآن الكريم لِما جمعت من أصولِ الأسماء والصفات من الإلهية والوحدانية والحياةِ والعلم والقيُّومية والملك والقدرة والإرادة ، فهذه أصولُ الأسماء والصفات .

(٢) **القيُّوم:** القائم بتدبير خلقه في إيجادهم وأرزاقهم وجميع ما يحتاجون إليه ، **لا تأخذه سنةٌ ولا نوم:** تقدم تفسيرها ص ٧٣ ، **إلاَّ بما شاء:** وهم الأنبياء والرُّسُلُ ، ليكون ما يطلعهم عليه من علمِ غيبهِ دليلاً على نبوتهم ، **لا يؤده:** لا يثقله ولا يجهده ولا يشقّ عليه ، **حفظهما:** حفظ السموات والأرض .

ذُو العَرْشِ المجيدُ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج:١٢-١٦] .

المثال الثالث: النُّبُوَّة:

والعقيدةُ الإسلامية وسط في أمر النبوَّة ، فلم ترفع الأنبياء إلى مقـام الإلهِيَّة ، كما اعتقد أهل المِلل في أنبيائهم كالنصارى الَّذِينَ وصفوا المسـيح بالإلهِيَّةِ ، و لم تنزل بهـم إلى مستوى السَّـفَلَةِ مـن النـاس ، فتنسـب إليهـم ارتكاب الموبقات ، وفعل المنكـرات ، واتِّبـاع الشـهوات كمـا في وَصْـفِ أسفار العهد القديم للأنبياء عليهم السلام .

وإنمـا الأنبيـاء في عقيـدة الإسـلام بَشَـرٌ أصفيـاء ، أنـزل ا لله وحيـه عليهم: ﴿ا للهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَه﴾ [الأنعام:١٢٤] . وجَعَلَهُمْ أُسْوَةً لأتباعهم ، وعصمهم من قبائح الذنوب ودَنيء الأعمال .

المثال الرابع: الإرادة الإنسانية:

وهي عقيدةٌ وسَطٌ في قضيةِ الإرادة الإنسانية ، (الجبر والاختيـار) ، فهي توافق الفطرةَ السليمة ، والواقعَ المشاهَد .

فالإنسـان في دائـرة أعمالـه الاختياريـة حـرٌّ مسـؤول عـن نفسـه وعملـه ، لـه أن يفعـل وأن يـترك ، كمـا تشـهد بذلـك مئـاتُ النصـوص القرآنية التي تقرِّر حُرِّيَّة الإنسان ومسؤوليتَه عن عمله .

ولكن الإنسان -كما هو الواقع- ليس مُطْلَق الإرادة ، كاملَ الاختيار ، يفعل كل ما يشاء ، وينفذ كل ما يريد .

فالإنسانُ ليس مسَيَّراً فحسب كما يقول الجبرية ، ولا مُخَيَّراً فحسب كما تقولُ المعتزلة ، إنَّمَا هو مسيَّرٌ ومخَيَّرٌ معاً .

واختيارُ الإنسان ومشيئته فوقها إرادةُ الله ومشيئتُه وعلمُه وحكمتُه .

﴿وَمَا تَشَاؤُونَ إِلاَّ أَن يَّشَاءَ اللهُ﴾ [الإنسان:٣٠] .



المناقشة

س١- اذكر أربعَةَ أمثلةٍ تدلُّ على وسطية العقيدة الإسلامية؟

س٢- العقيدة الإسلامية وسط في قضية الإيمان با لله سبحانه ، بيِّن ذلك؟

س٣- العقيدة الإسلامية وسطٌ في قضية صفات ا لله تعالى ، وضِّح ذلك؟

س٤- العقيدة الإسلامية وسطٌ في أمر النبوَّة ، اشرح ذلك؟

س٥- العقيدة الإسلامية وسطٌ في قضيةِ الإرادة الإنسانية ، بيِّن ذلك؟

س٦- اذكر دليلاً لِما يلي:

أ - تنزيه ا لله سبحانه عن مشابهة مخلوقاته .

ب- صفاتُ ا للهِ سبحانه إيجابيَّةٌ فعَّالة .

جـ- اختيار الإنسان ومشيئته فوقها إرادةُ ا لله تعالى ومشيئته .

الدرس السادس والسبعون

٦- عقيدة عَمَلِيَّة

إِنَّ العقيدة التي قررها القرآن الكريم عقيدةٌ عمليَّة إيجابيَّة يتعدَّى أثرها إلى السلوك ، ويظهر في العمل ، ولذلك يذكر الله عزَّ وجَلّ الإيمانَ في القرآن مقروناً بالعمل الصالح .

ومَثَلُ عقائد الإيمان في قلب المؤمن كَمَثَلِ عُصارة الحياةِ في قلب الشجرة ، منها قيامها وبقاؤها ونماؤها وثمرها ، وكذلك عقيدة المسلم تمدُّه بروح العمل والثبات .

فالإسلام لا يقبل من المسلم أن تكون عقيدته نظريَّة ، وإيمانه مجرَّد فكرة لا أَثَرَ لها في فعل خير أو ترك شر ، ولكنه يطالبه بأن يكون ذا إيمانٍ عمليٍّ ، وعقيدة إيجابية تثمر في نفس صاحبها وفي حياة الناس .

"فالقرآنُ يُخبرنا عن الغيب الَّذِي يثمر عملاً وسلوكاً حسناً ، ولا يتحدَّث عنه حديثاً فلسفياً نظرياً .

وإليك بعض الأمثلة عن الجانب العملي في حقائق الإيمان بالغيب .

أ - **الأسماء والصفات:** لا يجد المؤمن اسماً لله تعالى أخبرنا الله تعالى به

إلاَّ ولَه تأثيرٌ عمَلِيٌّ في تزكية النفس وسلوك الإنسان .

والمؤمن "إذا قال: (السميع البصير) ، علم أنه لا يخفى على الله خافية ، وأنه بمرأى منه ومَسْمَعٍ ، فيخافه في سِرِّهِ وعلَنِهِ ، ويراقبه في كافَّةِ أحواله .

وإذا قال: (الرزاق) ، اعتقد أنه سبحانه المتكفِّلُ برزقه ، يسوقه إليه في وقته ، فيثقُ بوعده ، ويعلمُ أنه لا رازقَ له غيره ، ولا كافيَ له سواه .

وإذا قال: (الضار النافع) اعتقد أَنَّ الضرَّ والنفع من قِبَلِ الله جلَّ وعزَّ ، لا شريكَ له ، وأنَّ أحداً من الخلق لا يجلب إليه خيراً ، ولا يصرف عنه شرّاً ، وأن لا حول لأحدٍ ولا قوةَ إلاَّ به"[1].

والعاصي الَّذِي يقرأ أَنَّ الله هو: (الرحمن الرحيم ، الغفور الودود) ، يعلم أَنَّ معصيته لن تحول بينه وبين التوبة ، فيستغفر الله ويتوب إليه ، ولا ييأس من رحمته ولا يقنط من مغفرته ، كما قال سبحانه: **﴿لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾** [الزُّمَر: ٥٣] .

---

(١) شأن الدعاء ، للإمام الخطابي ص ٢٧ .

والمكابر والمعاند إذا قرأ: أَنَّ الله هو (القوي ، الجبار ، القهار ، الشديد العقاب) ، فَإِنَّ الإيمان بهذه الأسماء تعرِّفه بحقيقته ، وتحطِّم كبرياءَه .

فأسماء الله الحسنى كُلُّهَا واضحة المعنى قويَّةَ التأثير .

ب- **النبوَّات:** حدَّثنا القرآنُ عن الأنبياء والمرسَلين حديثاً يدفع المؤمنَ إلى الاهتداء بهديهم والسيرِ على منهجهم ، وإليك أهمَّ السِّماتِ التي أكَّدَ عليها القرآن الكريم:

١- ذَكَرَ اللهُ تعالى في كتابه كثيراً من صفاتِ هؤلاء الصَّفْوَةِ الأخيار: كالأمانة ، والصدق في التبليغ ، والتجرُّدِ لله في الدعوة ، والعفاف والطهر ، والحِلْمِ والصبر ، واللين والتواضع .

٢- ذَكَرَ اللهُ سبحانه تأييده لأنبيائِهِ ورُسُلِهِ بالمعجزات الدَّالَّةِ على صدقهم .

٣- فصَّلَ القرآن قَصَصَ الأنبياء ، وذَكَرَ جهادَهُمْ مع أقوامهم وصبرهم ونتائج هذا الصراع بتكرارٍ وتأكيدٍ وتنويع .

٤- بيَّنَ القرآنُ حقَّ الرسول ﷺ على أمَّته في الحبِّ والأدب والطاعة والاقتداء .

هذه أبرز السِّماتِ التي أكدها القرآن في موضوع النبوات في حين لم يرد في القرآن الكريم تفصيلٌ في أوصافهم الخِلْقِيَّةِ أو لغاتهم وأعمارهم .

إنَّ كل ما قصَّه القرآن علينا من أخبارِ الأنبياء لتحقيق الاهتداء بهم وحمل ميراثهم وتحميلنا المهمة التي كُلِّفَ بها الأنبياء ولم تَمُتْ بموتهم ، وهي الدعوة إلى الله سبحانه .

جـ- **السَّمعِيّات:** وفي باب السَّمْعِيَّات[1] (اليوم الآخر والعوالم الغيْبِيَّةِ كالملائكة والجن) يحدِّثنا القرآن بما فيه نفعنا ودفعنا إلى العمل .

فاليوم الآخر جاء وصفه في القرآن بصورةٍ تجعلك تراه كَأَنَّهُ رأي العين ، وكلما قرأتَ آيةَ عذابٍ استعذْتَ بالله وعَزَمْتَ على التوبة ، وكلما قرأت وصفَ الجنة ونعيمها: هزَّكَ الشوق إليها ودفعك إلى المزيد من الطاعة . . ويعرض القرآن حقائق اليوم الآخر بأسلوبٍ يكاد يخلع القلوب هيبة وخوفاً ، أو لذَّةً وأُنساً .

والإيمان بالملائكة يبيِّن القرآن علاقتهم بالإنسان ، فهُم يراقبونه ويحصون عليه كلَّ كبيرةٍ وصغيرةٍ ، ويستغفرون له ، ويحفظونه ،

---

(١) وهي الأمور العَقَدِيَّة التي ثبتت بالسمع -أي بالخبرِ الصادق- .

وينصرونه على أعدائه . .

ويحدِّثنا القرآن عن **الجن** ، ويُبَيِّنُ أنهم خلقٌ لا يختلف كثيراً عن الإنس ، من حيث التكليف والقدرة على الخير والشر ، وأكثر ما أكَّدَ عليه القرآن التحذير من الشياطين الَّذِينَ يزيِّنون الباطل ، ويحاولون إغواءنا ، ليستقيم الإنسان على الطريق القَويم" [1] .



(١) "العقيدة الإسلامية في القرآن الكريم ومناهج المتكلمين"، للدكتور محمد عياش الكبيسي ص ٢٨-٣١ بتصرف واختصار .

المناقشة

س١- ما معنى أَنَّ العقيدة الإسلامية عقيدةٌ عملية؟

س٢- ما أثر الإيمان بالأسماء والصفات في تزكية النفس؟

س٣- ما أهم السِّماتِ التي أَكَّدَ عليها القرآن في حديثه عن النُّبُوَّات؟ وما الحكمة من ذلك؟

س٤- ما السَّمعيات ، وما الجانب العملي في الإيمان بها؟

الدرس السابع والسبعون

٧- الشُّمول

شمول العقيدة الإسلامية

العقيدة الإسلامية عقيدةٌ شاملةٌ من أيِّ جانبٍ نظَرْتَ إليها[1]، وذلك من خلال:

تفسير القضايا الكبرى في هذا الوجود:

أ - فهي توصف بالشُّمول ، باعتبار أنها **تفسّرُ كُلَّ القضايا الكبرى في هذا الوجود** ، تلك القضايا التي شغلت الفكر الإنساني ، ولا تزال تشغله ، وتُلِحُّ عليه بالسؤال ، وتَتَطَلَّبُ الجوابَ الحاسم الَّذِي يُخرج الإنسان من الضياع والشك والحيرة ، وينتشله من مَتَاهات الفلسفات والنِّحَلِ المتضاربة قديماً وحديثاً: **قضية الألوهية ، قضية الكون ، قضية الإنسان ، قضية النبوة ، قضية المصير** .

فإذا كانت بعض العقائد تعنى بقضية الإنسان دون قضية الألوهية والتوحيد ، أو بقضية الألوهية دون قضية النبوة والرسالة ، أو بقضية النبوة دون قضية الجزاء الأُخرَوي ، فَإِنَّ عقيدة الإسلام قد

(١) الخصائص العامة للإسلام ، للقرضاوي ص١١٣-١١٥ ، بتصرُّفٍ وزيادة .

عُنيت بهذه القضايا كلها ، وقالت كلمتها فيها ، بشمول واضح ، ووضوح شامل .

لا تُجَزّئ الإنسان بين إلهين اثنين:

ب- وتوصف العقيدة الإسلامية بالشمول كذلك ، **لأنها لا تجَزّئ الإنسان بين إلهين اثنين:** إله الخير والنور ، وإله الشرّ والظلمة ، كما كان في المجوسيَّة ، أو بين ا لله والشيطان الَّذِي سُمِّيَ في الأناجيل باسم "رئيس هذا العالم" ، واسم "إله هذا الدهر" ، وانقسم العالم بينه وبين ا لله ، فله مملكةُ الدنيا ، و لله ملكوت السموات؟!! .

اعتمادها على العقل والقلب:

جـ- وتوصف العقيدة الإسلامية بالشمول من ناحيةٍ أخرى ، وهي: أنها لا تعتمد في ثبوتها على الوجدان أو الشعور وحده ، كما هو شأن المسيحية التي ترفض تدخُّل العقل في العقيدة رفضاً باتاً ، بحيث لا تُؤْخَذ إِلاَّ بالتسليم المطلق ، على حدِّ قولهم: اعتقد وأنت أعمى .

وهي كذلك لا تعتمد على العقل وحده ، كما هو شأن جُلِّ الفلسفات البشرية التي تَتَّخِذُ العقلَ وسيلَتَها الفَذَّة في معرفة ا لله وحلِّ ألغاز الوجود ، وإنما تعتمد على الفكر والشعور معاً ، أو

العقل والقلب جميعاً ، باعتبارهما أداتين متكاملتين من أدوات المعرفة الإنسانية ، والوعي الإنساني .

إنَّ الإيمان الإسلامي الصحيح هو الَّذِي ينبعث من ضياء العقل وحرارة القلب ، وبذلك يؤدي دوره ، ويؤتي أُكُلَه في الحياة .

شمول النفس الإنسانيَّة:

د - وتوصفُ العقيدةُ الإسلامية بالشمول في الجمع بين الدنيا والآخرة ، وبين الروح والجسد ، وإيجاد الشخصية السويَّة المتوازنة ، بينما نجد العقائد الأخرى تؤدي إلى انقسام الشخصية الإنسانية ، بين مطالب الجسد ومطالب الروح ، وبين سلطان الأرض وسلطان السماء ، فتصاب النفسُ الإنسانية بالانفصام والازدواجية .

شمول الأمم الإنسانية:

هـ - "وتوصف العقيدة الإسلامية بالشمول ، لأنها تشمل الأمم الإنسانية جميعاً ، كما تشمل النفس الإنسانية بجملتها من عقلٍ وروحٍ وضمير ، فليس الإسلامُ دينَ أمَّةٍ واحدةٍ ، ولا هو دينُ طبقةٍ واحدة ، وليس هو للسادة المسلَّطين ، دون الضعفاء المسخَّرين ،

ولا هو للضعفاء المسخَّرين دون السادة المسلَّطين، ولكنه رسالة تشملُ بني الإنسان من كل جنسٍ وملَّة" [1].

عقيدةٌ لا تقبل التجزئة:

و - وتوصف العقيدة الإسلامية بالشمول أيضاً، لأنها عقيدةٌ لا تقبل التجزئة، ولابد أن تؤخذ كلها بكل محتوياتها دونَ إنكار، أو حَتَّى شك في أي جزءٍ منها. فمن آمن بـ٩٩٪ من مضمون هذه العقيدة وكفر بـ١٪ لم يعد بذلك مسلماً، فالإسلام يقتضي أن يُسلم الإنسان قيادَه كلَّه لله، ويؤمن بكل ما جاء من عنده.

الشمولُ بالإيمانِ بكلِّ ما أُنزلَ على رسول الله ﷺ:

ز - فالعقائد الإسلامية لا تختصُّ بالإيمان بالغيب وحده، مثل الإيمان بالله واليوم الآخر والملائكة، وإنما تتناول كلَّ أصلٍ ثابتٍ وخبرٍ صادقٍ صحَّ عن نبينا ﷺ وعُلِمَ من الدين بالضَّرورة، فمن جَحَدَ شيئاً من ذلك كان كافراً.

فعقائد الإسلام تتناول جملةَ أصوله وأركانه وأخباره وأحكامه

---

(١) الإسلام في القرن العشرين، للأستاذ عباس العقاد، ص ٣١و٣٢

المقررة الثابتة بالكتاب والسنة ، فذلك مقتضى الإيمان[1] .

ومن أمثلة ذلك:

١ - الإيمان بِكُلّ كتابٍ أُنزل أو رسولٍ بُعث:

فمَن آمنَ بمحمد ﷺ وكفر بموسى أو عيسى عليهما السلام ؛ فهو كافرٌ بمحمد وبما أُنزل على محمد ﷺ ، قال تعالى: ﴿**آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ**﴾ [سورة البقرة:٢٨٥].

"وإذا كانَ في أتباعِ الأنبياء -ممَّن يدَّعونَ الانتسابَ إلى واحدٍ منهم- مَن يطعن على غير نبيِّه ، فَإِنَّ الإسلام أوجبَ على المسلمِ تعظيمَ الأنبياءِ والرُّسُلِ جميعاً ، فإذا أساءَ القولَ في واحدٍ منهم ، أو طعنَ عليه خالفَ طريق الإسلام .

فالمسلمُ يؤمنُ بموسى وعيسى وغيرِهما من رسُلِ اللهِ عليهم السلام ، كما يؤمنُ برسالةِ محمدٍ ﷺ ، ويُجلُّهُم ويكبرهم كإكبارِهِ محمداً

---

(١) التوحيد ، للصف الأول الثانوي بقَطَر ، للشيخ عبد المعز عبد الستار ، ص١١٥-١١٩ باختصار .

وكإجلاله إيَّاهُ ﷺ .

واليهوديُّ الَّـذِي دخلَ النصرانيـة كمـا جـاءَ بهـا المسيح لم يخسـر موسى ، ولكنـه ربحَ معـه عيسـى ، والنصرانـيُّ الَّـذِي يدخـل اليــوم في الإسلام لا يخسر عيسى وموسى ، ولكن يربح معهما محمـداً صلـوات ا لله عليه وعلى جميعِ الأنبياء والمرسلين" [1] .

ولذلك أنكرَ ا للهُ سـبحانه أَشَـدَّ الإنكـار علـى بـني إسـرائيل الَّذِيـنَ يؤمنـون ببعـض الرُّسُـلِ دونَ بعـض ﴿**إِنَّ الَّذِيـنَ يَكْفُـرُونَ بـا للهِ وَرُسُــلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ ا للهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْض وَّنَكْفُرُ بِبَعْض وَّيُرِيدُونَ أَن يَّتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً أُولَئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ حَقا وَّأَعْتَدْنَـا لِلْكَافِرِينَ عَذَابا مُّهِينا**﴾ [النساء: ١٥٠-١٥١].

وأنكرَ سبحانه على بني إسرائيل إيمانهم ببعض الكتاب الإلهـي دونَ بعض: ﴿**أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الكِتَابِ وَتَكْفُرونَ بِبَعْض فَمَا جَزَاءُ مَـن يَّفْعَـلُ ذَلِـكَ مِنكُـمْ إِلاَّ خِـزيٌ فِي الحَيَـاةِ الدُّنْيَـا وَيَـوْمَ القِيَامَـةِ يُـرَدُّونَ إِلى أَشَـدِّ العَذَابِ وَمَا ا للهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُون**﴾ [البقرة:٨٥] .

---

(١) تعريف عام بدين الإسلام ، لأستاذنا الطنطاوي ، ص١٦٤ .

٢ - الإيمان بفرائض الإسلام:

كما تشملُ العقيدةُ الإسلامية الإيمانَ بكلِّ كتابٍ أُنزلَ ، أو رسولٍ أُرسِلَ ، كذلك فهي تشمل الإيمانَ بفرائضِ الإسلام ، واعتقادَ وجوبِ الصلاةِ والزكاةِ والصومِ والحجِّ والجهادِ والميراثِ والحجابِ كما ذَكَرَهُ الله عزَّ وجَلَّ في كتابه وبيَّنَهُ رسولُه ﷺ في سنّتِه ؛ فمن جَحَدَ شيئاً من ذلك فقد كفر .

٣- الإيمانُ بحِلّ الحلال وحرمة الحرام:

وتشمل العقيدةُ الإسلامية كذلك الإيمانَ بالحلال والحرام على النحو الَّذِي شرَعَهُ الله عزَّ وجَلّ في كتابه وسنَّةِ رسوله ﷺ .

فالله عزَّ وجَلّ حرَّمَ الرِّبا ، والزنا ، وقَتْلَ النفس إلاَّ بالحق.. فمن اعتقد حِلَّ شيء مِمَّا حرَّم الله ، أو حُرمَةَ شيء مِمَّا أحَلَّ الله ؛ فقد كفر .

وهكذا تشملُ عقائد الإسلام التصديقَ بكلِّ ما ثبت عن رسول الله ﷺ ثبوتاً قاطعاً ، سواء أكان من أنباء الغيب ، أم من العبادات ، أم من أحكام الإسلام وشرائعه .

✿✿✿

المناقشة

س١- ما القضايا الكبرى التي تفسرها العقيدة الإسلامية؟

س٢- العقيدة الإسلامية لا تجزِّئ الإنسان بين إلهين اثنين ، وضِّح ذلك؟

س٣- العقيدة الإسلامية تعتمد على العقل والقلب ، بيِّن ذلك؟

س٤- العقيدة الإسلامية تشمل النفس الإنسانية ، والأمم الإنسانية ، اشرح ذلك؟

س٥- العقيدة الإسلامية تشمل الإيمان بكل ما أنزل على رسول الله ﷺ، وضِّح ذلك؟

س٦- ما حكم مَن آمنَ ببعض الرُّسُلِ أو الكتبِ وكفر ببعضها الآخر ، اذكر دليلاً على ما تقول؟

س٧- ما حكم من جحدَ شيئاً من فرائض الإسلام الثابتة؟

س٨- ما حكم من اعتقد حِلَّ شيءٍ مما حرَّمَ الله ، أو حُرْمَةَ شيءٍ مما أَحَلَّهُ الله؟

المصَادر وَالمَراجع

١- ابتلاء الإرادة بالإيمان والإسلام والعبادة ، عبدالرحمن حبنّكة الميداني ، دار القلم بدمشق ، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ .

٢- الأدب المفرد ، للإمام البخاري (ت ٢٥٦) ، دار البشائر الإسلامية ، الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ .

٣- الإسلام في القرن العشرين ، حاضره ومستقبله ، للأستاذ عباس محمود العقاد (ت١٣٨٣) ، دار الكُتُب الحديثة ، الطبعة الأولى ، ١٩٥٤هـ .

٤- الإسلام كَمَا فهمت ، محمد القاسمي ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٣٩٧هـ .

٥- أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري ، للخطابي (ت٣٨٨) ، مركز إحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة ، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ .

٦- الأمة الإسلامية حقيقة لا وهم ، للدكتور يوسف القرضاوي ، مكتبة وهبة ، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ .

٧- الإنسان مسيَّرٌ أم مخيَّر ، للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي ، دار الفكر بدمشق ، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ .

٨- الإيمان بعوالم الآخرة ومواقفها ، للشيخ عبدالله سراج الدين ، الطبعة الأولى ١٣٩٧هـ .

٩- الإيمان بالملائكة عليهم السلام ، للشيخ عبدالله سراج الدين ، الطبعة الرابعة ١٤١٠هـ .

١٠- الإيمان بالقضاء والقدر ، للشيخ أحمد عز الدين البيانوني (ت١٣٩٥) ، دار السلام ، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ .

١١- إيماننا الحق بين النظر والدليل ، إبراهيم النعمة ، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ .

١٢- الإيمان والحياة ، للدكتور يوسف القرَضاوي ، مؤسسة الرسالة ببيروت ، الطبعة الرابعة ١٣٩٩هـ .

١٣- التذكِرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ، للإمام القرطبي (ت٦٧١) ، دار الكُتُب العلمية ببيروت ، ١٤٠٢هـ .

١٤- تعريف عام بدين الإسلام ، للأستاذ علي الطنطاوي ، طبعة دار المنار الأولى بجدة ١٤٠٩هـ .

١٥- الترغيب والترهيب ، للمنذري (ت٦٥٦) ، ضبطه: مصطفى عمارة ، مصورة دار الكُتُب العلمية ، بيروت ١٤٠٦هـ .

١٦- التصريح بما تواتر في نزول المسيح ، للإمام محمد أنور الكشميري (ت١٣٥٢) ، تحقيق الشيخ عبدالفتاح أبو غدة ، الطبعة الثالثة ١٤٠١هـ .

١٧- تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير (ت٧٧٤) ، دار الكُتُب العلمية ، بيروت .

* تفسير الخازن = لباب التأويل .

* تفسير الطبري = جامع البيان .

* تفسير النسَفي = مدارك التنزيل .

١٦- التوحيد ، للصف الثاني والثالث الثانوي في المعهد الديني الثانوي بقطَر ، تأليف: يوسف القرَضاوي ، وعليوة مصطفى ، وعلي جماز ، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ .

١٧- التوحيد والفقه ، للمرحلة الإعدادية بدولة قطَر (١-٣) تأليف لجنة من وزارة التربية والتعليم ، الطبعة الرابعة عشر ١٤٠٤هـ .

١٨- التوحيد ، للمرحلة الثانوية ، وزارة المعارف ، المملكة العربية السعودية ١٤١٦هـ.

١٩- التوحيد ، للمرحلة الإعدادية في اليمن (١-٣) ، تأليف: عبدالمجيد الزنداني ، الطبعة الثالثة ١٣٩٧هـ.

٢٠- توحيد الخالق ، للمرحلة الثانوية في اليمن (١-٣) ، تأليف: عبدالمجيد الزنداني ، وأحمد سلامة ، وعبدالله الجرافي ، الطبعة الثالثة ١٣٩٧هـ.

٢١- جامع الأصول في أحاديث الرسول ، لابن الأثير الجزري (ت ٦٠٦) ، تحقيق عبدالقادر الأرناؤوط ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ .

٢٢- جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، للطبري (ت٣١٠) ، الطبعة الثانية ، دار التربية والتراث بمكة المكرمة .

٢٣- جامع العلوم والحِكَم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم ، لابن رجب الحنبلي (ت٧٩٥) ، تحقيق إبراهيم باجس ، وشعيب الأرناؤوط مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ .

٢٤- حقيقة التوحيد ، للدكتور يوسف القرضاوي ، مكتبة وهبة ، الطبعة السابعة ١٤٠٩هـ .

٢٥- حول تفسير سورة الفاتحة ، للشيخ عبدالله سراج الدين ، دار الفلاح بحلب ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ .

٢٦- حول عالم الجن ، بحث مختصر ملحق بكتاب الإيمان بالملائكة ، للشيخ عبدالله سراج الدين ، الطبعة الرابعة ١٤١٥هـ .

٢٧- الحياة الآخرة ما بين البعث إلى دخول الجنة والنار ، غالب العواجي ، دار لينة ، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ .

٢٨- الخصائص العامة للإسلام ، للدكتور يوسف القرضاوي ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة السادسة ١٤٠٩هـ .

٢٩- خواطر دينية ، للشيخ عبدالله بن الصديق الإدريسي (ت١٤١٣هـ) ، مكتبة القاهرة ، الطبعة الأولى ١٣٨٨هـ .

٣٠- دلالة القرآن المبين عَلَى أنَّ النبيَّ أفضل العالمين ، للشيخ عبدالله بن الصديق (ت ١٤١٣) ، المكتبة المكية ، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ .

٣١- رسالة المسترشدين ، للحارث المحاسبي (ت٢٤٣) ، تحقيق الشيخ عبدالفتاح أبو غدة ، الطبعة الثامنة ، بيروت ١٤١٦هـ .

٣٢- الرسول المعلم ، للشيخ عبدالفتاح أبو غدة (ت١٤١٧) ، مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب ، الطبعة الأولى ، بيروت ١٤١٧هـ .

٣٣- السنة مصدراً للعلم والحضارة ، للدكتور يوسف القرضاوي ، مركز بحوث السنّة والسيرة بجامعة قطر ، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ .

٣٤- سنن ابن ماجه (ت٢٧٥) ، طبعة محمد فؤاد عبدالباقي ، مصوَّرة دار الكُتُب العلمية .

٣٥- سنن أبي داود (ت٢٧٥) ، دار الكُتُب العلمية بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ .

٣٦- سنن الترمذي (ت٢٧٩) ، ابتدأ تحقيقها أحمد محمد شاكر ، وأتمها محمد فؤاد عبدالباقي ، تصوير دار الكتب العلمية.

٣٧- سنن النسائي (ت٣٠٣) ، الطبعة المفهرسة التي اعتنى بِهَا الشيخ عبدالفتاح أبو غدة ، مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ .

٣٨- شأن الدعاء ، للخطابي (ت٣٨٨) ، دار المأمون بدمشق ، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ .

٣٩- شرح حديث عمار بن ياسر ، للحافظ ابن رجب (ت٧٩٥) ، مكتبة السوادي بجدة ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ .

٤٠- شرح صحيح مسلم ، للإمام النووي (ت٦٧٦) ، المطبعة المصرية .

٤١- شرح العقيدة الطحاوية ، لابن أبي العز الحنفي (ت٧٩٢) ، تحقيق شعيب الأرناؤوط وعبدالله التركي ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ .

٤٢- شرح المواهب اللدنية ، للزرقاني (ت ١١٢٣) ، الأزهرية ١٣٢٥ .

٤٣- شهادة لا إله إلاّ الله محمد رسول الله ، للشيخ عبدالله سراج الدين ، مكتبة دار الفلاح بحلب ، الطبعة الأولى .

٤٤- صحيح البخاري ، للإمام البخاري (ت٢٥٦) المطبوع مَعَ فتح الباري ، المكتبة السلَفية ، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ .

٤٥- صحيح مسلم ، للإمام مسلم بن الحجاج (ت٢٦١) ، طبعة محمد فؤاد عبدالباقي .

٤٦- العبودية ، لشيخ الإسلام ابن تيمية (ت٧٢٨) ، المكتب الإسلامي ببيروت ، الطبعة الثانية ١٣٨٩هـ .

٤٧- العقل والعلم في القرآن الكريم ، للدكتور يوسف القرضاوي ، مكتبة وهبة ، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ .

٤٨- العقيدة الإسلامية (١-٣) ، للمرحلة الثانوية للمعاهد الشرعية في سوريا ، تأليف: محمد رواس قلعهجي ، ولطفي الفيومي ، ومصطفى الخن ، وغسان طه .

٤٩- العقيدة الإسلامية (أركانها ، حقائقها ، مفسداتها) ، للدكتور مصطفى الخن ، ومحيي الدين مستو ، دار ابن كثير ، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ .
٥٠- العقيدة الإسلامية في القرآن الكريم ومناهج المتكلمين ، للدكتور محمد عياش الكبيسي ، رسالة دكتوراه ، كلية العلوم الإسلامية ، جامعة بغداد ، ١٤١٥هـ .
٥١- العقيدة الإسلامية منهج ميسَّر ، للأستاذ عبدالوارث مبروك سعيد ، دار القلم بالكويت ، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ .
٥٢- فتح الباري شرح صحيح البخاري ، للحافظ ابن حجر (ت٨٥٢) ، المكتبة السلَفية ، دار الريان ، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ .
٥٣- فيض القدير شرح الجامع الصغير ، للمناوي (ت١٠٣١) ، دار المعرفة ، بيروت ١٣٩١ .
٥٤- القاموس المحيط ، للفيروز آبادي (ت٨١٧) مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ .
٥٥- القضاء والقدر ، لأبي الوفاء محمد درويش ، دار القاسم ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ .
٥٦- القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ، للدكتور عبدالرحمن المحمود ، دار النشر الدولي بالرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ .

٥٧- لباب التأويل في معاني التنزيل ، للإمام علاء الدين علي بن محمد المعروف بالخازن (ت٧٤١) ، مصورة دار الفكر ، بيروت .

٥٨- لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف ، للحافظ ابن رجب الحنبلي (ت٧٩٥) ، تحقيق محمد ياسين السواس ، دار ابن كثير بدمشق ، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ .

٥٩- مجلة المسلمون ، المجلد الثامن ، العدد الأول ، دمشق ، سنة ١٣٨٣ .

٦٠- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، للحافظ الهيثمي (ت٨٠٧) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ .

٦١- المختار من كنوز السنة النبوية ، شرح أربعين حديثاً في أصول الدين ، للدكتور محمد عبدالله دراز (ت١٣٧٧) ، إدارة إحياء التراث الإسلامي بقطَر ، الطبعة الرابعة .

٦٢- مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، للإمام النسَفي (ت٧٠١) المطبوع بحاشية تفسير الخازن .

٦٣- المدخل إلى التفسير الموضوعي ، للدكتور عبدالستار سعيد ، دار التوزيع الإسلامية ، الطبعة الثانية ١٤١١هـ .

٦٤- مدخل لمعرفة الإسلام ، للدكتور يوسف القرضاوي ، مكتبة وهبة ، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ .

٦٥- المستدرك عَلَى الصحيحين ، للحاكم (ت٤٠٥) ، دار الكتاب العربي ، بيروت .

٦٦- المسند ، للإمام أحمد (ت٢٤١) ، المكتب الإسلامي ببيروت ، الطبعة الخامسة ١٤٠٥هـ .

٦٧- المسند ، لأبي يعلى الموصلي (ت٣٠٧) ، تحقيق حسين الأسد ، دار المأمون بدمشق ، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ .

٦٨- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، للأستاذ محمد فؤاد عبدالباقي ، مطابع الشعب ١٣٧٨ .

٦٩- المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، مصورة دار الفكر ببيروت عن طبعة دار المعارف بمصر .

٧٠- معيد النعم ومبيد النقم ، لتاج الدين السبكي (ت٧٧١) ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ .

٧١- مفردات ألفاظ القرآن ، للراغب الأصفهاني (ت٤٢٥) ، تحقيق صفوان داوودي ، دار القلم بدمشق ، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ .

٧٢- من صحاح الأحاديث القدسية ، مائة حديث قدسيّ مَعَ شرحها ، للشيخ محمد عوامة ، دار القبلة للثقافة الإسلامية بجدة ، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ .

٧٣- مناهج المواد الشرعية للمدارس الشرعية الإعدادية والثانوية في سوريا ، وضعها الشيخ علي الطنطاوي عام ١٣٨٠هـ .

٧٤- المنهاج القرآني في التشريع ، للدكتور عبدالستار سعيد ، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ .

٧٥- موقف الإسلام من الإلهام والكشف والرؤى ، للدكتور يوسف القرضاوي ، مكتبة وهبة ، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ .

٧٦- نبوة محمد ﷺ في القرآن ، للدكتور حسن عتر ، طبعة دار البشائر الإسلامية الأولى ببيروت ١٤١٤هـ .

٧٧- نور الاقتباس في مشكاة وصية النبي ﷺ لابن عباس ، للحافظ ابن رجب (ت٧٩٥) ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت ١٤١٤هـ .

٧٨- النهاية في غريب الحديث والأثر ، لابن الأثير الجزري (ت٦٠٦) ، طبعة أنصار السنة بلاهور ، المصورة عن طبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ١٣٨٣هـ .

٧٩- هدي القرآن إلى الحجة والبرهان ، للشيخ عبدالله سراج الدين ، مكتبة الفلاح بحلب ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ .

٨٠- هدي القرآن إلى معرفة العوالم والتفكر في الأكوان ، للشيخ عبدالله سراج الدين ، مكتبة الفلاح بحلب ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ .

المحتوى



تم بحمد الله